

البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

البلاغة العامة
بين الطموح النسقي ومنظومة المصطلح

العدد
16
2022

البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

العدد 16 – خريف 2022

- عنوان المجلة: ص. ب. 243 - بني ملال (23000) - المغرب
- الهاتف/الفاكس: 0523481666 / الهاتف النقال: 0668022157
- الموقع الإلكتروني للمجلة: http://albalaghaaljadida.blogspot.com
- البريد الإلكتروني للمجلة: jabridriss@gmail.com

1- الدراسات المنشورة بالمجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، والتي لم تُنشر لا تُرد إلى أصحابها.
2- يخضع ترتيب المقالات لاعتبارات تقنية فحسب.
3- يرجى من الباحثات والباحثين الالتزام بشروط النشر في المجلة، والعمل بمقتضياتها، تيسيرا لعمل إدارة المجلة وهيئة تحريرها.

- **الإيداع القانوني رقم: 117 PE 2012**
- **الملف الصحافي: 2012/09**
- **ردمد: 2028-9456**
- **الغلاف من تصميم الفنان: عبد الله لغزار**
- **عدد متاح في نسخة إلكترونية مجانية**

شروط النشر في المجلة

تنشر **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** جميع الدراسات النظرية والتطبيقية، الأصلية والمترجمة، المندرجة في مجال اختصاصها، المراعية لشروط البحث العلمي الأكاديمي، المكتوبة باللغة العربية، والتي لم يسبق نشرها.

ترتيبات النشر:

1- ترسَل المشاركات العلمية إلى المجلة على بريدها الإلكتروني، مطبوعة على الوورد بخط Sakkal Majall، بحجم 14 للعربية وحجم 12 بالنسبة للغات الأجنبية في المتن، وبحجم 12 للعربية وحجم 10 بالنسبة للغات الأجنبية في الهامش.

2- يتراوح طول الدراسة بين 3000 و4000 كلمة.

3- في حالة الترجمة يُرفَق النص المترجم بالنص الأصلي.

4- توضع الهوامش في أسفل الصفحات: «ترقيم جديد لكل صفحة»، مع الاقتصار على اسم المؤلف (على أن يكون الاسم الشخصي تاليا وبين قوسين) والمرجع والصفحة (يشار إلى الصفحة بحرف الصاد مَتْلُوّاً، بعد فاصل، برقمها دون أي إضافة (ص 14 مثلا)، فإن كانت الإحالة على أكثر من صفحة يُفصل بين الرقمين بعارضة (ص 14-18 مثلا)).

5- تُثبَت المراجع والدوريات باللغة العربية أو الأجنبية في آخر الدراسة منفصلة عن الإحالات؛ وذلك على الشكل الآتي: اسم المؤلف (اسم الشهرة يليه الاسم الشخصي بين قوسين)، عنوان الكتاب، دار النشر، الطبعة، البلد، سنة النشر؛ وإذا كان المرجع مقالا وَلِيَه اسم المجلة (فإن كان ضمن كتاب يُذكر عنوانه متلوّاً بالمعطيات أعلاه بنفس الترتيب)، ثم يُذكر رقم العدد أو المجلد والسنة. ويراعى في كل ذلك الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

6- تُكتب عناوين الكتب وأسماء المجلات بخط مضغوط، فإن كانت أجنبية تُكتب بخط مائل. أما عناوين المقالات فتوضع بين حاصرتين («...»)، وذلك سواء في المتن أو الهامش أو في لائحة المراجع.

7- يُفصَل بين جميع المعلومات في الإحالات أو في لائحة المراجع بالفواصل وتُختم بوضع نقطة. فإن أريد ذكر مرجع ثان ضمن نفس الإحالة يُفصَل بينه وبين المرجع الأول بقاطعة (؛).

8- إن أحيل على نفس المرجع المذكور في الهامش السابق يُكتفى بذكر عبارة "نفسه" متلوّة برقم الصفحة بعد فاصلة (نفسه، 45 مثلا).

9- في حالة الإحالة على مرجع على الويب، يُكتب اسم المؤلف (فإن لم يكن، يُبدأ بعنوان المرجع مباشرة)، بعده عنوان المرجع، تليه عبارة: "على الويب" بين قوسين معقوفين [ ]، وسنة النشر إن وُجدت، فعنوان الموقع، ثم يُكتب بين قوسين () تاريخ الاطلاع عليه في الويب.

10- في حالة تقديم توضيح أو تعليق وسط استشهاد، ينبغي وضعه بين قوسين معقوفين [ ]. وإن تم الحذف داخل استشهاد، توضع بينهما نقط الحذف: [...].

11- حين يُذكر اسم علم أجنبي أو مقابل أجنبي لمصطلح يُكتب الاسم أو المصطلح بالعربية ثم يُكتب بالخط الأجنبي بين قوسين ()، وذلك في المرة الأولى فقط، فإن أعيد ذكره كُتب بالعربية فحسب.

12- يُبلَّغ أصحاب المساهمات بتسلم مشاركاتهم فور التوصل بها، على أن يتم إخبارهم بقبولها للنشر بعد عرضها على محكِّمين على نحو سري.

13- تطلب المجلة، في إطار التعاون العلمي، من صاحب البحث إجراءَ التعديلات الضرورية عند الاقتضاء.

إهداء

نهدي هذا العدد إلى روح الفقيدين

الدكتور محمد مفتاح

الدكتور جابر عصفور

الفهرس





البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

من أعمال الندوة العلمية الدولية تحت عنوان:

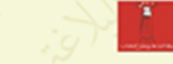
البلاغة الجديدة

بين التجربتين التونسية والمغربية



العدد 15 2020

مجلة البلاغة وتحليل الخطاب العدد: 15 / 2020



البلاغة وتحليل الخطاب

Al Balagha Wa Tahlil Al Khitab

مجلة فصلية علمية مُحكّمة



المساهمون في العدد الخامس عشر

حسن المودن — أحمد قادم

عزيز قميشو — عبد الفتاح شهيد

عبد العزيز لحويدق — عبد القادر حمدي

محمّد الكحلاوي — عبد الوهاب الأزدي

سميرة مصلوحي



الثمن: 40 درهما

كلمة العدد

بصدور هذا العدد الذي بين يدي قرائنا الأوفياء، تكون **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** قد تجاوزت عتبة الخمسة عشر عددا، وبنهاية السنة الحالية تنهي سنتها العاشرة. وإذ تقدر هيئة المجلة هذا المنجز، وحجم التضحيات التي كانت وراءه، رغم استمرار "المعوقات" التي تعاني منها مختلف المجلات، فإنها تحرص على أن تضع هذه التجربة تحت محك التقويم لتستفيد منها في أفق تحسين الأداء وتعميق العطاء وفتح الآفاق. من هذا المنطلق، نقدم للقراء، في هذه الكلمة وقبل تقديم مواد العدد، تذكيرا موجزا بالخط التحريري للمجلة، والأهداف التي سطرتها منذ 2012، وخلاصةً للتقويم الذي أنجزته هيئتها.

انطلق المشروع العلمي **لمجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، كما تم بسطه في كلمة العدد التأسيسي الأول (2012)، ورهان القيمين على المجلة و"حراس عرينها" هو تجديد البلاغة العربية، بـ «تعميق البحث في الاتجاه التخييلي (الشعري) والاتجاه التداولي (الحجاجي) لها من خلال العودة إلى المشاريع البلاغية العربية القديمة، والانفتاح على المنجزات الغربية الحديثة في هذا الباب، واستثمار البحث البلاغي في رصد دينامية المجتمعات العربية وحركيتها، وذلك عن طريق تحليل مختلف أشكال الخطاب: السياسي والديني والإعلامي والفلسفي والتاريخي والقانوني... في زمن الثورة الإعلامية والمعلوماتية، والتعريف بمستجدات البحث البلاغي وتحليل الخطاب على الصعيدين العربي والعالمي، مع نشر ثقافة الحوار وإرساء قواعده وترسيخ قيمه الأخلاقية، ومد جسور التواصل بين مختلف الباحثين والدارسين في مجال البلاغة العربية والتواصل وتحليل الخطاب ومكوناته وآليات اشتغاله». وقد أسهمت المجلة، على أساس هندستها القائمة على أركان ثابتة (ركن دراسات وأبحاث، وركن ملف العدد، وركن حوار، وركن ترجمات، وركن مصطلحات ومفاهيم، وركن متابعات ومستجدات، ثم ركن إشراقات تراثية) في نشر «المعرفة البلاغية الحديثة في أبعادها المتنوعة نظريا وتطبيقيا، محاولةً الحد من التصور المدرسي والمختزل للبلاغة».

وها قد مرت عشر سنوات على الميلاد الصعب، واشتد عود المجلة، واكتملت معالمها، وأثمرت خمسة عشر عددا، محققة بذلك كثيرا من أهدافها، ومساهِمة في العودة القوية والملحوظة للبلاغة في سياقنا العربي الراهن، باعتبارها أداةَ تحليل مختلِف الخطابات الاحتمالية المؤثرة تخييلا أو حجاجا أو هما معا، والواقعةِ بين عتبتي البرهان اليقيني والهذيان الجنوني، بما هي مركز اشتغال البلاغة العامة.

وها نحن نعلن عن ميلاد جديد **لمجلة البلاغة وتحليل الخطاب** وخطها التحريري، بتصور وهندسة جديدين، بعدما راكمت خبرة معتبرة وتجربة مفيدة، وننخرط في دينامية جديدة لن تستقيم إلا بتقويم التجربة وتشخيص الأعطاب واقتراح الآفاق.

في هذا الصدد، بلغ، كما سبقت الإشارة إليه أعلاه، منجَز المجلة خمسة عشر عددا، من بينها خمسة أعداد خاصة كانت كلها مرتبطة بالبلاغة في صيغتها الجديدة، وهذه مواضيعها: **سؤال المصطلح البلاغي**، و**البلاغة الغربية الجديدة: بلاغة الحجاج**، **والبلاغة الغربية الجديدة: بلاغة الشعر**، **وجماعة البلاغة وتحليل الخطاب**، **ثم البلاغة الجديدة بين التجربتين التونسية والمغربية**. بقية الأعداد جاءت بشكل المجلة المألوف، وقد تمحورت ملفاتها حول: **الحجاج**، **الخطاب السردي**، **البلاغة العربية: أسئلة وتاريخ**، **البلاغة بين الحجاج والتأويل**، **التداوليات وتحليل الخطاب**، **البلاغة والخطاب السياسي**، **البلاغة والتبالغية**، **البلاغة والنقد الثقافي**، **تحليل الخطاب السردي العجائبي والحكاية الخرافية**. من هذه الملفات خمسةٌ بلاغيةٌ محض، وملفان حول علاقة البلاغة بحقول مجاورة، وملفان دفاعيان محصِّنان (البلاغة والتبالغية، البلاغة والنقد الثقافي). وعموما، تضمنت أعداد المجلة مائة وأربعة (104) مقالات، منها تسعة وأربعون (49) مقالا نظريا، وواحد وخمسون (51) مقالا تطبيقيا من بينها ثمانية عشر (18) مقالا تحليليا[1]، ومقالان جداليان، ومقالان تاريخيان. توزعت مواضيعها على الشكل التالي: ستة وثمانون (86) مقالا في صميم البلاغة، وثلاثة في مجال تحليل الخطاب، وخمسة عشر (15) بين البلاغة وحقول مجاورة لها. هذه المقالات ساهمت هيئة المجلة باثنين وعشرين (22) مقالا منها.

بالنسبة للترجمة، ضمّت الأعداد الصادرة تسع عشرة (19) ترجمة توزعت مواضيعها على الشكل الآتي: أربعة عشر (14) في البلاغة، وواحد (1) في مجال تحليل الخطاب، وثلاثة (3) بين البلاغة وحقول مجاورة، وواحد (1) في حقل مجاور. ساهمت فيها هيئة المجلة بـ ثمان (8) ترجمات.

---

[1]. المقصود بالدراسة التطبيقية تلك التي تشتغل على موضوع أو مفهوم معين من خلال عمل معين أو منجز معين، فإن اشتغلت على نص أو نصوص بعينها على عدة مستويات أصبحت تحليلية. بهذا المعنى كل دراسة تحليلية هي تطبيقية، وليس العكس. فدراسةٌ تشتغل على المصطلح عند الجرجاني هي تطبيقية، فإن اشتغلت على الحجاج مثلا في نص من نصوصه فهي تحليلية.

وقد أنجزت المجلة تسعة (9) حوارات، منها ستةٌ (6) مع أعلام في البلاغة وتحليل الخطاب، وعلى رأسهم رواد البلاغة العربية الجديدة: محمد العمري ومحمد الولي وحمادي صمود، وثلاثةٌ (3) مع أعلام في حقول معرفية مجاورة للبلاغة.

فيما يتعلق بركن "مصطلحات ومفاهيم"، اقترحت **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، أربعة (4) مصطلحات بلاغية جديدة بدأت تعرف طريقها للاستعمال، هي: **الخَطابية** مقابلا لـ Rhétorique، و**المُستمَع** مقابلا لـ Auditoire، و**التيقين** مقابلا لـ Conviction، **والتصديق** مقابلا لـ Adhésion، كما قدّمت لخمسة (5) مفاهيم مؤسِّسة للبلاغة، هي: **البلاغة**، **والاحتمال**، **والتطهير**، و**المحاكاة**، **واللفظ** (بمفهومه عند عبد القاهر الجرجاني).

فيما يخص ركن "متابعات ومستجدات"، قدمت المجلة ثمان عشرة (18) متابعة بمعدل كتابين في العدد، كلها في البلاغة عدا واحد في الترجمة.

وقد تضمن ركن "إشراقات تراثية" سبعة عشر (17) نصا، تم الالتزام بنصين في العدد ما عدا العدد الثاني عشر الذي تضمن نصا واحدا. وقد توزعت هذه النصوص بين عبد القاهر الجرجاني، بثلاثة (3) نصوص، ونصين (2) لكل من الجاحظ، وابن وهب، وأرسطو، ونص واحد (1) لكل من حازم القرطاجني، وأفلاطون وابن سينا والخطابي والسجلماسي، وعبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، والقزويني.

لا بد في نهاية هذا الاستقراء لحصيلة ما تم إنجازه من أعداد، أن نشير إلى مبادرة المجلة في تنظيم ندوتين دوليتين، كانت الأولى تحت عنوان: **سؤال المصطلح البلاغي**، نُشرت أعمالها في العدد التاسع، والثانية تحت عنوان: **البلاغة الجديدة بين التجربتين التونسية والمغربية**، نُشرت أعمالها في العددين الرابع عشر والخامس عشر؛ دون أن ننسى إصدار المجلة لكتابين من منشوراتها، واحد جماعي بعنوان: **الواقعي والمتخيل في بلاغة السيرة الذاتية، دراسات في سيرتي أشواق درعية وزمن الطلبة والعسكر للأستاذ محمد العمري** (2018)، والآخر تحت عنوان: **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري، نحو بلاغة عامة** (2019) لإدريس جبري.

انطلاقا من هذا الاستقراء، وعلى أساس تلك الإحصاءات للمنجز، تسجل هيئة المجلة مجموعة من الملاحظات والنواقص، نرصدها لتجويد قادم الأعداد، واستدراكا لما يمكن استدراكه. من بينها: ضعف مساهمات أعضاء هيئة المجلة في مواد الأعداد بالنظر إلى الثلاثين (30) إسهاما ضمن مائة وثلاثة وعشرين (123) مقالا وترجمة، رغم أن المبدأ هو إعطاء الأسبقية

لمقالات الباحثين خارج الهيئة. وهو النقص نفسه الذي نسجله بصدد ضعف اشتغالنا بالمصطلح وتجديده لما له من أهمية قصوى في بناء مشروع بلاغي جديد وبديل، وإن ظلت ندوة: **سؤال المصطلح البلاغي** حدثا متميزا في تاريخ البلاغة العربية المعاصرة. كما نعترف بتقصيرنا في تنويع الانفتاح على بعض الخطابات المعاصرة، خاصة ما يتصل بالخطاب الديني، أو الخطاب الإشهاري، أو الخطاب الفلسفي، أو الخطاب القانوني، أو الخطاب التاريخي، أو الخطاب الإعلامي، أو خطاب الشعارات، أو غيرها. يبقى أن نشير إلى أن العمل الذي تقوم به المجلة عمل نضالي دون ريب، لكنها مع ذلك أهملت الجانب النضالي في البلاغة من خلال ما قدمته عبر أعدادها. فليس، فيما نُشر فيها، أي مقال "نزل من الكراس إلى الناس"، بحيث تناول خطابا راج بين الناس كاشفا انزلاقاته ومغالطاته.

في ضوء هذه الملاحظات وانطلاقا من المنجز وما اكتنفه من مواطن القوة والضعف، وعلى إثر نقاش مستفيض بين أعضاء هيئة المجلة، وبعد استشارة عرّابَيها وسنديها الأستاذين: محمد العمري ومحمد الولي، واستدراكا لما تم إهماله، وتجويدا لمشروع المجلة، ومواكبة للتحولات الرقمية والثقافية والعلمية، تم أولا إنهاء العمل بالأركان، والقطع مع الهندسة "التقليدية" التي اعتمدتها المجلة لعقد من الزمن. ثانيا، اعتماد فلسفة الاشتغال على موضوع موحد والإلمام به لفائدة الأساتذة الباحثين وطلابهم، سواء من مدخل الترجمة، أو الحوار أو المتابعة أو غيرها مما يصب في مجرى وحدة الموضوع، وتعديد مراصده. ثالثا، التركيز على المواضيع المرتبطة بالبلاغة، مع إيلاء أهمية خاصة لتحليل الخطاب سواء في بعده النظري أو التطبيقي، وفي هذا الإطار ينبغي إعطاء حيز لتحليل الخطابات السائدة، خصوصا السياسية والدينية، وكشف مغالطاتها وأحابيلها. وفي حالة رواج خطاب مغالط، ينبغي العمل، ولو بالتكليف، على تحليله وفضح مغالطاته. رابعا، ردّ أي مقالة لم تحترم شروط النشر في المجلة إلى أصحابها، ويُطلب منهم ضبط المقال وفقها.

بناء على تقويمنا العام لما تم إنجازه في الأعداد السابقة، وفي أفق تدشين تصور جديد لها، ارتأينا أن يكون هذا العدد السادس عشر، خاصا بالبلاغة العامة بالمفهوم الذي تتبناه جماعة البلاغة وتحليل الخطاب، كما حدّده محمد العمري في كتابه **المحاضرة والمناظرة** (ص 89): «البلاغةُ إنشاءً هي: الخطابُ الاحتماليُّ المؤثر، المنجَزُ عن طريق الاختيار مناسبةً وإغرابا، لغرضِ خلقِ فُسحةٍ في ذهن الإنسان (تخيل)، وفسحةٍ بينه وبين الآخرين (تداول)، إفرادا وتركيبا (تخيل وتداول) [...] والبلاغةُ وصفا [هي]: العلمُ الذي يتناول الإنشاء حسب القواعد المعرفية». وفق هذا المفهوم، تناولت المقالات الثلاث الأولى لهذا العدد، الذي سميناه: **البلاغة العامة بين**

الطموح النسقي ومنظومة المصطلح، البلاغةَ العامة في جانب من جوانبها، كما يبدو جليا من خلال عناوينها؛ وهي: «البلاغة العامة وتحليل الخطاب الرقمي» لـ امحمد واحميد، و«التأريخ النسقي عند محمد العمري. المحطات والآليات» لسعيد العوادي، و«المعجم النسقي للبلاغة العامة» لعبد الرحيم وهابي وعبد القادر بقشى. في نفس السياق، ونظرا لكون التصور الذي ما زال سائدا للبلاغة يحصرها في شقها الشعري فحسب، فقد خصصنا مقالين للشق الأساس الثاني في البلاغة العامة؛ شقِّها الخَطابي الحجاجي، هكذا قدّم الحسين بنوهاشم، في مقال يحكمه الطابع البيداغوجي تحت عنوان «ما الحجاج؟»، تعريفا للحجاج انطلق منه للحديث عن خصائصه، لينتقل إلى الفرق بين البرهنة والحجاج قبل أن يتطرق إلى أنواع الحجج عند شاييم بيرلمان ثم إلى وسائل الإقناع عند أرسطو. وفي مقال بعنوان «الخطابة الجديدة بوصفها مشروعا لتجديد العقلانية الفلسفية» عمل عزيز قميشو على إعادة بناء مسار شاييم بيرلمان البحثي الذي انطلق من البحث عن منطق لأحكام القيمة بخلفية وضعانية ليصل إلى نظريته في الحجاج التي سماها خَطابية جديدة، تصدر عن رؤية فلسفية موسَّعة للعقل وتعيد المشروعية للحجاج بوصفه عقلانية عملية لتعليل الاختيارات وتسويغ القرارات. وقد ختمنا هذا العدد ببيبليوغرافيا لبعض ما صدر حول البلاغة الجديدة من باحثين مغاربة تحت عنوان «مكتبة البلاغة الجديدة بالمغرب» من إنجاز محمد الرواص.

ويسرنا في نهاية هذه الكلمة أن نرحب بالقادمَين الجديدين إلى هيئة المجلة الأستاذ محمد الرواص والأستاذ عزيز قميشو اللذين نستشعر في انضمامهما إلينا تعضيدا وإضافة نوعية لعملها. أملنا قوي في أن ينال هذا العدد رضى القراء، وأن يحظى تصورنا الجديد لعمل المجلة بالقبول والترحيب والتفاعل واستدراك ما يجب استدراكه نحو تجربة نريدها جديدة ونوعية. ونتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من سند المجلة في مسارها، ونلتمس عذر من لم نكن عند حسن ظنه، آملين أن ندشن تجربة رائدة لأفق بلاغي جديد، ومن مداخل متنوعة، بابُها البلاغة الجديدة.



Alexandra Saemmer



البلاغة العامة وتحليل الخطاب الرقمي

امحمد واحميد[1]

تقديم

تنطلق هذه الدراسة من فرضية الاعتماد على البلاغة العامة كمدخل لتحليل الخطاب الرقمي/الإلكتروني[2]، وقد آثرنا اعتماد مصطلح بلاغة وليس خَطابية[3] كمقابل لـ rhétorique/rhetoric بناء على كون النموذجين اللذين سنتناول تصورهما يستمدان مرجعياتهما من الخَطابية والشعرية الأرسطيتين، وأقصد هنا ما أوردته ألكساندرا سايمر (Alexandra Saemmer) في كتابها *La rhétorique du texte numérique*[4] وما أثاره سيرج بوشاردون (Serge Bouchardon) في كتابه *Littérature numérique: Le récit interactif*[5] دون إغفال بعض آراء دوغلاس إيمن (Douglas Eyman) في كتابه *Digital rhetoric*[6] ونماذج أخرى تناولت الرقمي من زاوية بلاغية.

لقد شكل الانتقال نحو بلاغة عامة تتناول جميع أنواع الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال تحولا جذريا في البلاغة العربية المعاصرة، على الرغم من عجز المقررات الدراسية والجامعية عن مواكبة هذا التحول عبر إدراجه ضمن الخريطة المعرفية لشُعب الدراسات العربية، سواء في الجامعات أو في مراكز التكوين.

---

[1]. أستاذ باحث في البلاغة وتحليل الخطاب، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

* أشكر الزميلين الأستاذ إدريس جبري والأستاذ الحسين بنوهاشم على قراءتهما لمسودة هذه الدراسة وعلى تصويباتهما الدقيقة.

[2]. من الضروري أن نفصل بين النص الرقمي (texte numérique) والنص المرقمن (texte numérisé)، فالثاني يُقصد به النص المعتمِد على الدعامة الورقية ويتم تحويله إلى الشاشة عبر التصوير أو ما يعرف بالملفات المحمولة (portable document format (pdf))، أما الأول فيقصد به النص المكتوب على الحاسوب ليُقرأ على أية دعامة رقمية. للتفصيل في الأمر يُنظر:

.Bouchardon (Serge), «Littérature numérique: 10 marches à franchir ? Mind the gap! 10 gaps for Digital Literature?», [Sur le web], http://www.utc.fr/~bouchard/Bouchardon-ELO18-francais.pdf, (25/10/2021).

[3]. جدير بالإشارة هنا أن مصطلح خَطابية من نحت الأستاذ محمد العمري كمقابل لريطورية أرسطو، يُنظر: **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 13؛ وللتوسع في سياق التأسيس لهذا المصطلح يُنظر: جبري (ادريس)، **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري. نحو بلاغة عامة**، ص 171-174.

[4]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique: Figures de la lecture, anticipations de pratiques,* Presses de l'enssib, 2015.

[5] Bouchardon (Serge), *Littérature numérique: Le récit interactif*, Hermes Science Publications, 2009.

[6]. Eyman (Douglas), *Digital Rhetoric. Theory, method, practice*, University of Michigan Press, 2015.

لذلك فغايتنا من هذا المقال، البحث عن المداخل الممكنة لدراسة الخطاب الرقمي/الإلكتروني[1]، سواء كان أدبيا (Digital Literature) أو غير أدبي، من منظور البلاغة العامة[2]. فهذه الرؤية الجديدة للبلاغة، تسمح بالانفتاح على كل الخطابات التخييلية والحجاجية انطلاقا من كونها خطابات احتمالية غايتها التأثير إما تخييلا أو تصديقا أو هما معا. وهذا سيقتضي منا البحث في هوية الكتابة الرقمية ومؤسِّساتها التي تسمح بإدراجها ضمن خريطة البلاغة الجديدة، سواء في شقها العام (البلاغة العامة)، أو في شقها الخاص (البلاغة الخاصة)، وهو ما سيسمح بتوسيع أراضي "الإمبراطورية البلاغية" من جهة، وباستبعاد كل المقاربات التي ترجع بالبلاغة إلى زمن الاختزال عبر اقتباسات تجزيئية تعاود نقل العتاد من الورقي إلى الرقمي، وتُكرِّس لاستخراج الصور والأمثلة من النصوص الرقمية، بعيدا عن دراستها نسقيا كنصوص تستثمر كل ما تتيحه الوسائط الحديثة من تقنيات بصرية وصوتية وأيقونية.

1. البلاغة العامة: المنطلق

قبل أن نحدد هوية الخطاب الرقمي ومرتكزاته ومرجعياته، من الضروري أن نقف عند تحديد البلاغة في تصورها الجديد (البلاغة العامة)، حتى نستطيع تبرير المنطلق الذي ندافع عنه في هذه الدراسة، وحتى لا يلتبس استخدامنا لمصطلح بلاغة بما تراكم حوله منذ زمن السكاكي ومن جاؤوا بعده[3]. فالرؤية التي ننطلق منها والتي أسس لها محمد العمري ومحمد الولي تخصيصا، سواء من خلال البلاغة العامة التي شكلت ملتقى الخطابين الحجاجي والتخييلي عند الأستاذ العمري، أو انطلاقا من مشروع تجديد الشعرية وتأسيس خَطابية حديثة عند الأستاذ

---

[1]. يعرّف الأستاذ سعيد يقطين النص الإلكتروني بأنه «النص الذي يتحقق على شاشة الحاسوب بناء على تطوير وسائل الاتصال الحديثة، ولخلق أساليب جديدة للتواصل بين الناس تتعدى ما كان معروفا مثل الهاتف والفاكس، إلى التواصل المتكامل ب/مع واسطة جديدة للاتصال والتواصل والإبداع، بشروط ومظاهر مختلفة»، **من النص إلى النص المترابط**، ص 122.

[2]. إن هذه الرؤية الموسعة للبلاغة (الخطابة) هي منطلق ألكساندرا سايمر في دراستها للنص الرقمي، حيث تتبنى التعريف الموسع لجان ماري شايفر(Jean-Marie Schaeffer) وأوزفالد ديكرو (oswald ducrot) حيث يعتبران « «البلاغة هي أساس أي خطاب... والأدبي من باب أولى»، هذا التعريف الموسّع للبلاغة هو ما سأحتفظ به»، انظر:

Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 30.

[3]. للاطلاع على التصور الذي ننطلق منه يمكن العودة إلى كتب محمد العمري وخاصة:
- **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2005.
- **المحاضرة والمناظرة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2017.

الولي[1]، ترتكز على انفتاح البلاغة على خطابات جديدة تمتد من الهذر في أسفل السلم، حتى حدود الخطاب البرهاني في أعلاه. فقد «كان بناء خَطابية جديدة ضرورة منهاجية للخروج من ضيق الشعرية البنيوية والأسلوبية النصية إلى سعة البلاغة في بعديها التخييلي والتصديقي (الإقناعي)، الشعري والخَطابي، بالمعنى الواسع للشعر والخطابة محددين بالوظيفة مهما تعددت التحققات، وتنوعت التجليات»[2].

فبناء على هذا الجمع بين بلاغتين، بلاغة الحجاج وبلاغة المحسنات، ضمن بلاغة عامة، انتهى محمد العمري إلى تعريف موضوع علم البلاغة بأنه: «الخطاب الاحتمالي المؤثر القائم على الاختيار مناسبة أو إغرابا. الاحتمال نابع من بناء الخطبة على ادعاء الصدق مع احتمال الكذب (الخيال)، وبناء الشعر على ادعاء الكذب مع احتمال الصدق. فالخطابة تستعمل الأشكال المنطقية بمقدمات ومضامين احتمالية، والشعر يستعمل الاستعارة في أفق أسطوري»[3]. إن هذا البعد الاحتمالي لموضوع علم البلاغة سيقودنا لاحقا نحو إبراز طبيعة الكتابة الرقمية والنص الرقمي، وما يفتحانه من إمكانات أمام الكتابة والقراءة، سواء على مستوى هندسة النص (الإنشاء[4] production)، أو على مستوى الربط بين النصوص والوسائط المتعددة (multimédia)، ليستثمر النص الرقمي بقوة ما يعرف بتعدد العلامات في تقديم محتواه.

2. أساس البلاغة العامة: الاحتمال والاختيار

إن تأسيس بلاغة عامة تتولى دراسة جميع أنواع الخطاب القائمة على الاحتمال، لم يتحقق للأستاذ محمد العمري إلا بعد قضاء أربعة عقود من البحث المضني في دروب البلاغة ومسالكها، وذلك بحثا عن منطقة تتقاطع فيها خطابات قد تختلف هدفا ونواة مؤسِّسة، إلا أنها تلتقي في منطقة المحتمل[5].

---

[1]. لمزيد الاطلاع على مسارات التجديد البلاغي عند الأستاذ محمد الولي يمكن العودة إلى تقديم أستاذنا محمد العمري لكتاب أستاذنا محمد الولي: **فضاءات الاستعارة وتشكلاتها، في الشعر والخطابة، والعلم والفلسفة، والتاريخ والسياسة**، ص 5-8.

[2]. العمري (محمد)، تقديم كتاب الولي (محمد)، **الخطابة والحجاج**، ص 7-10.

[3]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة**، ص 47.

[4]. اعتمدنا في مقابلة "Production" بـ"إنشاء" على ما أورده أستاذنا محمد العمري في مقدمة كتابه **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 14.

[5]. العمري(محمد)، **البلاغة الجديدة**، ص 17.

فالبلاغة العامة ترتكز على تغيير النظرة إلى البلاغة لتصير علما «له موضوعه، وله مفاهيمه الإجرائية وله غاياته المحددة. فالبلاغة، بهذا المعنى، علم، ككل العلوم، له قواعد تحكمه، وقوانين ينتظم فيها؛ ولها موضوع محدد، يتجلى في الخطاب الاحتمالي، وهو توسيع لمجالها وتمديد له؛ ولها غايات تتمثل في تحقيق التأثير على المستمَع بأنواعه، وبوسائل متنوعة»[1].

فمجال اشتغال البلاغة يتسع ليشمل كل الخطابات المؤثرة المبنية على الاحتمال بلونيه، التخييلي (الشعري) والتداولي (الحجاجي)، وما دام الاحتمال كأساس يعتمد الاختيار كإجراء لتحقيقه، أي أن الاختيار يستلزم الاحتمال[2]، فمن الضروري استحضار هذا البعد في مقاربتنا للكتابة الرقمية ولآليات اشتغالها، سواء في بحث أبعادها الاحتمالية، أو في ارتكازها على الاختيار كآلية للإنشاء (الكتابة) والتلقي (القراءة)، ف«"الاختيار" يستلزم الاحتمال، لا يُتصور في غيابه. الاختيار و"التخيير" يستلزم وجود احتمالات نختار من بينها، هذا تحصيل حاصل»[3].

فالنص الرقمي/الإلكتروني يختلف عن النص الورقي بتغير دعامته (support)، وهما ينتميان إلى جنس الكتابة، غير أن المضاف التقني (الحاسوب) أتاح للكتّاب فرصة التحلُّل من إكراهات الدعامة الورقية وبناها المختلفة، واستثمار التقنيات الحديثة في ابتداع أجناس جديدة تعتمد على تعددية العلامات (لغوية، بصرية، صوتية...)، بدل الأحادية العلامية، وهو ما من شأنه أن يمتد إلى تغيير أطراف العملية الإبداعية (الكاتب-النص-القارئ)، ويفتح باب القراءة على احتمالات عديدة.

إن البعد الاحتمالي للنص الرقمي نابع من أفق الكتابة، فهو نص استُثمِرَت فيه كل الإمكانات اللغوية وغير اللغوية التي تتيحها الدعامات الإلكترونية (حاسوب، هواتف ذكية، لوحات إلكترونية...)، بل إن سوابق الكتابة الترابطية[4] (hypertextualité) تعود إلى النص الورقي[5]،

[1]. جبري (ادريس)، **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري**، ص 192.

[2]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة**، ص 42-43.

[3]. نفسه، 43.

[4]. يُقصد بها صنف من الكتابة المنظمة على صيغة شبكة، موجهة ومكتوبة على الشاشة، تؤطرها النوافذ العديدة للعرض بشكل متصل بعضها ببعض، وهي «في الإعلاميات تعني طريقة لتقديم مجموعة من المعلومات المتصلة بعضها ببعض سواء بشكل نصي أو غير نصي». انظر:

Vandendorpe (Christian), *Du papyrus à l'hypertexte. Essai sur les mutations du texte et de la lecture*, p. 113.

[5]. يقول فاندیندروب (Vendendrope): «إن نظرية الأدب تستعمل أيضا مصطلح النص المترابط بمعنى آخر مختلف. هكذا، بالنسبة لجيرار جنيت، فالنص المترابط يعني «كل نص مشتق (مقتبس) من نص سابق عبر تحوير بسيط... أو عبر تحوير غير مباشر. بهذا المعنى فكتاب **عوليس** لجيمس جويس، سيكون نصا مترابطا مع الأوديسة لهوميروس. ومع ذلك، فالترابط النصي اليوم، كما يأتينا من المعلوميات واستخدام الشابكة، يقترب

فالحواشي والتعليقات والهوامش هي تجسيد قبلي للترابط النصي؛ بل إن ميلاد الترابط النصي كان نتاجا للمحاولات التي بذلها باحثون في الإعلاميات والحساب الآلي بحثا عن أسلوب يمكنهم من تخزين الوثائق والنصوص كيفما كان نوعها (كتب-مقالات-ملاحظات شخصية-تعليقات...) وتصفحها واسترجاعها، والبحث فيها، عن طريق ربط بعضها ببعض، بحرية وسهولة، كلما دعت الحاجة إلى ذلك[1].

3. الكتابة الرقمية: تحولات الدعامة والانفتاح على احتمالات الكتابة والقراءة

1.3. اللاخطية وامتدادت الاختيار بين الكتابة والقراءة

يعرَّف النص الرقمي المترابط[2] بأنه «جماع نصوص وعلامات من مصادر وطبائع متعددة كل نص هو بمثابة وحدة مستقلة عن غيرها، وليست متفرعة أو متشعبة عن أصل معين»[3]. تتأسس الكتابة على تغيير دعامات الكتابة والقراءة من الورقي إلى الرقمي. فدخول الحاسوب معادلة الكتابة عامة والأدبية على وجه الخصوص، ترتب عنه تغيير في آليات الكتابة ومعها آليات القراءة، وهي تحولات واكبت الأدب منذ عصر الشفاهية مرورا بالكتابة (المطبعة) وانتهاء بالحاسوب[4].

فإلى حدود ستينيات القرن الماضي، ظل الاعتقاد سائدا بأن تأثير الحاسوب سيقتصر على الميادين العلمية والتقنية، غير أن هذا الجهاز هو اليوم، إلى جانب ما صاحبه من وسائل تقنية، بصدد تثوير حتى آليات الحضارات في الإبداع، والتخزين ونقل المعرفة، بل إن تأثيره شمل حتى تغيير أهم أداة (ويقصد هنا النص) ابتكرها الإنسان لبناء معارفه وتوضيح صورته عن ذاته وعن العالم[5].

من مصطلح التناص المقترح من قبل جوليا كريستيفا والذي أعاد تعريفه ميشيل ريفاتير بتلقي القارئ للعلاقات القائمة بين عمل إبداعي وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة». انظر:

Vandendorpe (Christian), *Du papyrus à l'hypertexte. Essai sur les mutations du texte et de la lecture*, p. 113-114..

[1]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 98.

[2]. «الترابط في النص سمة إنسانية لأنه يجسد لنا أحد أهم مقومات النص، والتي تتجلى في كون أي نص هو ملتقى "علامات" نصية متعددة (التفاعل النصي). والعلاقة التي يتحدد من خلالها هذا التفاعل بين النصوص يجد مستنده في حضور "الترابط" بين مختلف النصوص التي ينظمها النص المحدد في نطاق بنيته الخاصة». يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 163.

[3]. يقطين (سعيد)، **النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: نحو كتابة رقمية عربية**، ص 30.

[4]. وقد اعتبر جورج فينيو (Georges Vignaux) المكتبات أصلا من أصول الترابطية، فهي قاعدة ضخمة للمعطيات تسمح للقارئ بالتجوال/الإبحار أمام هذا الكم الهائل من المصنفات. انظر:

Vignaux (Georges), «L'hypertexte. Qu'est-ce que l'hypertexte ? Origines et histoire», p. 2, [Sur le web], 2003, https://edutice.archives-ouvertes.fr/edutice-00000004, (10/05/2021).

[5]. Vandendorpe (Christian), *Du papyrus à l'hypertexte. Essai sur les mutations du texte et de la lecture*, p. 7.

فالأدب الرقمي من أهم إفرازات تفاعل النص بالتكنولوجيا، حيث استثمر الكتّاب والمبدعون الدعامة الإلكترونية لابتكار صيغ جديدة للكتابة مفتوحة على احتمالات قرائية لا نهائية؛ فالنص الأدبي الرقمي استطاع عبر الوسيط الإلكتروني أن يتجاوز إكراهات الدعامة الورقية؛ فإذا كانت الخطية (linéarité) ميزة أساسية للكتاب الورقي؛ حيث يُبنى بشكل تدريجي من المقدمة حتى الخاتمة ومعها الفهرس، بل إن المعنى في الكتاب الورقي يتوزع عبر فصوله ومباحثه وخاتمته وغلافه؛ فإن الأدب الرقمي يعتمد البناء اللاخطي (non linéaire)، إذ يتيح للقارئ مداخل متعددة لقراءة النص عبر مجموعة من الأيقونات والروابط التي تفتح أمامه إمكانات عديدة لاختيار مسار قرائي مختلف. فاللاخطية هي نتاج ما تتيحه الدعامات الإلكترونية من إمكانات لاختيار هندسة للنص تختلف بكل المقاييس عما تتيحه الدعامات الورقية. فحول النص الورقي تشكلت مجموعة من الدعائم تتمثل في الخطية، الكلية، الانسجام، الاتساق... وقد أحل النص الإلكتروني محلها دعائم بديلة مثل اللاخطية، الشذرية، الانفتاح، التفاعل[1]. فنفي الخطية، وهي جوهر التنظير لطبيعة النص المترابط، تكمن في القول بالسببية الدورية بدل السببية التقليدية القائمة على الخطية، لأن فكرة الترابط هي محاكاة للدماغ البشري الذي يعمل على أساس الترابط[2]. فتكسير الخطية جعل البعض يعتبر القراءة الرقمية (نسبة إلى طبيعة الدعامة الرقمية) قراءة غير متأنية، سريعة وبالتالي سطحية، إلى درجة أن البعض يفضل عدم الحديث عن قراءة[3]. إنها نقيض القراءة على الدعامة الورقية المقدمة على أنها متأنية (بطيئة)، ومركزة[4]. في مقابل هؤلاء هناك من يرى أن ظهور الكتابة الأدبية الرقمية هي إفراز لما سمي بتراجع فئة كبار القراء[5]، لذلك ظهرت، بالتزامن مع تحولات النص في زمن الرقميات، دراسات بدأت تبحث في القراءة الرقمية والقارئ الرقمي وتحولات القراءة عامة في زمن الدعامات الرقمية (حاسوب، لوحة، قارئة، هاتف ذكي...)[6].

---

[1]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 158.

[2]. نفسه، 94.

[3]. يشير الأستاذ سعيد يقطين في هذا السياق إلى أن قراءة النص المترابط تستدعي أبجدية الحاسوب، كما تستدعي معرفة كيفيات إنجاز النص المترابط، وهي أدبيات تسمح للقارئ الكريم (ويقصد به القارئ المتأني، الصبور) بالوصول إلى تحصيل معرفة محددة عن النص المترابط، أما القارئ الجوال فإن الطبيعة المترابطة للنص قد تقوده نحو المتاهة والضياع. انظر: **من النص إلى النص المترابط**، ص 134-135.

[4]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*. p. 10.

[5]. Enquêtes sur les «Pratiques culturelles des Français», Ministère de la Culture et de la Communication, depuis 1973, [Sur le web], http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr, (20/10/2012).

[6]. البعض يشكك في الوجود الفعلي للقراءة خارج الكتاب الورقي ومع الأسانيد الرقمية، لذلك توصف القراءة هنا بأنها قراءة مزيفة (pseudo lecture).

إن أبرز ما أنتجه الانتقال نحو الدعامة الرقمية، هو إدماج الحركة والبرمجة في مسار إنتاج النص وتلقيه، فالنص المتحرك أو النص النشيط هو نص تتخذ فيه الكلمات صيغتي الظهور والاختفاء، والدوران، والتحول على الشاشة. لذلك تغيرت وضعية القارئ حيالها كليا. لأن النص المتحرك هو أيضا خاضع للبرمجة. فالبرماج يُعِد شكل الكلمات على الشاشة ويأخذ بعين الاعتبار تفاعلات القارئ خلال مسار العمل الإبداعي. لذلك يُعتبر الأدب الرقمي، أدبا إشكاليا، إذ يفرض الانتقال من الورقي نحو الرقمي، أخذ سؤال دعامته بعين الاعتبار، وأيضا جهاز تلقيه. إن النص لم يعد قابلا للانفصال عن دعامته ومحيطه التقني (عدم قابلية النشر/الطبع الورقي)، إنه يحمل عدوى الوسائط التي يتقاسم معها فضاءه، إنه صار مجرد نتيجة، أي الجزء المرئي لمجموعة من عمليات البرمجة. فالأدب الرقمي يحاول إنزال النص من "عرشه"/ مركزيته، والتخلص الممكن منه[1]، وهو ما يفتح باب البحث في أسئلة الأدب، ومفهومه وطبيعته ووظيفته، أي بشكل أدق ما يعرف بنظرية الأدب.

فقد أتاحت الوسائط المتعددة إمكانات تفاعلية من خلال إتاحة المبدعين والكتاب «نمطا من التعبير التفاعلي يزخر بالإمكانات، ومفتوح على الاحتمالات التي لا يمكننا منها أي نمط تعبيري آخر (موسوعة إنكارطا)»[2].

3. 2 الأدب الرقمي: من اللاخطية والترابطية إلى التفاعلية

يعتبر الكتاب منتَجا يحاول من خلاله الكاتب أن يقدم رؤيته للعالم في صيغة عمل إبداعي، ويعمل عبر الورق (الكتاب) على إذاعة أفكاره بين القراء عن طريق هذا الوسيط، غير أن الانتقال من الورقي إلى الرقمي يعني تحولا في طبيعة هذه المكونات الثلاثة، فالكاتب ينتقل من كاتب ورقي إلى كاتب رقمي، والنص يتحول من نص ورقي إلى نص رقمي، كما يتحول القارئ من قارئ ورقي إلى قارئ رقمي. فالانتقال من طبيعة ورقية إلى رقمية يحمل معه تحولات كبرى؛ فإذا كانت الكتابة الورقية تخضع لشروط المؤسسة الثقافية بكل مكوناتها من دور نشر ومؤسسات بحث ومراكز ثقافية، وهي كلها سلط قد تحول بين المبدع وقرائه، فإن الدعامة الرقمية تتيح للمبدع الرقمي فرصة التحلل من هذه السلط، إذ تفتح الشابكةُ أمامه إمكانية نشر كل أعماله على نطاق واسع ودون أي قيود سوى ما يرتبط بالربط والحاسوب أو أي جهاز إلكتروني يمتلك القدرة على الربط ومعالجة النصوص وما يتصل بها. فهامش تحرك المبدع الرقمي أوسع بكثير

[1]. Clément (Jean), «Préface, Une Littérature problématique», p. 10.

[2]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 103.

من هامش تحرك المبدع الورقي، كما أن حجم القراء يختلف، على اعتبار منسوب النشر المرتفع ومنسوب التلقي والتفاعل الذي يتيح إمكانية رصد تفاعل القراء من مختلف أنحاء العالم وبطرق أسرع من ترقب ردود فعل النقاد والقراء على مستوى الكتابة والنشر الورقيين.

وتُعتبر العلاقة بين الرقمي والإبداع الأدبي إحدى أبرز تجليات التحول[1]، فهي لا تخلق توترا فقط على مستوى المعنى، بل تتجاوز ذلك إلى مستوى الشكل، فظهور هذه الوسائط الرقمية واستثمارها في حقل الإبداع الأدبي من شأنه أن يخلخل البنية الشكلية للأدب، علما أن ما يميز الأدب هو هذا الترابط الوثيق بين المعنى والبناء/ الشكل/ المضمون، وهي أسئلة استثمرها البعض ليكشف حجم التحول الذي يمكن أن تحمله الوسائط خاصة للإبداع الأدبي وطرق تلقيه، بل وامتدادات ذلك للمجتمع. فالتغيير الذي أفرزه الانتقال من الدعامة الورقية إلى الإلكترونية (من الصفحة إلى الشاشة)، تجاوز حدود الكتابة ليمتد إلى القراءة (التلقي)، فالمحكيات الترابطية، تقترح قراءة غير خطية لمقاطع مترابطة عبر روابط. فالإبحار الترابطي يسمح أيضا لكل قارئ (مبحر) باتباع مسار واحد ضمن كل محكي والروابط يمكن أن تكون ثابتة... ويمكن أيضا أن تكون دينامية: فإذا قام القارئ بالنقر لعدة مرات على نفس الرابط، سواء ضمن نفس المسار القرائي، أو ضمن قراءة موالية، فلن يرى بالضرورة نفس المقطع[2]. ولكل هذه الأسباب، اعتبر منظرو الكتابة التفاعلية اللاخطية هي السمة المميزة لهذا الجنس من الكتابة؛ فالكتابة على الدعامة الورقية تتنامى وفق بنية خطية وعلى الدعامة الرقمية وفق بنية لاخطية[3]. إن الأمر يتصل خاصة في التجربة الأمريكية بمنسوب الحرية الذي تعزز كثيرا، ليتم استثمار النص الرقمي «على نحو يسمح بتعزيز مزيد من هوامش الحرية للقارئ، وبتحرير فعل القراءة إلى أقصى الحدود الممكنة»[4].

4. الكتابة التفاعلية بين التأثير والإقناع

لقد أتاحت التفاعلية هامشا واسعا لأطراف العملية الإبداعية، فقد غيرت شكل النص وهندسته بشكل يكاد يكون جذريا، ومنحت القارئ هامشا واسعا للتحكم في المعلومات ومواد

[1]. يعتبر البعض الشابكة مختبرا للأدب، فالطفرة التي شهدتها الإعلاميات أسهمت في فتح معابر جديدة أمام الأدب عبر توسيع فرص الانتشار، وإمكانيات ظهور كُتّاب جدد، إذ نجد في الصين مثلا بعض دور النشر التي تنتظر نجاح بعض الأعمال الأدبية على مستوى الشابكة لتحولها إلى النشر الورقي، انظر:

Clément (Jean), «Préface. Une Littérature problématique», p. 8.

[2]. Bouchardon (Serge), «Le récit littéraire interactif: une valeur heuristique», pp. 81-97.

[3]. Bouchardon (Serge), *Littérature numérique. Le récit interactif*, p. 74.

[4]. عمري (إبراهيم)، «الأدب الرقمي وتحديات نظرية الأدب من مد الجسور إلى سؤال الكينونة»، ص 17.

التواصل حسب اختياره الخاص، وهو ما يحوله من متلق منفعل إلى متلق فعال منتج، ينتقل «بين المعلومات على النحو الذي يرغب فيه لتحقيق غايات ومقاصد معينة، وفي الوقت الذي يريد وهو لا يبرح مكانه»[1]. وتعتبر هذه الترقية الخاصة بالمتلقي من مستوى القراءة إلى مستوى الإنتاج أكبر عامل من عوامل التأثير[2]، فتخصيص هامش واسع في هندسة النص للقارئ، يؤشر على بداية الانتقال من القارئ المنفعل، إلى القارئ الفاعل /الكاتب[3]، القادر على المشاركة في بناء النص سواء عبر عملية القراءة والتحريك (manipulation)[4]، أو عبر الكتابة الفعلية والتدخل في صناعة النص. فـ«تقنية النص المترابط، تشتغل بقوة في إعطاء النص شرعيته التي لا تكتمل إلا مع كل قراءة، على اعتبار أن هذه التقنية تمنح للقارئ من جهة خيارات في القراءة، وحريةَ تدبرِ طريقة تلقي النص. كما تجعله يحقق فعل الإبحار بالشكل الذي يختاره، بل يمكن لقارئ نفس النص أن يحقق مع كل قراءة نصا مترابطا قد لا يشبه النص السابق. وهنا يدخل فعل التفاعل باعتباره تقنية وظيفية في القراءة»[5].

وتعتبر الكتابة الموسوعية (wiképédia مثلا) خير مثال على التحول نحو الكتابة التفاعلية، إذ يفتح النص أمام القارئ/المبحر إمكانات عديدة للبحث عن المعلومة، وذلك عبر تنشيط الروابط التي تقوده نحو نصوص متصلة، كما تمنحه إمكانية إجراء تعديلات على النص، بل وإنشاء نصوص جديدة، فهو يجد نفسه «أمام عدد لامحدود من المواد التي يمكنه أن يصنفها،

---

[1]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 60.

[2]. رغم موقف الأستاذ سعيد بنكراد "الرافض" للإبداع الرقمي (الأدب الرقمي)، إلا أن تشخيصه للتحول من التمثيل اللفظي إلى البصري والسمعي جدير بالاهتمام، يقول: «إن التمثيل اللفظي، على عكس الأنساق الأخرى، قادر على تفجير أكثر الطاقات الانفعالية عمقا وغموضا وإبهاما وصبها في تجارب مرئية من خلال الصورة والسمع والشم، تلكم هي المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التصور الرقمي للأدب. فليس غريبا أن نكتب الرواية باللفظ، وهو مادتها الأساس، كما هو الشعر وغيره من الفنون اللفظية أيضا، ونقدم في الوقت ذاته كل معادلاتها - أو البعض منها - كما يمكن أن تبدو من خلال الأنساق الأخرى (الصورة أو الصوت)». انظر: «الأدب الرقمي: جماليات مستحيلة»،[على الويب]

http://saidbengrad.free.fr/ar/numerique.htm (30/11/2021).

[3]. إن قابلية الرابط التشعبي للتحريك قد تم تأويلها أحيانا على أنها "تفاعلية" حيث تمنح القارئ إمكانية تعديل النص؛ وهذا التعديل اعتُبر معادلا لفعل الكتابة: (wreader-القارئ-الكاتب). انظر:

Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 46.

[4]. manipulation: التحكم في الشيء وتحريكه. وما نود الإشارة إليه هنا، هو أن عددا هائلا من الوصلات الإشهارية على الشابكة تتأسس على التحكم والتحريك من قِبل المستعمل، سواء عن طريق تحريك عنصر على الشاشة، أو تنشيط رابط lien، وأحيانا عبر إدخال نص جديد، وكلها عناصر تكشف قمة التفاعلية. انظر:

Bouchardon (Serge) , «Des figures de manipulation dans la création numérique», p. 37.

[5]. كرام (زهور)، **الأدب الرقمي. أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية**، ص 46.

ويرتبها وفق رغبته: حسب الزمان، الفضاء، أو الموضوعات، ويمكنه أن يكوّن ملفات خاصة، يمكن لكل منها أن يشكل خزانة خاصة به تفيده في تحصيل المراد. إن هذا النوع يبين لنا بجلاء الدور الكبير الذي يضطلع به القارئ في "إنتاج" النص الذي يتفاعل معه»[1]. بل إن تجارب الكتابة صارت اليوم تفتح أمام القارئ إمكانية اختيار أحد مسارات الأحداث، بل وإمكانية أن يصير هو بطل القصة[2]. فـ«**التفاعلية هي خاصية للعلاقة التي تقوم بين القارئ والبرنامج. إنها قدرة تُمنح للقارئ وإكراه يُخضع البرنامج: يمنح العملُ القارئَ قدرة التأثير في تركيب العلامات المقترحة للقراءة ويفرض العمل نفسه على البرنامج أن يتجاوب مع بعض المعلومات التي يقدمها القارئ**»[3].

إن الدعوة هنا تتجاوز حدود التأثير نحو التوريط، فالقارئ لا يكتفي بقراءة الأحداث ومتابعتها، بل قد يصير صانعها والمتحكم في مساراتها، وهي آليات استُثمرت فيها خطاطات استباقية تم تجريب بعضها في التجارب الورقية[4]، قبل أن تجد في الدعامة الإلكترونية أرضها الخصبة وحقل تجاربها الواسع.

---

[1]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 141.

[2]. يقول سعيد يقطين: «امتدت الكتابة التجريبية لتتسع لأشكال وأنواع لا حصر لها من الكتابة لم تكن مطروقة في السابق (تجربة "أوليبو" في مرحلة أو تجربة الرواية التي يكون فيها القارئ هو البطل، لأنه هو الذي يتحكم في مسار القراءة (التي لم تبق خطية)، وصار هو الذي يقوم ببناء القصة بناء على اختياراته المتعددة للمجرى الذي يمكنه من القراءة والمتابعة، في مرحلة أخرى». انظر: **من النص إلى النص المترابط**، ص 121.

[3]. بوتز (فيليب)، «ما الأدب الرقمي؟»، ترجمة أسليم (محمد)، ص 105، والتشديد من المترجم.

[4]. يمكن الإشارة في هذا الإطار إلى:

تجربة رايمون كينو (Raymond Queneau):

Cent mille milliards de poèmes, Gallimard, 1961.

وتجربة مارك سابورتا (Marc Saporta):

Composition n°1, Éditions du Seuil, 1962.

فالأول اعتمد على حرية القارئ في بناء قصائده (عبر استثمار التوليفات أو الاختيار في أقصى درجاته، حيث يستطيع كل قارئ أن ينشىء قصائده انطلاقا من التوليف بين أبيات مختلفة)، وتتطلب قراءة عمله مائتي مليون سنة بمعدل قراءة يومية متواصلة، أما الثاني فقد كتب رواية عبر 148 مقطعا سرديا يمكن تغيير ترتيبها لقراءة عمل يختلف عن سابقه، فالنص في كلا العملين مفتوح على احتمالات لا نهائية في البناء والقراءة.

5. المقاربة البلاغية للنصوص الرقمية

1.5. المدخل الأول: الخَطابية الأرسطية

إن عودتنا إلى الحديث عن الخَطابية الأرسطية كمرجعية لدراسة بلاغة النص الرقمي نابعة من الطبيعة الاحتمالية للنص الرقمي وخاصة الإبداعي منه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لكون هذا الاحتمال مفتوحا على اختيارات متعددة، سواء على مستوى بناء النص، أو على مستوى قراءته والتفاعل معه. ويعتبر كتاب ألكسانرا سايمر:

Rhétorique du texte numérique. Figures de la lecture, anticipations de pratiques[1]

نموذجا لاستثمار خَطابية أرسطو في دراسة النص الرقمي، حيث اعتمدت الكاتبة على خماسية الإيجاد والترتيب والعبارة (الصياغة اللغوية أو الأسلوب) والذاكرة والإلقاء في مقاربتها، حيث تقول: «إن خطتي تندرج ضمن الخَطابية الجديدة (La nouvelle rhétorique) مع بيرلمان، ونظريات التلقي مع إيزر وياوس، مع الأخذ بعين الاعتبار ماديات التواصل. إنها آليات/أدوات للتحليل البلاغي والسيميوطيقي ستسمح لي بتحديد قدرات النص الرقمي بالدقة الضرورية»[2]. فعودتها إلى الخَطابية نابع من اقتناعها أن الخَطابية قادرة على مدها بالعدة النظرية لاستكشاف آليات اشتغال النص الرقمي، سواء في صيغته الأدبية/التخييلية، أو في صيغته الإخبارية-الإعلامية/الحجاجية. لذلك، فهي تعتبر البلاغة قد «اقترحت دائما، عبر أساليبها، بنينة للواقع المقدم للحشد. فبلاغة النص الرقمي التي نتناولها هنا هي في الآن نفسه علم للنص باعتبارها تدرس هذا الأخير كمادة مفترض أنها دالة، وعلم لقراءاته باعتباره يتوجه صوب ممارسات فردية متقاسمة اجتماعيا لهذه البنينة للواقع»[3].

إن ألكسندرا سايمر لم تُقْدِم في مقاربتها للنصوص الرقمية على تجريب الأدوات البلاغية قبل اتخاذ مجموعة من المحاذير، ومنها رفض إسقاط الآليات البلاغية على النص الرقمي، مستثمرة إمكانية تهجير بعضها من النص الورقي إلى النص الرقمي[4]؛ فالأسئلة التي يطرحها

---

[1]. وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب قد صدر في نسختين، واحدة ورقية وأخرى رقمية، وبعد المقارنة بينهما وجدنا اختلافا في الصفحات وقد تمت الإشارة إلى ذلك في الغلاف الداخلي للكتاب للتمييز بين النسخة الورقية (المطبوعة) وبين النسخة الرقمية المتوفرة على الشابكة.

[2]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p.13.

[3]. نفسه، 15.

[4]. تعتبر الكناية إحدى النماذج التي توقفت عندها سايمر، حيث اعتبرت أن الروابط (les liens) يمكن أن تكون عبارة عن كنايات مفسّرة، فهي في النص الورقي تترك هامشا للقارئ لتمثل العلاقة بين طرفي المعنى، إلا

المدخل البلاغي لتحليل النص الرقمي تتمثل في بحث المعاني التي يمكن توليدها عبر الربط بين نصين أو أكثر بروابط تشعبية (Hyperlink)[1]، فهل نستطيع أن **نحاجج** عن طريق الرابط التشعبي؟ هل نستطيع **حكي** حكاية؟ أين يمكن موضعة الروابط التشعبية لتوجيه انتظارات وممارسات القارئ في هذا الاتجاه أو ذاك؟ ما هو مكمن **قوة إقناع** نص متحرك؟[2] وكيف يمكن للروابط أن تجمع بين الكناية وتأويلها عبر استخدام الصورة؟ وهل يمكن الحديث عن بلاغة لتلقي النص الرقمي[3]؟

إن بلاغة الرقمي تقترح أدوات ومنهجيات تحليل، غير أنها (الأدوات) مسبوقة بشرط معرفة إمكانات النص الرقمي، فهي تساعد كلا من القارئ والكاتب على التمكن من النص بشكل أفضل، سواء في سياق جامعي، أو مدرسي، أو جماهيري، أو خاص، أو مهني أو للمتعة فقط.

فرغم أن الباحثة تعلن منذ البداية عن الخَطابية كمرجعية لتحليل النص الرقمي، وتستحضر المسار التاريخي للبلاغة الغربية منذ أرسطو مرورا بجماعة مو وانتهاء ببيرلمان، إلا أنها تقف عند الوصفة المختزلة وتقصر مركز الخطابية على مكوني العبارة والترتيب[4]، وهو انتقاء يتناقض مع إعلانها ما جاء عند ديكرو بأن «الخَطابية هي أساس أي خطاب، فبالأحرى الخطاب الأدبي، وهذا التعريف الموسع للخطابية هو ما سأحتفظ به»[5].

أنها في النص الرقمي يمكن أن تجمع عبر الرابط بين معنى وصورة ثابتة، فمثلا يمكن لعبارة "شربت كأسا" أن تربط رقميا لفظة كأس بصورة كأس مليء بالشامبانيا، وهو ما يقلص من كم الاحتمالات ليُحد عند معنى وحيد". انظر:

Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 25

[1]. ويقصد بها الروابط التي يقود تنشيطها (activer) نحو مستند جديد أو قسم آخر داخل نفس المستند، وقد تشتمل على روابط تقود نحو روابط أخرى وهكذا.

[2]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 18.

[3]. وقد حاولت ألكسندرا سايمر أن تستثمر أيضا في دراستها بعض مقترحات نظرية التلقي وخاصة ما يتصل بأفق انتظار القارئ ومواقع اللا تحديد، بل وتحدثت أيضا عن بلاغةٍ لتلقي النص الرقمي، انظر ص 9 من النسخة الرقمية.

[4]. تقول: «ضمن المكونات الخمس، يعد الترتيب باعتباره فن التأليف والعبارة باعتبارها فن الأسلوب مثار انتباه المنظرين والمبدعين والبداغوجيين. وهو ما يبدو لي مهما أيضا وينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في حالة النص الرقمي. وهو ما لاحظه أيضا بيرلمان، فوَضْعُ تقديمٍ للعناصر عبر الترتيب يغير شروط قبول الخطاب. وفيما يتعلق بالنص المترابط، فقد سبق أن أكَّدتُ أن النص الموصول بالنص المتصل ليس مرئيا على الصفحة-الشاشة قبل تنشيطه. فترتيب القراءة بين النص الموصول والنص المتصل يُؤخذ بعين الاعتبار لدى الكثيرين في التلقي إذا كان الرابط التشعبي مُنشَّطا (activé)، خاصة عندما يحمل النصان وجهتي نظر متعارضتين. لكن بالتأكيد، يمكن للقارئ أيضا أن يغفل تنشيط الرابط ويمر بمحاذاة الشروح والتصويبات أو الحجج المضادة المقدمة من قبل النص المتصل». انظر: Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 31.

[5]. نفسه، 30.

فانطلاقا من مكونات الخَطابية الأرسطية، وخاصة الترتيب والعبارة (الصياغة اللغوية)، حاولت ألكسندرا سايمر أن تبرز دور الترابط النصي في خلق علاقات منطقية بين النصوص، وذلك عبر الاستبدال التدريجي للنص الظاهر بنص كان خفيا، وخاصة في الجرائد الإلكترونية التي تحاول بث بعض الرسائل الإشهارية، سواء المتعلقة بالاشتراك، أو بالشروط العامة المتعلقة بالموقع.

أما البعد الحجاجي، فتجسده بعض الروابط النصية خاصة في النصوص الإخبارية، حيث تعمد إلى الجمع بين مجموعة من وجهات النظر المتناقضة عبر الروابط، كالربط بين الخبر وتكذيبه، أو بين الخبر وأخبار متصلة به أو متعارضة معه، وهو ما يسهم في توجيه القارئ نحو هذا الرأي أو ذاك، وقد يؤدي إلى تغيير رأيه أو على الأقل إقناعه بصدقية الخبر أو بوجهة نظر معينة، لأن «معرفة بعض الأساليب الحجاجية، والإقناعية، والسردية، والشعرية للنص الرقمي على الصفحة-الشاشة يمكن، من جهة، أن يساعد كل قارئ على تطوير قراءات أكثر تعقيدا، ومن جهة أخرى، فكاتب النص الرقمي يمكن أن يستلهم بعض النماذج المقترحة لتنويع ممارساته الكتابية... هكذا سيكون بإمكانه ليس فقط تأكيد بعض المعلومات عبر الرابط، بل يمكنه اقتراح ربط صلة حوارية بين الحجج والحجج النقيضة»[1]. وهو ما يفتح أمام القارئ إمكانية إجراء مقارنات، أو البحث عن مصادر أخرى للمعلومات تقليلا للشك، أو للتأكد من الخبر.

2.5. الروابط النصية وأبعادها الحجاجية التخييلية

تقوم الكتابة الترابطية على استثمار التناص بشكل أكثر ظهورا وأكثر تفاعلية من ذي قبل، «فرغم وجود علاقات تربط نصوصا بأخرى، قبل ميلاد تكنولوجيا الترابط، فإن هذه الصلات لا توجد إلا في أذهان الأفراد الذي يلاحظون هذه العلاقات، أو في نصوص أخرى تعلن وجود هذه العلاقات»[2]، وهو ما يعني أن العلاقات بين النصوص (التناص) كانت ضمنية أو مضمرة، لتتحول مع الحاسوب إلى تناص معلن وظاهر، سواء بين النصوص، أو بين أنساق تدليلية أخرى (صور، موسيقى، تشكيل، لوحات...).

[1]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 58.

[2]. Ertzscheid (Olivier), «L'hypertexte: haut lieu de l'intertexte», [Sur le web], 31 octobre 2002, https://www.larevuedesressources.org/l-hypertexte-haut-lieu-de-l - intertexte,027.html (25/11/21).

فدخول الحاسوب ضمن معادلة الكتابة غيّر كل العلاقات القائمة بين الأطراف (الكاتب-النص-القارئ)، ومن تجليات تغير النص أن «العلاقات الرابطة بين النصوص الورقية تناصية (التعالق النصي) بين سابق ولاحق... فالترابط يتجسد من خلال الروابط التي تتم من داخل النص نفسه، ويسمح لنا هذا بالانتقال داخل النص، وفق ما تستدعيه عملية القراءة [...] ولا يتيح لنا "الترابط" في النص الإلكتروني التحرك بين النصوص اللفظية فقط، ولكن أيضا الانتقال بين علامات غير لفظية، مثل الصوت، أو الصورة، أو الخارطة، أو اللوحة، أو الصورة الحية أو المتحركة، ويُعرف هذا التوسيع بترابط الوسائط (Hypermédia)»[1]. لذلك، فالرابط يلعب دورا رئيسيا في وصل النص بنصوص أخرى، أو بعلامات ثابتة أو متحركة، فـ«الرابط تقنية أساسية في تنشيط النص المترابط والدفع به نحو التحقق. والرابط كما حدده فنيفار بوش (Vanevar Bush) هو الذي يربط بين معلومتين، وهذا الارتباط هو الذي ينتج المعنى. وعليه فإن تدخل القارئ في اختيار الرابط يفعل في إنتاج نوعية العلاقات المترابطة، ومن ثمة في نوعية المعنى المُنتَج من هذه العلاقة بين معلومتين. ويكون الرابط غير مرئي، إنما يتم التأشير عليه بإشارة إما تكون كلمة أو جملة أو صيغة تعبيرية، أو علامة رمزية، بلون مختلف عن لون النص اللغوي، أو تأتي كلمة تحتها خط سميك باللون الأسود»[2].

إن البناء المترابط كما سبقت الإشارة هو امتداد للتناص، وبالتالي فهو حوار بين مجموعة من العلامات اللغوية وغير اللغوية، وانطلاقا من هذه البنية حاولت ألكسندرا سايمر أن تبحث في طبيعة العلاقات القائمة بين النصوص المتصلة والنصوص الموصولة بها، أي بين النص المولِّد (الظاهر) وبين النص المولَّد (الخفي)، وبين النص وبين علامات أخرى قد تكون عبارة عن صور أو مقاطع صوتية أو رسوم... فحاولت استثمار الخطاطة البيرلمانية (نسبة إلى بيرلمان) في الحجاج وخاصة ما يتصل بالحجج شبه المنطقية (les arguments quasi-logiques) والحجج المستندة إلى بنية الواقع (les arguments basés sur la structure du réel) والحجج المبنينة للواقع (les arguments basés sur la restructuration du réel)[3]، لتكشف عن الدور الذي يمكن أن تلعبه الروابط التشعبية في النص الرقمي مع تركيزها الشديد على النصوص الإخبارية الرقمية، والنصوص الرقمية الخاصة بالموسوعات.

---

[1]. يقطين (سعيد)، **من النص إلى النص المترابط**، ص 102.

[2]. كرام (زهور)، **الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية**، ص 47.

[3]. اعتمدنا في ترجمة هذه الحجج على ما جاء في كتاب محمد الولي: **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، ص 376-385-399.

وبعد دراسة مستفيضة لعدد هائل من النماذج[1]، انتهت إلى تحديد شبكة من الروابط نقدم بعضها بشكل مختصر:

- رابط التحديد (رابط التعريف)[2] - رابط المصدر - رابط المثال - رابط الأدلة - رابط السلطة (حجة السلطة) - رابط التوضيح[3] - رابط التبئير- رابط المقارنة[4] - رابط وجهات النظر المتقابلة - رابط إعادة التأويل - رابط التناقض (أو التعارض)[5] - رابط السخرية[6] - الرابط الاستعاري[7]... فهذه الروابط تجمع بين البعد الحجاجي الإقناعي والبعد التخييلي، غير أن اختيار الدارسة لمتن إخباري قادها إلى تأجيل الحديث عن الروابط التخييلية إلى الفصل الموالي والمخصص لدراسة النصوص الرقمية السردية أو المحكي السردي الترابطي.

وفي نفس سياق المدخل الخَطابي (الخَطابية الأرسطية) لدراسة النص الرقمي، استثمر دوغلاس إيمن مكونات الخَطابية الأرسطية لدراسة بناء (إنشاء) النص الرقمي، محاولا إعطاء الخماسية الأرسطية (الإيجاد، والترتيب، والعبارة، والذاكرة، والإلقاء) محتوى يستمد مضامينه من بنية الكتابة الرقمية وصيغتها[8].

---

[1]. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, pp. 109-175.

[2]. رابط التعريف/الرابط المعرِّف (Hyperlien définissant): «وهو الذي يقترح فيه النص المتصل تعريفا لمصطلح تقني، أو لنص قانوني، أو لمؤسسة... فالكاتب يحاول تقديم معلومات أكثر للقارئ عبر الرابط سواء من خلال تقديم مراجع أو إحالات. فالرابط المعرِّف يعِد القارئ بتقليل شكه، وليكون بذلك عنصر ثقة مضافة للكاتب انطلاقا من الإحالة المستدعاة». انظر: Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 126. وهو بذلك يطابق مفهوم التعريف عند شايم بيرلمان حيث ادعاء المطابقة بين المعرِّف والمعرَّف، يُنظر: بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، ص 62.

[3]. يمكن مقارنته بحجة الشاهد والمثال عند شايم بيرلمان، يُنظر: الولي (محمد)، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، ص 408، وص 413.

[4]. حجة المقارنة (L'argument de comparaison). بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، ص 69.

[5]. نفسه، 59.

[6]. في المتن الإخباري (الأخبار الخاصة بالنسخة الإلكترونية لبعض الجرائد) أو الأدبي أو الإشهاري.... قد يصل (يربط) الرابط التشعبي أحيانا بين وجهات نظر متعارضة، وقد يثير تعارضات ساخرة بين النص المولِّد (texte géniteur) والنص الموصول به (texte relié) (عبر الرابط). انظر:

. Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 17-18.

[7]. نفسه، 149-151.

[8]. فالإيجاد عنده يتمثل في: تفاعل النص مع نصوص أخرى بما في ذلك الوسائط المتعددة المستخدمة، وفي التواصل الشبكي مع الآخرين، أما الترتيب فيتجسد في التحكم في الوسائط الرقمية وإعادة استخدامها في بناء أعمال جديدة عبر إعادة مزجها، أما الأسلوب فيتمثل في إدراك عناصر تصميم العمل (الألوان، الحركات، التفاعلية، واختيار الخطوط، والاستخدام الخاص للوسائط المتعددة)، أما الإلقاء فهو فهم أنظمة التوزيع بما في ذلك الأطر الداعمة للشبكة، أما الذاكرة فتتجسد في محو الأمية المعلوماتية ومعرفة طرق تخزين ومعالجة المعلومات. انظر: Eyman (Douglas), *Digital rhetoric*, p. 65 .

6. المدخل الثاني: الأدب الرقمي والشعرية الأرسطية/بين السرد والعرض

اقترحت بعض الدراسات المهتمة بالأدب الرقمي مدخلا شعريا/خَطابيا لتحليل النصوص الأدبية الرقمية، فرغم أن نموذج ألكسندرا سايمر اقتصر على الخَطابية المختزلة كما انتهت إليه مع جماعة مو، وانتهجت اختزالا مضاعفا عبر التركيز على مكوني الترتيب والعبارة مع استثمار خطاطة بيرلمان في الحجج من جهة، فإنها من جهة أخرى انطلقت في دراستها من الفصل بين النص الرقمي الإخباري (الحجاجي)، وبين النص الرقمي السردي (التخييلي)، رغم أنها لم تفصل في الروابط الخاصة بكل نص إلا من جهة غلبة الطابع التخييلي (النزوع) الخاص بروابط النص الرقمي السردي، بمعنى أنها روابط تنتمي إلى بلاغة السرد (التخييل)[1]، أي البلاغة الخاصة ضمن البلاغة العامة، دون إغفال الإشارة إلى أن الفعل الحجاجي (تغيير الرأي أو السلوك) قد ينشأ عن كل الأجناس، وبالتالي تكون باعثة للتأثير الإقناعي[2].

إن مبررات العودة إلى النموذج الأرسطي في الشعرية، كان من بين الأسئلة التي طرحتها بريندا لوريل (Brenda Laurel) في كتابها *Computers as Theatre*[3]، حيث اعتبرت استدعاء نموذج يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد نابعا من قناعتها بأن أرسطو يُعتبر أهم من وضع أسس الدراما بشكل لا يضاهى[4].

إن هذه الرؤية التي انطلقت منها بريندا لوريل هي نفسها التي انطلق منها سيرج بوشاردون، حيث اعتبر أن النماذج الأولى للسرد أو المحكي التفاعلي كانت محاولة لإعادة إنتاج الأشكال القديمة قبل الطفرة المعلوماتية، حيث كانت السينما في بداياتها تعيد إنتاج المشهد المسرحي. وإذا كان الجمع بين السردية والتفاعلية مثيرا للعديد من التناقضات، على اعتبار أن السرد يستلزم وجود سارد يتولى تقديم القصة أو الحكاية من أولها حتى آخرها، وأن التفاعلية تقتضي

---

[1]. نذكر على سبيل المثال: الرابط الاسترجاعي، الرابط الاستباقي، رابط الحذف، رابط التزامن، رابط تحويل التبئير، الرابط التتابعي... (انظر ص 203-204)، لذلك ميز «أستريد إنسلين (Astrid Ensslin) بين الرابط الواقعي (الحقيقي) وبين الرابط الأدبي. فالرابط الواقعي يقدَّم باعتباره تعاقديا: فالعلاقة (الربط) بين النص الظاهر والنص الخفي شفافة وسببية (حملية). أما الرابط الأدبي فيخرق هذه القاعدة ليؤسس لآثار جمالية»، فالفاصل بين النوعين يتصل بالأثر الناتج عنه. انظر:

Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique*, p. 89.

[2]. الولي (محمد)، **الخطابة والحجاج**، ص 67.

[3]. لماذا أرسطو؟ كيف يمكن أن يفيدنا اليوم استخدام مفاهيم يرجع تعريفها إلى القرن الرابع قبل الميلاد؟... إن الإبدال الذي قدمه أرسطو هو الأنسب للنموذج التقني الذي نحاول الإجابة عنه...، ص 36.

[4]. Brenda Laurel, *Computers as Theatre*, p. 47.

تسليم القيادة للقارئ ليصير ممثلا داخليا (interacteur)[1]، فإن ألعاب الفيديو يمكن أن تمثل نموذجا لتكسير هذه القاعدة، فهي تُعتبر نصا سرديا، لاشتمالها على قصة وشخصيات، وأحداث، وإطار زماني وفضائي، وشكل للتقديم/العرض، وختام بنهايات غير محددة، وفي الآن نفسه، تتحول من السرد إلى العرض، حيث يتحول القارئ/اللاعب من منفعل إلى فاعل (acteur).

لقد تطلب وجود كل هذه العناصر من الباحثين في السرد التفاعلي العودة إلى التقسيمين الأفلاطوني والأرسطي لفنون المحاكاة، أي إلى ثنائية المحاكاة/السرد، والسردي/الدرامي، وهو تقسيم يرجع إلى الأداء[2]، في مقابل الحكاية أو الخطاب. وبناء على هذه الثنائيات وجد بعض الباحثين بعض الألعاب قائمة على الجمع بين كل هذه العناصر من خلال المراوحة بين القصة والمشهد والتشخيص/الأداء، فعناصر السرد حاضرة عند تقديم الحكاية، وعناصر اللعب الدرامي حاضرة أيضا حين تلعب القصة.

فالوسيط هو المتحكم في العملية؛ فإذا كان السرد في حاجة إلى وجود سارد (يمكن أن يكون خفيا...)، ففي العمل الدرامي يقوم الممثلون بتمثيل القصة بشكل جماعي (تبادل الأدوار)، ليتم التمييز بين مسار الحكاية حيث هيمنة السرد والسارد، وبين مسار اللعب الدرامي حيث يكون الأداء هو المهيمن. وإذا اعتبرنا ألعاب الفيديو تُدخل اللاعب ضمن اللعبة بشكل مباشر فلا يمكن حسب مقولة جيرار جنيت اعتبارها سردا تفاعليا، لاستحالة وجود قصة بدون سارد. فـ«الحديث عن الصيغة يستدعي في السرد المترابط الوقوف عند مستويين هما: مستوى العرض الدرامي، أو المشهدي المتبلور من خلال الصور الفيلمية، والصور الثابتة، والرسوم المتحركة التي تتولى فيها الكاميرا الحكي مستعينة بزوايا التصوير، وحجم اللقطات، وسُلَّمها للتمثيل، وتجسيد الأحداث انطلاقا من مسافة تقترب فيها أو تبتعد عن الموضوع المصور، والمستوى

---

[1]. تُعتبر ألعاب الفيديو أبرز مثال يستثمره الدارسون للربط بين السردية والتفاعلية، حيث تراوح هذه الألعاب بين السرد واللعب (الأداء)، فيختفي الأداء عند التركيز على السرد، ويختفي السرد حين يتم التركيز على الأداء (الفعل أو اللعب). انظر:

Bouchardon (Serge), *Littérature numérique: Le récit interactif*, p. 18.

[2]. فـ«في المأساة بالضرورة ستة أجزاء تتركب منها وتجعلها هي ما هي، وهي: الخرافة، والأخلاق، والمقولة، والفكر، والمنظر المسرحي، والنشيد. وأهم هذه الأجزاء تركيب الأفعال، لأن المأساة لا تحاكي الناس بل تحاكي الفعل والحياة»، وهابي (عبد الرحيم)، **القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطوطاليس**، ص 37.

السردي الذي نلاحظ فيه حضور صيغتي السرد، والعرض كنمطين للحكي من خلالهما تحكى القصة، أو الأحداث المتخيلة أو الحقيقية»[1].

فالتفاعلية قائمة على خصوصية العلاقة التي تتأسس بين القارئ والبرماج (logiciel). إن الأمر يتصل بإمكانية متاحة للقارئ وأمر للبرماج. إنها تتمثل في الإمكانية التي يتيحها العمل (الإبداعي) للقارئ للتأثير في تركيب العلامات المقترحة في قراءته وفي الأمر الذي يفرضه (العمل) على البرماج لأخذ بعض المعلومات المقدمة من قبل القارئ بعين الاعتبار. فالتفاعلية بهذا المعنى هي خصوصية للعمل الإبداعي وليس للبرماج فحسب. فالعمل لم يعد نظاما يندمج فيه القارئ، بل صار أداة يستخدمها لبناء المعنى عبر القراءة[2].

فرغم أن النص السردي المترابط ينتمي من حيث جنسه إلى الأدب، أي أنه يعلن عن نفسه كنص تخييلي، فإن طبيعته الترابطية والتفاعلية تمنحه بعدا تأثيريا خاصة حين يبنى على فلسفة الهوامش؛ فالنص السردي الترابطي يستثمر ما تتيحه الدعامات الإلكترونية من إمكانات لهندسة النص، وتخصيص هامش واسع للقارئ سواء لتعديل النص أو التفاعل معه، لتتحول القراءة بذلك إلى إعادة كتابة للنص سواء عبر تعديلات فعلية، أو عبر اختيار استراتيجية قرائية تتلاءم وطبيعة القارئ الرقمي عبر تنشيط الروابط أو حتى التغاضي عنها.

فقد أبدت عدد من الأعمال الأدبية الرقمية إرادة لبناء أسلوبية جديدة. أسلوبية تصل بين المحسنات البلاغية والمحسنات المادية، وذلك عبر تركيز الاهتمام على أبعادها التقنية. ويأتي في طليعة هذه المحسنات المادية تلك المتعلقة بالواجهات (واجهة العمل الإبداعي) ونظام النوافذ[3]، وهو ما حدا ببعض الدارسين إلى إعادة لفت الانتباه إلى كتاب **محسنات الخطاب** لفونتانيي[4]، ويعتبر عنصر الظهور والاختفاء أبرز مقوم أسلوبي اهتم به سيرج بوشاردون، بل لقد أبدى رغبته في بناء ما يتجاوز مصنفا للمجازات، إلى التفكير في نظرية لصيغتها التقنية، نظرية لمادية المجازات في الكتابة التفاعلية والوسائطية[5].

---

[1]. خمار (لبيبة)، **النص المترابط. فن الكتابة الرقمية وآفاق التلقي**، ص 228.

[2]. Bootz (Philippe), «Qu'est-ce que la littérature numérique ?», [sur le web], http://archive.olats.org/livresetudes/basiques/litteraturenumerique/1_basiquesLN.php (25/11/2021).

[3]. Bouchardon (Serge), Broudoux (Evelyne), Deseilligny (Oriane) et Ghitalla (Franck), *Un laboratoire de littératures. Littérature numérique et Internet*, p. 138.

[4]. Fontanier (Pierre), *Les figures du discours*, Introduction par Gérard Genette, Flammarion, 1977.

[5]. Bouchardon (Serge), *Le récit littéraire interactif : Narrativité et interactivité*, p. 451.

إن هذه الرؤى الاستشرافية للبلاغة الرقمية (بلاغة الكتابة الرقمية)، تنبىء ببداية تأسيس بلاغة موازية تحاول البحث في أدبيات الكتابة الرقمية، سواء ما يتصل بأسئلة القراءة (بلاغة التلقي الرقمي)، أو ما يتصل بجماليات الكتابة الرقمية، بل إن بعض الدراسات تتحدث عن بلاغة ترابطية (أو مترابطة HyperRhetoric)[1]، وكلها أسئلة تستدعي المتابعة وتعميق البحث.

خاتمة

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نقف عند ما تتيحه البلاغة الجديدة والبلاغة العامة على وجه خاص من إمكانات لدراسة جنس جديد من الكتابة يجمع بين النص بمفهومه القديم – الجديد وبين الدعامات الإلكترونية الجديدة، وقد عملنا على رصد بعض التجارب التي استأنست بالبلاغة الأرسطية بجنسيها الحجاجي (الخَطابية) والتخييلي (الشعرية) لنبرز (وإن كانت التركيز شديدا على التنظير)، مشروعية التحليل البلاغي للخطاب الرقمي (الأدبي والإخباري- الحجاجي...) وإنتاجيته، بل وما يمكن أن تفتحه من آفاق لبناء بلاغة رقمية لا تقف فقط عند التفاعل عبر الوسائط الرقمية، بل تتجاوز ذلك نحو صياغة معايير جمالية جديدة تواكب تحولات الكتابة عبر أسانيد جديدة، سواء باستثمار بلاغة الصورة، أو ببناء بلاغة للتلقي الرقمي، أو فتح أسئلة القراءة الجديدة وما تطرحه على نظرية الأدب من إشكالات كبرى تحتاج أن تُقارَب بعقلية الانخراط في الموجة الرقمية طوعا.

---

[1]. ويقصدون بها بلاغة تدرس كل هذه الأنساق التدليلية (العلامات، الألفاظ، الصور الثابتة والمتحركة، الموسيقى...) في نص ترابطي تجتمع فيه كل هذه الأنساق لإنتاج المعنى.

لائحة المصادر والمراجع

1- باللسان العربي

- بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2014.

- بنكراد، (سعيد)، «الأدب الرقمي: جماليات مستحيلة»، [على الويب]،http://saidbengrad.free.fr/ar/numerique.htm، (2021/11/30).

- بوتز (فيليب)، «ما الأدب الرقمي؟»، ترجمة أسليم (محمد)، **مجلة علامات**، عدد 35، 2011.

- جبري (ادريس)، **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري. نحو بلاغة عامة**، تقديم محمد العمري، فالية، بني ملال، ط1، 2019 .

- خمار (لبيبة)، **النص المترابط. فن الكتابة الرقمية وآفاق التلقي**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2018.

- العمري (محمد)،

أ- **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2017.

ب- **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2005.

د- «هل يوجد حجاج غير بلاغي؟»، **مجلة علامات** السعودية، ج22، م6، ديسمبر 1996.

- عمري (إبراهيم)، «الأدب الرقمي وتحديات نظرية الأدب. من مد الجسور إلى سؤال الكينونة»، **روابط رقمية**، عدد 3، إشراف زهور كرام، 2019.

- كرام (زهور)، **الأدب الرقمي. أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

- الولي (محمد)،

أ- **فضاءات الاستعارة وتشكلاتها، في الشعر والخطابة، والعلم والفلسفة، والتاريخ والسياسة**، تقديم محمد العمري، فالية، بني ملال، ط1، 2020.

ب- **الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان**، تقديم محمد العمري، فالية، بني ملال، ط1، 2020.

ج- **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، دار الأمان، الرباط، ط1، 2005.

- وهابي (عبد الرحيم)، **القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطوطاليس**، تقديم محمد العمري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

- يقطين (سعيد)،

أ- **النص المترابط. مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي**، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005.

ب- **النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية: نحو كتابة عربية رقمية**، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط1، 2008.

2- بغير العربية

-Bootz (Philippe), «Qu'est-ce que la littérature numérique ?», [sur le web] http://archive.olats.org/livresetudes/basiques/litteraturenumerique/1_basiquesLN.php (25/11/2021).

- Bouchardon (Serge), *Littérature numérique: Le récit interactif*, Hermès Science Publications, 2009.

- Bouchardon (Serge), *Le récit littéraire interactif : Narrativité et interactivité*, thèse Pour l'obtention du grade de docteur, discipline: sciences de l'information et de la communication, Présentée et soutenue publiquement le 7 décembre 2005.

- Bouchardon (Serge), «Le récit littéraire interactif : Une valeur heuristique». In: *Communication et langages*, N° 155, 2008, pp. 81-97.

- Bouchardon (Serge), Broudoux (Evelyne), Deseilligny (Oriane) et Ghitalla (Franck), *Un laboratoire de littératures. Littérature numérique et Internet,* Éditions de la Bibliothèque publique d'information.

- Bouchardon (Serge), «Littérature numérique: 10 marches à franchir ? Mind the gap! 10 gaps for Digital Literature?», [sur le web] http://www.utc.fr/~bouchard/Bouchardon-ELO18-francais, (25/10/2021).

- Bouchardon (Serge) , «Des figures de manipulation dans la création numérique», *Esthétiques numériques. Textes, structures, figures,* Volume 39, numéro 1, printemps 2011.

- Clément (Jean), «Préface. Une Littérature problématique», in: Bouchardon (Serge), Broudoux (Evelyne), Deseilligny (Oriane) et Ghitalla (Franck), *Un laboratoire de littératures, Littérature numérique et Internet*, Éditions de la Bibliothèque publique d'information, pp. 6-12.

- Eyman (Douglas), *Digital Rhetoric. Theory, Method, Practice*, University of Michigan Press, Digital Humanities, 2015.

- Ertzscheid (Olivier), «L'hypertexte : Haut lieu de l'intertexte», [sur le web] https://www.larevuedesressources.org/l-hypertexte-haut-lieu-de-l- intertexte,027.html (25/11/21).

- Fontanier (Pierre), *Les figures du discours*, Introduction par Gérard Genette, Flammarion, 1977.

- Laurel (Brenda), *Computers as Theatre*, by Addison Wesley Longman, 1993.

- Queneau (Raymond), *Cent mille milliards de poèmes*, Gallimard, 1961.

- Saemmer (Alexandra), *Rhétorique du texte numérique. Figures de la lecture, anticipations de pratiques*, Presses de l'enssib, 2015.

- Saporta (Marc), *Composition n° 1*, Éditions du Seuil, 1962.

- Vandendorpe (Christian), *Du papyrus à l'hypertexte. Essai sur les mutations du texte et de la lecture,* Boréal (Montréal), La Découverte (Paris), 1999.

- Enquêtes sur les « Pratiques culturelles des Français », Ministère de la Culture et de la Communication, depuis 1973, [sur le web], http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr, (20/10/2012).


الدكتور أحمد طايعي
الشِّعْر العَرَبي
مَجاري التَّلقي ومُستقَرّات التَّأويل
تقديم
الناقد أ. محمد الولي
المعرفة

التأريخ النسقي عند محمد العمري

المحطات والآليات

سعيد العوادي[1]

مقدمة

أسهم البلاغي محمد العمري في إغناء المكتبة البلاغية العربية بمجموعة من الأبحاث العلمية الرصينة، التي رسّخت لدى قرائها نوعا جديدا من المعالجة البلاغية المجاوزة للاجترار الساذج سواء تعلق الأمر بالبلاغة العربية أو بنظيرتها الغربية، والمؤسِّسة لمعالجةٍ إبدالية تُشدد على ضرورة القراءة المنتجة التي تلم بالقديم وتتمكن من الحديث، فتسعى إلى تشييد أفق قرائي آخر، ينهض على مقاربة القديم في ضوء الأسئلة المعاصرة بغية جعله متفاعلا مع الثقافة العالمية ومشاركا في بنائها. وهو ما من شأنه أن ينزاح عن قراءتين للتراث؛ المنغلقة فيه والمنكرة له، واللتين جثمتا على الثقافة العربية عموما.

لقد كانت إضافة الباحث محمد العمري للبلاغة العربية إضافة متنوعة ونوعية في الآن نفسه؛ بحكم تشغيله لمراصد مختلفة تتنوع بين التنظير والتحليل والتأريخ. وستتولى هذه المقالة دراسة مكون التأريخ من خلال مدارسة أربعة أعمال مهمة تشير عناوينها إلى المنزع التأريخي هي: كتاب **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي. مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ للأشكال**، وكتاب **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية**، وكتاب **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ومقالة «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية».

1. التأريخ البلاغي عند الدارسين المحدثين: العوائق والهواجس

يلحظ المتتبع للدرس البلاغي في العصر الحديث توزع اهتمام دارسي البلاغة على أربعة مجالات كبرى، هي: مجال البلاغة المدرسية، حيث انصرف الدارسون إلى إعادة تقديم المنجز البلاغي لمدرسة السكاكي، وخصوصا تلخيص القزويني وشروحه، بعبارات سهلة، وتذييله بتطبيقات وتمارين تُسهّل عملية التلقي المدرسي والجامعي للبلاغة العربية. ومجال البلاغة التطبيقية، التي اتجه فيها الدارسون نحو قراءة النصوص الشعرية والنثرية من مداخل بلاغية مختلفة. ومجال تجديد الدرس البلاغي، بانفتاحه على المستجدات البلاغية والنقدية الغربية

---

[1]. أستاذ التعليم العالي بكلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

كالأسلوبية والشعريات واللسانيات. ومجال التأريخ البلاغي سواء من خلال قراءة التراث البلاغي بشكل تجزيئي يتم فيه التركيز على كتاب أو عَلم أو قضية أو بشكل شمولي يتتبع تاريخ البلاغة العربية عبر مراحلها المتتالية.

ويهمنا في هذه الدراسة المجال الأخير المتصل بالتأريخ البلاغي. ومما يجب الإلماع إليه ابتداء أن التأريخ ليس عملية استرجاعية ساذجة لمعلومات ماضية، بقدر ما هو قراءة خاصة لهذه المعلومات يتفاعل في إنتاجها الذاتي بالموضوعي، والجديد بالقديم. وكلما تقوت الآليات القرائية للذات المؤرخة، كان التأريخ منتجا وفعالا. وكلما ضعفت هذه الآليات، كان التأريخ مضيعة للوقت والجهد، بل ربما كان فعلا مشوشا ومضللا وعائقا أمام الفهم السليم للوقائع والمعارف.

لا نستطيع أن نفصل تأريخ البلاغة العربية عن عملية التأريخ الشاملة للعلوم العربية التي قادها سؤال النهضة والإحياء، إذ خضع تأريخ الأدب بفرعيه الشعر والنثر وتأريخ النقد الأدبي وتأريخ البلاغة لاستراتيجية واحدة تهم استرجاع ذلك التراث الذي كان دليلا على نهضة ماضوية، يمكن بعثها من جديد لعلاج ذات حديثة كسيحة، ومواجهة الآخر المتقدم والمتطور.

ويلبي تأريخ البلاغة، ومعه العلوم العربية الأخرى، حاجة بيداغوجية تعليمية أعلن عنها أكثر من ألّف في هذا الموضوع؛ لأن تأريخ البلاغة بالمعيار التعاقبي الخطي يسهل تلقيها لدى الطلبة والمتعلمين. ونجد هذه الغاية التعليمية حاضرة في أحد الكتب التأريخية الأولى، إن لم يكن أولها، وهو **تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها** لأحمد مصطفى المراغي، حيث يقول: «فقد طلب إليّ طلبة تخصص المادة (شعبة البلاغة والأدب) في كلية اللغة العربية من الأزهر الشريف، أن أكتب لهم مقالة توضّح نشأة علوم البلاغة»[1]. كما نجد ذلك عند شوقي ضيف في كتابه **البلاغة تطور وتاريخ**، يقول: «دعتني -مشكورة- جامعة بيروت العربية لإلقاء ثماني محاضرات بها على طلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب في تاريخ البلاغة وتطورها»[2]. ولعلنا نلحظ انتقال الدعوة إلى التأريخ من المستوى المحلي مع المراغي إلى المستوى العربي مع شوقي ضيف الذي ستكون كتاباته التأريخية، في حقول علمية وأدبية، ذات صدى مدو في مختلف بلدان العالم الإسلامي، ولا أدل على ذلك من تعدد طبعات كتابه **البلاغة تطور وتاريخ** بدءا من سنة 1956 إلى اليوم.

[1]. المراغي (أحمد مصطفى)، **تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها**، ص 7.
[2]. ضيف (شوقي)، **البلاغة تطور وتاريخ**، ص 5.

وقد شكّل المعطيان: النهضوي والتعليمي هاجسين مركزيين للتأريخ البلاغي عند الدارسين المحدثين، وكان لهما بالغ الأثر في اجتراح مسلك تأريخي، يستفيد من انتشار المنهج التاريخي ذي المرجعية الانعكاسية، يبدأ بلحظة النشأة، فالنمو، فالتطور، ثم الانحطاط. وأعرب عن ذلك رائد التأريخ البلاغي شوقي ضيف الذي رأى ضرورة «درس بلاغتنا درسا منظما، بحيث تُرَتَّب حياتها على منازل التاريخ، وبحيث تتضح معالم تطورها في كل منزلة من دورة زمنية إلى دورة، ومن جيل إلى جيل»[1]. ولعلنا نلحظ في هذا التحقيب أصداء نهضوية، تتجلى أساسا في التوصيف السلبي (الانحطاط) لما قبل مرحلة النهضة، كما تبرز الأصداء التعليمية في بناء هذا التحقيب على مرقى تربوي تعاقبي لا يداخله التشويش والالتباس، ينطلق من الميلاد إلى الموت.

لم تهتم كتب تأريخ البلاغة الأولى بمناقشة إشكاليات التأريخ وما يتفرع عنها من قضايا وأسئلة، وإن كنا لا نعدم عبارات مقتضبة تتضمنها بعض هذه الكتب، أو تأملات ضمنية غير مصرح بها، يدل عليها مؤشرات عديدة منها ما يمارسه هؤلاء المؤلفون من اختيارات تحقيبية وتركيز على مصنفات بلاغية بعينها وتغييب لأخرى. ويبدو أن بداية الثمانينيات من القرن الماضي كانت حاسمة في نشر كتابين متزامنين: الأول: **التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)** للباحث التونسي حمادي صمود، الصادر سنة 1981، والثاني **البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها** للباحث المصري علي عشري زايد، الصادر سنة 1982، والذي يبدو أنه لم يطلع على كتاب حمادي صمود، كما تشهد بذلك لائحة مصادره ومراجعه.

يعد كتاب حمادي صمود رسالة نال بها درجة الدكتوراه في الجامعة التونسية، بإشراف عبد القادر المهيري، سنة 1980، وقد حاول فيها تقديم «مشروع قراءة» في أسس التفكير البلاغي العربي ومنعرجاته، من منطلق «مباشرة التراث من منطق التفاعل بينه وبين الحداثة قصد فهمه في ذاته واستجلاء أبعاد النظرية الأدبية التي يتضمنها، ثم لمحاصرة مظاهر المعاصرة فيه، للمساهمة بها في تغذية النقاش القائم، حولنا، في هذه القضايا»[2]. ومن هذه الزاوية الإبستمولوجية، ينتقد صمود أكثر ما أُلّف في التأريخ البلاغي؛ لأنه أقيم على رؤية «تاريخية-حَدَثية أضعفت جانب التأليف والاستنتاج، كما أنها لم تُعن عناية كافية بالأسس التي يقوم عليها التفكير في جمالية اللغة عند العرب، فجاء جلها تاريخا للتأليف البلاغي لا للبلاغة، ولا

[1]. ضيف (شوقي)، **البلاغة تطور وتاريخ**، ص 7.

[2]. صمود (حمادي)، **التفكير البلاغي عند العرب. أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)**، ص 11.

يخفى الفرق بين الوجهتين. ومن ثم تشابهت هاته المؤلفات في هيكلها العام وحتى في مواقف أصحابها من بعض المسائل الجزئية، فتراها تعيد النصوص نفسها وتوظفها بنفس الكيفية، وهي في كل ذلك تُعْرض عن استكناه مخزونها الفكري والأدبي فتبقى صامتة مغلقة على أسس النظرية الأدبية»[1].

يصرح الباحث بالصعوبات المنهجية والعلمية التي تعترض عملية التأريخ، ولعل «أشدها عسرا، وأولاها بالتفكير والتدبير الاهتداء إلى المسلك الذي يمكِّن الباحث من إبراز ما يعتبره أساسيا ومن تحديد الفترات الحاسمة في تطور ذلك العلم»[2]، وكلما اتسع الحيز الزمني الذي يشتغل فيه الدارس تعقدت مهمة التأريخ.

وليتغلب صمود على هذا الإشكال، ضبط نقطة ارتكاز مهمة تتجلى في الحدث الجاحظي بوصفه علامة بارزة في طريق التأريخ البلاغي «تبيِّن مقدار ما ساهمت فيه الفترات، قبلها وبعدها، في بناء العلم»[3]. وهكذا سار التأريخ البلاغي عند صمود في منحى ارتكازي يحتل منه «الجاحظ المركز: ما قبل الجاحظ، الحدث الجاحظي، ما بعد الجاحظ »[4].

ويمضي علي عشري زايد في رصد أهم المصاعب التي تعترض عملية التأريخ البلاغي في كتابه **البلاغة العربية. تاريخها. مصادرها. مناهجها**، وهي تتقاطع في أغلبها مع ما ذكره حمادي صمود آنفا. ولعل الصعوبة البالغة في نظر علي عشري زايد لا تعود إلى ما هو كمي، بل إلى ما هو كيفي. يقول: «وهذه الصعوبة لا ترتد إلى مجرد امتداد هذا التطور على مدى زمني يقارب الاثني عشر قرنا وحسب، وإنما ترتد قبل ذلك إلى أن تطور البحث البلاغي لم يأخذ دائما مسارا تاريخيا مستقيما منتظما. ولكنه كان يسير في مجموعة من الخطوط المتعرجة المتشابكة التي لا تتوازى إلا لتتقاطع، ولا تلتقي إلا لتتفرق»[5]. وتؤدي هذه الصعوبة في نظره إلى الوقوع في خطرين؛ فإما ضياع العناصر الكبرى، حين يتم التركيز على الخطوط المتعرجة، وإما الاكتفاء بالعموميات، حين تتم العناية بالخط المستقيم.

وينتقل الباحث إلى اقتراح بعض الحلول من أجل تجاوز هذه العوائق المعرفية والمنهجية. ومن ذلك أنه يؤكد على ضرورة بذل الجهود في القراءة البلاغية المسحية للمؤلفات في دراسات

[1]. صمود (حمادي)، **التفكير البلاغي عند العرب**، ص 10.
[2]. نفسه، 13.
[3]. نفسه، 14.
[4]. نفسه، 16.
[5]. عشري (علي زايد)، **البلاغة العربية. تاريخها. مصادرها. مناهجها**، ص 3.

مستقلة رصينة، بحيث تكون مادةً تساعد المؤرخ على اكتشاف الخط العام، والخطوط المتعرجة.

ولمّا كانت هذه الخطوة لم تكتمل بعد، فإن مهمة التأريخ «تبقى بعد ذلك ضرورة ملحّة تستأهل هذه المخاطرة، ولا تحتمل الانتظار حتى تتم التغطية العلمية الكاملة لحقل الدراسات البلاغية»[1]. وعلى هذا الأساس، قدّم علي عشري زايد دراسة تأريخية تراعي التتبع التاريخي العام للتأليف البلاغي، مع «استخلاص معالم مناهج البحث وطرق التناول العلمي التي عرفها حقل التأليف في البلاغة العربية»[2].

وهكذا، بدأ الاهتمام الصريح بإشكاليات التأريخ البلاغي مع حمادي صمود وعلي عشري زايد. وبدا استصعاب مهمة التأريخ عندهما من خلال تصريح الأول في عنوان دراسته بـ«مشروع قراءة»، والثاني في توصيفه في مقدمة دراسته بـ"المخاطرة". وسار على هذا النهج محمد العمري الذي اعتبر أن قصارى ما يطمح إليه عمله هو «أن يكون خطوة في السعي لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية، وأشدد على عبارة السعي»[3].

لقد وعى محمد العمري جيدا بكل هذه التحديات في دراسات تأريخية مختلفة، فاستعان بنظرية التلقي وبمطالعاته الواسعة لتصور ياوس (Jauss)، أحد رواد مدرسة كونسطانس الألمانية، الذي انشغل بقضايا تاريخ الأدب، من خلال مصادرته على تعريف كولينجوود للتاريخ «ليس التاريخ شيئا آخر سوى إعادة تنشيط للماضي في ذهن المؤرخ ومن خلاله»[4].

والواقع أن هذا التعريف «ينطلق من رؤية جديدة لها جذور في كل من الفلسفة الظاهراتية والتأويلية (الهيرمينيوطيقية): فقد ورد في سياق انتقاد كولنجوود للإيديولوجية الموضوعية المهيمنة في عصره، لذلك اعتبره ياوس كفيلا بتخليص تاريخ الأدب من التصور الوضعي الذي يكتفي بالوصف الموضوعي للوقائع دون أن يعير أدنى اهتمام للخصائص التاريخية والجمالية للأدب.

وزيادة على ذلك، فإن هذا التعريف يقوم على تصورٍ لعلاقة الماضي بالحاضر مخالف لما هو سائد، ووفق هذا التصور، فإن الماضي لا يصبح مدركا إلا من خلال الحاضر، أي من خلال

---

[1]. عشري (علي زايد)، **البلاغة العربية. تاريخها. مصادرها. مناهجها**، ص 4.

[2]. نفسه، 5.

[3]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 8.

[4]. Jauss (H.R.), *Pour une esthétique de la réception,* p. 47.

وعي الذات المدركة به. لهذا نجد ياوس يرتكز على مفهوم اندماج الآفاق لتقديم تصوره للفهم التاريخي»[1].

تجاوب محمد العمري مع هذه الأفكار المتنورة، فبدت مداخله القرائية أكثر صلابة ونضجا. وقد عبَّر عن كثير من هذه المداخل صراحة في حواراته الكثيرة. حيث يعلن عن انتماء مفهومه للقراءة إلى نظرية التلقي. يقول: «هذا المفهوم القرائي القائم على نظرية التلقي يجافي المفهوم الإسقاطي التبسيطي الذي يقرأ الماضي من أجل التخلص من الحاضر، كما هو الشأن عند الاتجاه التقليدي الذي يداري عجزه بتقديس التراث وجعل إعادة إنتاج القدماء غاية في ذاتها. علاقتنا بالماضي هي علاقة نقدية حوارية تأبى التقوقع في الماضي كما تأبى رفضه جملة»[2].

لم يكن مفهوم القراءة عند محمد العمري مفهوما يقبل كل الماضي، ويرفض كل الحاضر، أو مفهوما يرفض كل الماضي ويقبل كل الحاضر. فالمسألة عنده لا تتخندق ضمن ثنائية القبول والرفض، بل ترتفع إلى بناء مفهوم للقراءة يربط الحاضر بالماضي ربطا حواريا ودیناميا. يقول موضحا هذه الفكرة «وهنا يأتي مفهوم القراءة باعتباره تلقيا ديناميا يقيم حوارا بين الماضي والحاضر، فالحاضر يضيئ الماضي ويكشف جوانب منه كانت جنينية وفي طور التخلق مشوبة بشوائب وعناصر خارجية، والماضي يفسر مسار الظواهر الحديثة في اندفاعها وانحسارها، ويرفع عنها القدسية، كما يرفع الحاضر أسطورية الماضي»[3].

إن إيمان محمد العمري بهذا الحوار التفاعلي القائم بين الماضي والحاضر هو الذي يرشح مسألة التأريخ عنده لأن تكون نسقية. وتتخذ هذه النسقية في مشروعه البلاغي شكلين متداخلين، لا نستطيع الفصل بينهما إلا من الناحية المنهجية. فنقول إن الشكل الأول ذو طبيعة خارجية، حيث يتحاور القديم والجديد حوارا نسقيا، كما مر معنا، فتأتي أضواء الجديد بمرجعياته المعرفية والمنهاجية لتكشف عن مواطن في القديم لم تكن مرئية من ذي قبل، فيتجدد القديم ويتأصل الجديد. وعوض المناداة بالقطيعة بينهما، ترتفع الأصوات شاهدة على التداخل النسقي بينهما. أما الشكل الثاني فهو ذو طبيعة داخلية، إذ لم يتجه المشروع البلاغي للدكتور محمد العمري إلى اجتزاء النصوص والبحث عن التمثيلات وفق تعاقب تاريخي، فضلا عن اعتبار التراث كلا منسجما قد يغني قليله عن كثيره. وإنما اتجه هذا المشروع صوب رصد

---

[1]. مساعدي (محمد)، **تاريخ تلقي الشعر العربي القديم. نماذج من تلقي شعر أبي نواس**، ص 47-48.

[2]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ و القراءة**، ص 247.

[3]. نفسه، 245.

الأسئلة الكبرى والمتنوعة التي تدل على أن تراثنا كان حيويا متحولا ولم يكن خامدا متجمدا، كما حكمته الأنساق المختلفة عوض النسق الواحد. يقول الباحث في هذا الصدد: «تحقيقا لهذا المطلب تلافيت انتقاء الأقوال واللمع من هنا وهناك، واعتمدت المشاريع الكبرى بما لها وعليها»[1].

سبق أن أشرت إلى البعد التداخلي والبنيوي بين الشكلين السابقين؛ لذلك لن أغامر في بناء تقسيم وفقهما. وإنما سأختار تقسيما يتخذ أرضيته من الأعمال التأريخية لمحمد العمري، محاولا رصد محطاتها الكبرى والآليات النسقية التي شغّلتها.

2. محطة التأريخ للأشكال وآلية المهيمنة:

تبرز محطة التأريخ للشكل الأدبي عند محمد العمري من خلال عملين: أولهما كتابه **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي. مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ للأشكال،** وثانيهما مقالته «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية».

ويجمع التأريخ للأشكال، وفق تصورنا، الرصد التاريخي للنصوص الشعرية من جهة، وللظواهر البلاغية من جهة أخرى؛ أي أن التأريخ للأشكال يضم داخله نمطين تأريخيين: الأول أدبي فني، والثاني بنيوي بلاغي. واعتمد الباحث، في هذه المحطة، على آلية المهيمنة بوصفها آلية نسقية وإجرائية لكشف الأشكال المتحكمة في تطور تاريخ الشعر العربي.

وبذلك، يعرف محمد العمري المهيمنة البلاغية بأنها «السمة البارزة، أو القيمة المعتبرة في التميز والتفوق في مرحلة من مراحل تطور الأدب، أو عند اتجاه من اتجاهاته، وقد نتحدث عنها عند شاعر، أو في ديوان أو نص معين. وهي تتجسد من خلال حضور صور بلاغية معينة متكافئة أو متراتبة، منفصلة أو متعاقبة، أو من خلال تحويلات أو تأليفات خاصة للصور»[2].

تعود جذور الحديث عن المهيمنة إلى نصوص الشكلانيين الروس، كما تبرز من خلال نصين دالين استند إليهما الدكتور محمد العمري. الأول لرينيه ويليك ووارين أوستن، يقولان فيه: «لكل مرحلة أسلوبية أشكالها البلاغية المميزة، المعبرة عن نظرتها الشاملة، وفي حالة الأشكال البلاغية الأساسية كالمجاز، فإن لكل مرحلة نوعها الخاص من المنهج المجازي. فشعر الكلاسيكية الجديدة، يتميز على سبيل المثال بالتشبيه والحشو، وبالنعوت التزيينية والشعر

[1]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ و القراءة**، ص 246.

[2]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 59.

الحكمي والتوازن بين الأجزاء وبالطباق [...] وفي فترة الباروك، كانت الأشكال المتميزة هي ذكر المتناقضات، والطباق، واستعمال الكلمات استعمالا خاطئا "اللحن بالكلمات". وهذه أشكال مسيحية، صوفية، جمعية»[1]. والثاني لرومان ياكوبسون يقول فيه: «في فن عصر النهضة، كانت الفنون البصرية، بداهة، تمثل المهيمنة، أي جماع المعايير الجمالية للحقبة، فكل الفنون الأخرى كانت موجهة نحو الفنون البصرية، كما كانت تُرتَّب في سلم القيم حسب قربها أو بعدها من هذه الأخيرة. أما في الفن الرومانتيكي، فإن هذه القيم العليا، خلافا لذلك، قد أُسندت إلى الموسيقى، وهكذا أخذ الشعر الرومانتيكي يتجه صوب الموسيقى. لقد أصبح منظما بطريقة موسيقية، كما حاكى نبرة ميلوديا الموسيقى. إن هذا الانتظام حول مهيمنة كانت، في الواقع، خارجة عن جوهر الأثر الشعري ذاته، كان يؤثر على بنية القصيدة فيما يتعلق بنسيجها الصوتي، وبنيتها التركيبية (syntaxique) ومجازها، يغير المعايير الوزنية والمقاطعية (strophique) للقصيدة، كما يغير تركيبها. أما في الجمالية الواقعية فتكون المهيمنة موجودة في الفن اللفظي، مما ينتج عنه تغير في سلمية القيم الشعرية»[2].

وعلى الرغم من الإغراء الذي تفرضه آلية المهيمنة، إلا أن الباحث تعامل معها بنوع من الاتزان العلمي والهدوء المنهجي لكي لا تكون «مركبا سهلا، أو طريقا للتحلل من البحث الدقيق عن الخصوصيات الفردية وصراعها البناء مع القيم العامة المهيمنة على الحقبة المدروسة»[3]. وهو ما سيقود الباحث إلى استبعاد التقسيم الزمني المبسَّط كما تفعل النظرية المدرسية، والتشديد على ضرورة تراكب عوامل متعددة منها «ما يرتبط بعصر بعينه، ومنها ما يتجاوز العصور؛ إذ ارتباطه، أساسا، بالشاعر أو المتلقي»[4].

ومن مظاهر حوارية الباحث مع آلية المهيمنة، أنه يوظفها من أجل تصنيفين مختلفين للشعرية العربية. هما:

1.2. التصنيف الجزئي:

وهو تصنيف يقوم على مكون بلاغي واحد يعود إلى الموازنات الصوتية أساسا. ولأنه لا يستهدف المكونات البلاغية الأخرى وسمناه بالتصنيف الجزئي.

---

[1]. ويليك (روني) ووارين (أوستين)، **نظرية الأدب**، ص 205-206.

[2]. Jakobson (Roman), *Huit questions de poétique,* p. 79.

[3]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 61.

[4]. نفسه، 61.

يأخذ هذا التصنيف مشروعيته من البحث العميق الذي قام به الدكتور محمد العمري في البنية الصوتية للشعر العربي، من خلال ضبط أنساقها انطلاقا من الثالوث العلائقي: الكثافة والفضاء والتفاعل. وقد أخلص لهذا البحث كتابه المميز **تحليل الخطاب الشعري. البنية الصوتية في الشعر**.

أبرز الباحث تصنيفه الجزئي القائم على الموازنات الصوتية في كتابه التطبيقي **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي. مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ للأشكال**، مؤكدا فيه على الصعوبات التي تعترض الدارس الذي يروم تحديد بنية الموازنات الصوتية وتطور أشكالها في تاريخ الشعر العربي. وأرجع هذه الصعوبات إلى قسمين: صعوبات في الموضوع المدروس، وتتعلق بتلبس القيم الجديدة بالقيم القديمة في الشعر العربي، مما تستحيل معه إمكانية التقسيم الزمني للشعر. فضلا عن عدم استقلالية الموازنات الصوتية، والتي تأتي متفاعلة مع عناصر أخرى. وصعوبات تَؤول إلى الدراسات النقدية والبلاغية القديمة والحديثة التي عالجت الموضوع بكيفية من الكيفيات، إذ لم توفَّق هذه الدراسات في فهم بنية الموازنات ووظيفتها. فقد انصرف هم الدراسات القديمة عن الدراسة اللغوية الداخلية للشعر. فيما لم تكن الدراسات الحديثة بأحسن حال منها، حينما شُغلت عن الدراسة الداخلية للموازنات بدراسة خارجية تفسرها من الناحية التاريخية والحضارية.

يفرضُ مثل هذا الوضع على الدارس أن يشق الطريق لوحده، مع ما يفرضه ذلك من مشقة أكيدة لا مفر منها. وهكذا كان زاد الباحث مجموعةَ مؤشرات تساعده على اقتراح تقسيمٍ لاتجاهات التوازن في الشعر العربي. يقول في هذا الصدد: «اعتمادا على مؤشرات عديدة، نقترح تقسيم الاتجاهات التوازنية في الشعر العربي إلى ثلاثة اتجاهات. منها ما يطبع عصرا بعينه، برغم امتدادها في غيره، ومنها ما ينتظم عصورا مختلفة، وما يتصل بطائفة من الشعراء، أو يطبع موضوعا من الموضوعات»[1].

وبذلك يقترح الباحث تقسيما آخر للشعر العربي يوظف المهيمنة التوازنية بوصفها آلية نسقية تتجاوز المقياس بالعصور الذي عمّر طويلا ولا يزال. ولئن حقق معيار العصور بعض الأهداف البيداغوجية إلا أنه كان ضعيفا في تحقيق الأهداف العلمية.

أما الاتجاهات التي تحدث عنها الدكتور محمد العمري فهي ثلاثة:

[1]. العمري (محمد)، **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي**، ص 14.

- اتجاه التراكم:

وهو اتجاه شعبي يوظف الموازنات الصوتية توظيفا بسيطا، يتحول معه الشعر إلى قطعة موسيقية تغلب عليها الترنمات الصوتية، كما تعوض المكونات الفنية الأخرى. إنه شعر فقير دلاليا غني صوتيا.

وكثيرا ما يلجأ الشعراء إلى هذا النمط الشعري لسد فراغات دلالية ومجازية، حيث يهرعون إليه «في سياق أو مناسبة لا تتيسر فيها الصور المجازية، أو يحول عائق ما دون توظيفها. وقد تنبه ياكوبسون لهذا الدور بالنسبة لنحو الشعر، فأكد أن التوازنات تهيمن في القصيدة الخالية من الصور المجازية حالّة محلها»[1].

وبدا للباحث أن اتجاه التراكم يهيمن على شعر الترنم وشعر العصور المنعوتة بالجمود والشعر الخَطابي.

- اتجاه التكامل:

وهو اتجاه نموذجي في الشعرية العربية القديمة؛ لذلك نجده ميسما شعريا عند الشعراء الفحول كأصحاب المعلقات ومن سايرهم من المولدين كالبحتري.

ووصْفه بالتكامل آت من «تكامل الموازنات الصوتية مع الوسائل الشعرية الأخرى، خاصة التشبيه والاستعارة اللذين اعتُبرا مقياسين أساسين في تقويم الشعر القديم. وهذا الاتجاه هو الغالب في الشعر العربي القديم الميال إلى الوضوح والإبلاغ ونبذ كل مظاهر التكلف والتصنع التي من شأنها أن تعوق الوظيفة الإبلاغية»[2].

- اتجاه التفاعل:

يعد اتجاه التفاعل المقابل الفني لاتجاه التكامل، مما يعني أنه اتجاه يقوم على الصنعة لا الطبع، حيث تتفاعل فيه البنى الصوتية مع البنى الدلالية تفاعل تعقيد لا تكامل.

فالاتجاه التفاعلي «يخاطب الخيال ويطلب القدرة على التحليل معقّدا العلاقة بين الصوتي والدلالي لدرجة يضيع معها أحيانا التناغم الذي يُطرب الأذن، بل قد تضيع معه الدلالة

---

[1]. العمري (محمد)، **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي**، ص 30.
[2]. نفسه، 16.

المباشرة فاسحة المجال للدلالات الثانوية. ولا غرابة في أن يكون هذا الاتجاه هو اتجاه الشعراء المتفلسفين من أصحاب البديع الذين يتزعمهم أبو تمام»[1].

لهذا التقسيم القائم على المهيمنة التوازنية أهمية كبيرة في تنسيق تاريخ الشعر العربي، خصوصا أنه يستند إلى معيار إجرائي من ناحيتين: الأولى داخلية ترتبط بروح الشعر؛ لأن التوازن ركن شعري أصيل. والثانية تحديدية، بالنظر إلى تركيز الاهتمام على تتبع عنصر واحد فقط.

وفي رأيي، يمكن إضافة اتجاه رابع إلى ثالوث التراكم والتكامل والتفاعل، ونصطلح عليه اتجاه "التوازن البصري"؛ إذ بدأت التوازنات الصوتية، في شعر المرحلة الوسيطية أساسا، تخرج من مجالها السمعي لتكتسح المجال البصري من خلال طغيان القصائد الكاليغرافية أو البصرية في هذا العصر المتمرد.

والواقع أن الباحث قد أدخل شعر هذه المرحلة الذي سماه «شعر العصور المنعوتة بالجمود» ضمن الاتجاه التراكمي مشيرا إلى أنه: «من المعروف المتداول بين الدارسين المحدثين أن الشعراء قد لجأوا في العصور المذكورة إلى رصف الكلمات حسب تجانسها الصوتي أو تقابلها الدلالي دون عمق فكري أو تصوير بياني»[2].

2.2. التصنيف الشمولي:

قاد التصنيف الجزئي الباحثَ إلى اجتراح مغامرة تأريخية أخرى في مقالة وسمها بـ«المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»؛ وهي أكثر تعقيدا وتركيبا من سابقتها، وإن كانت تستند إليها كما قال العمري: «تستمد هذه الدراسة أكثر معطياتها من دراسات سابقة تتبعنا فيها الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، كما تتبعنا العلاقة بين تاريخ البلاغة وتاريخ الشعر العربي، فخلال ذلك واجهتنا مجموعة من المؤشرات الدالة على جدوى دراسة من هذا القبيل»[3].

واستشعر العمري العراقيل التي ستعترض سبيله التأريخي؛ ولعل أبرزها إشكاليتان: الأولى تمييز العصور والاتجاهات؛ إذ «من الأكيد أن هناك صعوبة في تمييز العصور والفصل بين

---

[1]. العمري (محمد)، **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي**، ص 5.

[2]. نفسه، 32.

[3]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 59.

الاتجاهات الشعرية، خاصة داخل نسق متجانس أو يبدو متجانسا، مثل الشعر القديم عامة، والشعر الحديث عامة»[1]. والثانية أن «الخصوصيات الفردية وصراعها البنّاء مع القيم العامة المهيمنة على الحقبة المدروسة»[2]من شأنه أن يؤثر سلبا في إجرائية آلية المهيمنة.

وبذلك تسلّح العمري في مغامرته التأريخية بعنصرين رئيسين، وهما:

أولا: متن الاشتغال وهو نصوص الشعر العربي في مراحله المختلفة، مع العمل على «الإنصات إلى الوقائع الملموسة»[3] فيه. وثانيا: التأطير النظري المعين على قراءة تاريخ الأشكال؛ وهو عدة الباحث في كل دراساته التأريخية السالفة التي لا تخرج عن«تراث الشكلانيين الروس وما يتفرع عن ذلك التراث من اتجاهات منفتحة على التلقي والقراءة»[4]. واعتمد في تأطيره النظري والمنهجي على آلية المهيمنة التي قادته إلى استجلاء المثيرات الأسلوبية الطاغية، مع الإفادة من النقد التطبيقي بما فيه من «مختارات وشروح ومعارضات، تامة أو جزئية، وتنصيصات (اقتباسات وتضمينات) وغيرها»[5]، وذلك لوعيه بأن تجليات النقد التطبيقي هي «كلها أشكال من التلقي النقدي للشعر تشير إلى مناط الاهتمام في كل حقبة من تاريخه»[6].

واستطاع الباحث رصد مؤشرات الهيمنة من خلال تتبعه للتحولات المفصلية التي توقف عندها النقاد والبلاغيون، بوعي أو غير وعي، في خمس وقائع كبرى، هي:

- الواقعة الأولى: تشكّلت في حمأة الصراع بين القدماء والمحدثين، حيث «ادعاء المولَّدين السبق إلى صور بلاغية بعينها»[7]، ووجد أصداء هذا التحوّل في كتاب **البديع** للشاعر الناقد ابن **المعتز**.

- الواقعة الثانية: تركزت في العناية الكبيرة بمكون التشبيه، ولمح الباحث مؤشراته في إفراد أبي هلال العسكري في كتابه **الصناعتين** لفصل خاص بالتشبيه، تمييزا له عن فصل البديع.

---

[1]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 62.
[2]. نفسه، 61.
[3]. نفسه، 59.
[4]. نفسه، 59.
[5]. نفسه، 59.
[6]. نفسه، 59.
[7]. نفسه، 63.

- الواقعة الثالثة: برزت في القرن الهجري الخامس، حيث الإلحاح على المكون الاستعاري. ولاحظ الباحث انقلاب الترتيب في هذه المرحلة، حيث يقول: «بدأ مشروع عبد القاهر الجرجاني بجعل الاستعارة قمة شعرية مستشهدا، كما وضحنا في كتاب **البلاغة العربية**، بالشعر العباسي الأكثر إغراقا في تركيب الصور»[1].

- الواقعة الرابعة: تجلّت في العصور المتأخرة، حيث «احتدم الصراع حول صورتين بلاغيتين؛ إحداهما عتيدة والأخرى وليدة، وهما: التجنيس والتورية، فحل هذا الصراع محل الصراع القديم بين الطبع والصنعة، الذي كان ينطوي على صراع بين التشبيه والاستعارة»[2].

- الواقعة الخامسة: تبدأ مع النصف الأول من القرن العشرين، وتتقوى مع الحركة الرومانسية التي تثور في وجه الكلاسكيين، وما يعتمدون عليه من بلاغة قديمة، من خلال «ضرورة الخروج من اعتبار الصور البلاغية مجرد حلية لمعان جاهزة، غير منبثقة من عمق الوجدان»[3] والخيال الخصب.

وقد استخلص العمري من الوقائع الخمس أبرز المهيمنات البلاغية، ورأى أنها تشيّد تقطيعا زمنيا رباعيا[4]:

- زمن التشبيه والكناية والتسجيع/الشعر القديم (من البداية إلى نهاية القرن الأول هـ).
- زمن الاستعارة والتقابل (الطباق)/الشعر المحدث والمولد (العصر العباسي).
- زمن التورية والتجنيس/شعر المتأخرين (بعد القرن السادس الهجري).
- زمن الرمز والتناص والتطريز (الإيقاعي والفضائي/الشعر الحديث).

وسيهتم العمري بالأزمنة الثلاثة الأولى في هذه المقالة، ويرجئ الحديث عن الزمن الرابع إلى مناسبة أخرى. وسنتتبع معه قراءته المنتجة للتحولات الكبرى التي عرفتها الأزمنة الثلاثة، من خلال العناصر الآتية:

---

[1]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 64.
[2]. نفسه، 64.
[3]. نفسه، 65.
[4]. نفسه، 65.

1.2.2. من زمن التشبيه إلى زمن الاستعارة:

يرى الباحث أن الزمن الأول قد قام أساسا على التشبيه الذي شكّل إطارا حكائيا في القصيدة العربية القديمة التي يُعَدّ «عمودها الفقري قصةَ الأطلال والرحلة بما تستتبع من مغامرات؛ الرحلة في بعديها الطبيعي والوجداني: الرحلة في الصحراء، والرحلة نحو الآخر (قصص الحب والفروسية)»[1]، كما تتشابك هذه القصة مع موضوع الفقد بما يستدعيه من «رصد حركة الحياة وصراع الوجود بين الحيوان والحيوان، والحيوان والمحيط الطبيعي»[2].

وقد انتبه العمري إلى أن البنية التشبيهية في الشعر القديم تتأسس على مستويين: الأول رؤيوي: يتجلى في «كون الحكاية في حد ذاتها عملية تشبيهية»؛ لأن الشاعر يقيم علاقة تشبيهية بين ذاته ومعطيات الواقع، في تفاعل تناصي مع الذاكرة الشعرية الجمعية. ويضاف إلى ذلك «البعد الرمزي للأشياء والواقع باعتبارها تمثيلا لمعاناة الإنسان»[3]، مثلما يظهر في الصراع الرمزي بين الثور الوحشي والكلاب. والثاني بنائي: يبرز فيما يقوم به الشاعر من بناء لحكاية الحيوان عن طريق التشبيه الجزئي أو الموسع، حيث تبدأ قصص المطاردة «بتشبيه الناقة بحيوان وحشي، ثم يُتناسى التشبيه لصالح قصة قد تحتوي على تشبيهات جديدة قصيرة أو موسعة»[4].

أما الزمن الثاني، فقد تحول فيه الشاعر من الثقافة الأعرابية البسيطة والواضحة إلى الثقافة الفلسفية التي منحته جوانب من التعقيد في الرؤية والأسلوب. وتجلت مظاهر هذا التحول النوعي في العناية بالتعبيرات الاستعارية، وتفاعلاتها البنيوية مع الوجوه البديعية الأخرى مثل الطباق والجناس.

2.2.2. زمن التورية والتجنيس:

برز مكون التورية في الواجهة إبان المرحلة المتأخرة، وأصبح لها حضور بارز لا يوازيه إلا المكون الجناسي. يقول العمري: «برزت التورية كصورة مهيمنة تستقطب ما حولها وتثير الجدل بين البلاغيين، ولا ينازعها في هيمنتها إلا التجنيس»[5].

---

[1]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 66.

[2]. نفسه، 68.

[3]. نفسه، 68.

[4]. نفسه، 69.

[5]. نفسه، 73.

وقد دخلت التورية في مجابهة بلاغية وثقافية مع الجناس، حتى أصبح لكل واحد منهما أنصار يتعصبون لأحدهما؛ فقد انتصر للجناس خليل بن أيبك الصفدي، وألف فيه كتابا خاصا سماه **جنان الجناس**، معتبرا إياه أجود ما في علم البديع، بل عدّه «آية سجدته»[1]. وانتصر للتورية ابن حجة الحموي في كتابه **خزانة الأدب** الذي انتقد انصراف الصفدي إلى الجناس، وبلغت عنايته بالتورية أن خصص لها 251 صفحة، أي حوالي خمسين في المائة من الجزء الثاني من **خزانة الأدب**[2].

وقد تطور الانتصار للتورية عند ابن حجة، حتى أوصله إلى ابتلاع عدد من المصطلحات الأخرى على رأسها الجناس نفسه. وبدا للعمري أن هذا «التوسع في التأويل لاحتواء الصور القريبة والبعيدة هو أحد مظاهر الهيمنة، وقد يكون من ورائه ظهور عدوى الصورة المهيمنة في مستوى الإنتاج نفسه»[3].

والحق أن ما قام به العمري في هذا المقال هو خطوة بلاغية غير مسبوقة، ونأمل أن يوسعها في كتاب مستقبلا، لما لها من فائدة عظيمة في تجلية التحولات الكبرى للبلاغة العربية إنتاجا وتلقيا. على الرغم مما يعترضها من عراقيل يعي بها الباحث أشد الوعي؛ ومن ذلك أنها يجب أن تستنطق النصوص الشعرية في تاريخها الطويل، وتبحث فيها عن التحولات والمنعطفات، وهذا عمل يحتاج إلى فريق متكامل من البلاغيين والنقاد.

3. محطة التأريخ للبلاغة العربية وآلية السؤال والجواب:

يمضي محمد العمري بعيدا في حفرياته التأريخية، فيصل إلى محطة التأريخ للبلاغة العربية في شموليتها، وهي محطة يكتنفها كثير من الغموض والالتباس، حتى يمكننا أن نقول إن العمري قد خرج من محطة «المغامرة التاريخية»مع تأريخه للأشكال إلى محطة «المخاطرة التاريخية»، إذا استلهمنا توصيف علي عشري زايد، مع تأريخه للبلاغة العربية في كتابه **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**.

1. الصفدي (خليل بن أيبك)، **جنان الجناس**، ص 15.
2. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 74.
3. نفسه، 76.

1.3. الخلفيات المعرفية والمنهاجية:

لا يختلف محمد العمري عن سابقيه في التشديد على أهمية التأريخ للبلاغة العربية؛ لأن «كتابة تاريخ للبلاغة العربية مسألة ملحة اليوم لعدة اعتبارات»[1]. ومن هذه الاعتبارات ما هو عام يعود إلى الجانب الواقعي والتاريخي، لسدّ خصاص دراسات التأريخ البلاغي في الوطن العربي، وما هو خاص منهاجي، ذلك «أن تغير المعطيات التي نمتلكها، والإمكانيات التي نسخرها، وتغيّر الأسئلة المطروحة على الأدب، يجعل من اللازم إعادة الكتابة كلما تغيرت شروط القراءة وظروفها. فالحاضر يغني الماضي بقدر ما يغتني بمحاورته. فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام»[2].

ولا ينطلق العمري في عمله التأريخي إلا بعد أن يعرض للدراسات السابقة في الموضوع، ويختصرها في اتجاهين بارزين: الأول اتجاه السرد التاريخي بزعامة شوقي ضيف الذي يثمّن عمله ويراه «أحد الجسور البلاغية التي ينبغي إعادة صياغتها اليوم، وتكميلها أو حتى ترميمها»[3]، واتجاه التأريخ الحداثي اللساني مع حمادي صمود الذي أفاد من التصور البنيوي الغربي في إعادة قراءة التراث البلاغي، كما فعل كل من بارت وكوهن وفاركا ومولينو وطامين ومن شاكلهم من البنيويين الذين درسوا البلاغة الغربية الكلاسيكية.

وقد صرح العمري بأنه أفاد من هذه المرجعية البنيوية إلى أقصى حد ممكن «في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية»[4]، كما عضّدها ببعض «مقترحات جمالية التلقي في بعدها التاريخي»[5] عند ياوس. وفي هذا الصدد يأتي استثمار العمري لمفهوم «السؤال والجواب» في قراءته المنتجة الواعية لأمهات الكتب البلاغية، حيث يحاورها من منظور علائقي بين ما تعلن عنه في مشاريعها وما تحصّله في منجزاتها. وتعد هذه المحاورة من أهم الآليات التي اعتمدها العمري، وتميز بها عمله عن غيره من الأعمال التأريخية الأخرى.

إن اعتماد آلية «السؤال والجواب» هو خطوة بالغة الأهمية في مسار القراءة التصحيحية النسقية للمنجز البلاغي العربي القديم، وهي لا تتوقف عند الخطاب البلاغي فحسب، ولكنها

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 7.
[2]. نفسه، 7.
[3]. نفسه، 8.
[4]. نفسه، 9-10.
[5]. نفسه، 10.

تصل إلى فحص المصطلح البلاغي كذلك، فتكشف عن تناقضاته وتحولاته في المشروع الواحد كما اتضح في قراءة محمد العمري لمصطلحي المعنى العقلي واللفظ عند الجرجاني[1].

2.3. من الأصول إلى الامتدادات:

ينبني كتاب **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها** على تقسيم ثنائي يبدأ من الأصول، وينتهي إلى الامتدادات، من غير أن يحيل التقسيم إلى قطيعة منهجية أو معرفية؛ لأنه كما يقول العمري: «لايسوغ منهاجيا تصور قطيعة بين عملية الاستكشاف التي سميناها أصولا وجعلناها مدار القسم الأول من هذا الكتاب، وبين عملية بناء النماذج التي سميناها، عن قصد، امتدادا»[2].

1.2.3. الأصول أو الروافد البلاغية:

يرى العمري أن للبلاغة العربية روافد خمسة، خصص لها «خمسة فصول متفاوتة حسب الأهمية ومبلغ الطاقة»[3] هي:

- رافد النقد التطبيقي:

يخوض العمري في مفتتح هذا الرافد في قضية ملتبسة، تتصل بمعايير التمييز بين الأعمال النقدية والأعمال البلاغية، على اعتبار أن البلاغة «تصر على الاستقلال بكل ما يتصل بالبنية النصية للخطاب في بعديها الشعري والتداولي، وما يتصل بهما من عناصر تفسيرية نفسية وسوسيولوجية وتاريخية مما يدخل في مجال اللغة الواسع. ويبقى للنقد الأدبي أن يركّب المواد البلاغية مع ما يراه من مواد أخرى تتعلق بالأجناس الأدبية وسيرورة تلقيها وما إلى ذلك»[4].

وهذا التمييز منهجي بالأساس يرفع اللبس عن المؤلفات البلاغية، ويعِين المؤرخ على ضبط المادة المدروسة، بفصل المؤلفات البلاغية الصرف مثل **سر الفصاحة** لابن سنان الخفاجي **والأسرار والدلائل** لعبد القاهر الجرجاني عن النقدية من جهة، وإبراز التداخل بينهما في مؤلفات وسط مثل **منهاج البلغاء** لحازم القرطاجني من جهة أخرى.

غير أن الرافد النقدي له دور مهم في إثراء الدرس البلاغي، سواء في المرحلة الشفهية أو التدوينية. ففي الأولى برز الوعي الجنيني بالخصوصية النوعية للفن الشعري، مع الشعراء

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 16-18.
[2]. نفسه، 285.
[3]. نفسه، 37.
[4]. نفسه، 41.

أنفسهم، ومن جايلهم من القراء. ولم يستقر الأمر عندهم عند «التعبير عن الانطباع بل تعداه في أحيان كثيرة إلى محاولة التفسير»[1]. ويعد النشاط التفسيري «بداية العملية النقدية البلاغية، وهو الذي يشكّل، في الوقت نفسه، بداية الاختلاف. غير أن التفسير يطرح، دائما، قضية الأسس المفسِّرة: مدى ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لطبيعة النص الأدبي، وحين تطرح المسألة بهذا الشكل نكون قد دخلنا في سؤال الهوية الأدبية أي في الأسئلة البلاغية»[2].

ومضت المرحلة الثانية بعيدا، حيث تطور هذا النشاط التفسيري إلى «ادعاء وجود خصوصية مذهبية تميّز فئة من الشعراء تنتمي إلى زمن محدد»[3]، مع المحاولة التأسيسية التي قام بها الشاعر الناقد ابن المعتز في مصنفه **البديع**. ولما تكاثرت مصطلحات البديع، ظهرت الحاجة إلى تنسيقها مع ابن أبي الإصبع وأبي القاسم السجلماسي، ثم نظمها أو تحنيطها»[4] مع أصحاب المنظومات والشرّاح. ولم تكن كتب الاختيارات الشعرية بمنأى عن الهم النقدي البلاغي، خصوصا اختيار أبي تمام مع شرح أبي علي المرزوقي الذي أسهم مع غيره في طرح «الأسئلة الجوهرية، الأسئلة التي تصدت البلاغة لمناقشتها، ولكن في انفصال عن الحركة الشعرية أحيانا»[5].

- رافد معيرة اللغة:

اتسم القرنان الأول والثاني بميسم «البحث عن معيار للغة»[6]، ضمن مشروع وحدوي عربي إسلامي، حيث كان «مشروع الوحدة قيمة مهيمنة تمارَس في جميع المجالات باعتبارها مركزا، وما سواه شذوذ واستثناء»[7].

وقد استشعر النحاة في عملهم القاعدي القائم على القياس والاستقراء بأن «مجال الاستثناء واسع، بل قد تطّرد ظواهره حتى تسمح بوضع قواعد للاستثناء، فشرعوا في استنباطها تحت عنوان المجاز والضرورة»[8].

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 58.

[2]. نفسه، 58.

[3]. نفسه، 60.

[4]. يرى العمري أن المنظومات هي «عملية دفن بطقوسها وأجوائها». يُنظر: **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 63.

[5]. نفسه، 84.

[6]. نفسه، 87.

[7]. نفسه، 87.

[8]. نفسه، 90.

اتخذ المجاز من القرآن الكريم مجالا له في كتاب **مجاز القرآن** لأبي عبيدة الذي جسّر العلاقة بين القرآن الكريم والشعر العربي، من خلال «ذلك الجسر الذي يسمى: المجاز»[1]. وإن كان مصطلح المجاز عنده لا يرادف معناه عند البلاغيين المتأخرين، إلا أنه يتسم بالتوسع الذي يضم الدلالة البلاغية وغيرها. ويُبرز العمري أهمية الكتاب في إغناء الدرس البلاغي بقوله: «يمثل **مجاز القرآن** عملية الغربلة المنهجية الأولى التي ستسمح باستخراج مجموعة من المقولات البلاغية، بقدر ما تستخرج متنا من الأمثلة التي ستكون لاحقا موضوعا للتأمل البلاغي، ثم التسمية والتعريف»[2].

واتخذت الضرورة من الشعر مجالا لها، وانتبه العمري إلى الطبيعة الحوارية والإشكالية التي زُجّت فيها ضرورات الشعر، يقول: «من هذا الحوار حول القاعدة النحوية والضرورة الشعرية والحقيقة الدينية والمجاز تغذت المباحث البلاغية، فتحولت من مجرد ذكر صور الاستعارة والتشبيه وغيرهما ضمن صور البديع ومحاسن الكلام إلى مجال النقاش الدقيق في بنية المجاز ووظيفته كما نجد عند الجرجاني مع تحديد وتدقيق للمفاهيم »[3].

- رافد علم الكلام:

لقد كان لعلم الكلام دور بارز في تخصيب قضايا الدرس البلاغي، وتعميق الإجابة عن الأسئلة المطروحة. ولم يهتم العمري بالقضايا النظرية أو الاعتقادية التي يقوم عليها هذا العلم إلا في «حدود انعكاسها على الجوانب التطبيقية العملية. فالجوانب التطبيقية هي التي تمخّض عنها البحث البلاغي»[4].

وظف المتكلمون والإعجازيون علم الكلام في اتجاهين، لكل واحد منهما «أثر في البلاغة العربية وإغناء جوانب منها على حساب جوانب أخرى»[5]. وهما:

الاتجاه الأول: يدافع عن النص القرآني، وينزهه من الشبهات التي رماه بها المشككون والملاحدة. وقد مثّل هذا الاتجاه ابن قتيبة في كتابه **تأويل مشكل القرآن**، الذي عرض لأهم تلك الشبهات وصفا ونقدا، ليجد نفسه وجها لوجه أمام «مشكل العبارات المجازية»، فحاول أولا

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 92.

[2]. نفسه، 92.

[3]. نفسه، 128.

[4]. نفسه، 140.

[5]. نفسه، 141.

تنسيقها وجمع شتاتها، ثم كشف ملتبساتها ثانيا. ومن هنا كان هذا الكتاب «مساهمة في تشييد صرح البلاغة»[1].

الاتجاه الثاني: يبيّن وجوه الإعجاز القرآني، ويكاد يحصره في الوجه البياني لمّا انطلق من إشكال جوهري داخلي: «هل القرآن معجز باعتباره جنسا من القول متميزا عن الأجناس المعروفة عند العرب أم هو معجز باعتبار مستواه في الفصاحة دون أن يكون متميزا عن كلام العرب؟»[2]، وقادت محاولات الإجابة عن هذا السؤال نحو البحث في الخصوصية البلاغية للنص القرآني، فكان لهذه المحاولات الإعجازية «دور حاسم لا يمكن التغاضي عنه في تطور البلاغة العربية وتوجيهها، نجملها في إجراءين كبيرين:

1- اختزال البديع، ومحاولة تفسير الفاعلية البلاغية.

2- تفسير الوجوه البلاغية وبيان المزية النظمية»[3].

- رافد المعرفة والإقناع:

يخصص العمري لهذا الرافد كتابا مركزيا في البلاغة العربية هو **البيان والتبيين** للجاحظ. فيبدأ بإبراز أهم القراءات المحدثة حوله؛ تلك القراءات التي تدل على «مدى الحيرة والتضارب في الرأي حول استراتيجية الكتاب، بين نفيها وبين التردد في إقرارها»[4]، ثم يُرجع السبب في ذلك إلى انطلاق أغلب الدارسين من قراءة غير سياقية، تختزل البيان العربي في الفهم المتأخر للبلاغة العربية الذي «رُبط أساسا بالشعر وبمفهوم التحسين (المحسنات البديعية)، وفُصل عن مفهوم الإقناع والمعرفة»[5].

وقد بدا العمري في هذا المحور يكتب لغرضين: مناقشة تصورات الدارسين المحدثين، وإعادة بناء فهم جديد لبيان الجاحظ. ومن هذا المنطلق كشف عن اختلاف المرجع المؤطر للجاحظ عن غيره من النقاد والبلاغيين، حيث لم تكن معركته مثلهم «فنية بين شاعر قديم وشاعر حديث، وليست همومه في حدود الفرق بين استعارة الشاعر الجاهلي واستعارة الشاعر

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 146.

[2]. نفسه، 164.

[3]. نفسه، 166.

[4]. نفسه، 190.

[5]. نفسه، 190.

العباسي. إن معركة البيان كانت معركة فكرية حضارية، والخطابة كانت دائما ملتبسة بالسياسة والعدالة»[1].

وقد انتهت دراسة العمري السياقية والداخلية **للبيان والتبيين** إلى أنه يتكون من مركز ومحيط؛ فالمركز في نظره هو «الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة»[2]، والمحيط هو مجمل الاستطرادات التي لا تخرج في المحصلة عن استراتيجية الكتاب أو مركزه.

- رافد البلاغة اليونانية:

يخوض العمري في هذا الرافد الخامس في مراجعة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وتتجلى في تفكيك «فتوى نقدية» عمّرت طويلا في أذهان الدارسين حاصلها أن العرب لم يتأثروا بالثقافة اليونانية. وقد أتى الباحث بمفهوم «القراءة» بديلا عن مقولة «التأثير والتأثر»، وبدا ذلك بجلاء في العنوان الذي وسم به هذا الرافد «القراءة العربية للبلاغة اليونانية».

برزت القراءة العربية لكتاب **فن الشعر** لأرسطو من خلال عملية تحويل مقصود وتبيئة واعية لقضية الكتاب من المحاكاة إلى التغيير مع ابن رشد بوصفه «صيغة متقدمة، تاريخا وفهما، للانزياح الشعري»[3]، مستفيدا من «نتائج نضج البحث البلاغي وتدقيق أسئلته في القرن الخامس الهجري [...] وقراءة الرعيل الأول من الفلاسفة لأرسطو»[4]. وبدا هذا التحويل أو القلب استراتيجيا؛ لأنه يراعي البيئة العربية الشعرية، عكس البيئة اليونانية المسرحية والحكائية؛ وهذا ما يفسّر المرادفة «الحضارية» لفني الكوميديا والتراجيديا بغرضي الهجاء والمدح.

أما القراءة العربية لكتاب **الخطابة** لأرسطو، فقد ركزت على الصحة والاعتدال ذات البعد المقامي التي كانت مناسِبة للبلاغة العربية، حتى أمكن القول إن «كتاب الخطابة قد رمى بأول أحجاره في بركة البلاغة العربية الناشئة من خلال صحيفة بشر بن المعتمر حول المقام»[5].

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 205.
[2]. نفسه، 191.
[3]. نفسه، 253.
[4]. نفسه، 259.
[5]. نفسه، 281.

2.2.3. الامتدادات أو المشاريع الكبرى:

يؤطر العمري المشاريع الكبرى للبلاغة العربية ضمن إطار عام يتراوح بين عنصرين هما: المحاولات الأولى لبناء بلاغة عامة قبل القرن الخامس الهجري، والخلفيات المذهبية للمشاريع الكبرى.

ففي العنصر الأول، يتناول بالدرس كتاب **الصناعتين** لأبي هلال العسكري بوصفه «أول محاولة لقراءة أعمال البلاغيين العرب الرواد قراءة شاملة تستهدف الخروج بصيغة عامة تجمع المتفرِّق»[1]، لكنها لا ترقى إلى بناء نموذج متكامل، لما يشوبها من نزعة تلفيقية. كما يقف عند كتاب **نقد الشعر** لقدامة الذي تبنى محاولة تنسيقية مهمة، وإن كانت ذات طبيعة شكلية.

وفي العنصر الثاني، يوضّح العمري دور الخلفيات المذهبية الأشعرية والاعتزالية في بروز «تصورين متعارضين للبلاغة كان لهما أثر كبير وحميد في إغناء البلاغة العربية هما تصور ابن سنان الخفاجي الذي لم يكتب له أن يَرُوج، وتصور عبد القاهر الجرجاني»[2].

أما المشاريع الامتدادية الكبرى، فقد سارت، حسب نظر العمري، في مسارات ثلاثة هي:

- مسار المراوحة بين الغرابة الشعرية والمناسبة التداولية:

يتجلى هذا المسار في المشروع البلاغي لعبد القاهر الجرجاني، حيث قدّم العمري حوله قراءة عميقة ومختلفة عمن سبقه، كشفت عن مضمرات المشروع ومخفياته، فدلّل على أسبقية كتاب **الأسرار**، الذي جاء مهموما بسؤال الغرابة الشعرية، معتبرا إياه «العنصر المنسِّق، أي يعتمده المؤلف مبدئيا لصياغة نسقه البلاغي، وعليه بُنيت خطة الكتاب»[3].

وفرّق العمري بين المعلن والمنجز في **أسرار البلاغة**، فوجد أن المعلن هو حصر الموضوع في التشبيه والتمثيل والاستعارة، أما «المنجز من الكتاب فيعدو ذلك إلى الحديث عن الأخذ والسرقة في فصلين متكاملين»[4]. وعلى هذا الأساس، أعاد بناء الكتاب وفق رؤية نسقية، تعي خصوصية الكتابة عند عبد القاهر الجرجاني، حيث يقول العمري: «إن تصوره العام والنتائج

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 289.
[2]. نفسه، 325.
[3]. نفسه، 330.
[4]. نفسه، 331.

النهائية لاجتهاداته توجد في آخر أعماله، في حين توجد المفاتيح في أولها. وهذه حقيقة سبقنا السكاكي إلى الوعي بها واستثمارها حين قدّم المعاني على البيان وجعل البديع في الهامش»[1].

ووفق هذا الاعتبار، بنى خطاطة جديدة للكتاب تبدأ بالقسم الثالث: المعنى الصحيح والمعنى التخييلي، فالأول: المعنى القريب والمعنى البعيد، فالثاني: المجاز البديعي والمجاز غير البديعي. وخلص من تحليلاته الضافية إلى أن «المدخل الأول مدخل لغوي منطقي، والمدخل الثاني مدخل نقدي منطقي، والثالث مدخل ديني منطقي. أي محاولة قراءة اللغوي والنقدي والديني قراءة منطقية» [2].

يرى العمري أن انتقال الجرجاني من **أسرار البلاغة** إلى **دلائل الإعجاز** إنما هو انتقال نوعي، حيث إن عملية الانتقال «لم تستتبع التخلي عن مادة الأسرار بل اكتفت بتعديلها وتكميلها (بإضافة الكناية)، وربطها بمقتضيات النظم النحوي، وجعلها تابعة له، فلم تعد موجودة في اتجاه تنامي الغرابة بل في اتجاه مناسبة الكلام للمقاصد»[3]. أي أن الانتقال كان من الزاوية الانزياحية إلى الزاوية التداولية.

وبعد أن كشف العمري عن النسق المتحكم في الكتابين، راح يعلق على طبيعة النسق البلاغي الجرجاني، فأرجع ذلك إلى عنصرين بارزين هما: الإجراءات والاقتراحات، تناول فيها الدعائم الكبرى لبلاغة الجرجاني، فحدّدها في الآتي: «1) إقصاء الأصوات والمفردات، 2) تأويل اللفظ إلى صورة للمعنى وتقييده بالنظم، 3) البناء على المتحقق من الجمل والصور، 4) النقل والادعاء»[4].

ثم الوظيفة الشعرية التي أطل عليها من موقعين متقاطعين أحدهما له طبيعة فلسفية والآخر له طبيعة أخلاقية، ويمكن «اعتبار أحدهما امتدادا للآخر: لذة المعرفة ولطف المفارقة من جهة، والهمس الشعري وإحراجات الصدق والكذب من جهة ثانية»[5].

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 332.

[2]. نفسه، 352.

[3]. نفسه، 353.

[4]. نفسه، 366.

[5]. نفسه، 392.

- مسار أناقة الخطاب:

يقود هذا المسار ابن سنان الخفاجي في كتابه **سر الفصاحة**. ولعلنا نتساءل: لماذا يولي العمري أهمية كبيرة لهذا المشروع، عكس كثير من مؤرخي البلاغة؟ يجيب العمري بالتركيز على اعتبارين أولهما: أن عمل الخفاجي يمثّل «أجرأ محاولة لصياغة مشروع للبلاغة الصوتية انطلاقا من رصيد معرفي وخلفية مذهبية تريد أن تُؤوِّل وتُوجِّه»[1]، والثاني: أنه «يمثّل أحسن صورة للبلاغة في مفهومها الكلاسيكي: أناقة الخطاب»[2]. ويرى العمري أنه بهذه البلاغة يقف في الجانب المقابل لبلاغة الجرجاني، بل يستدرك فيقول: «بل هو أكثر قربا من النص الشعري الكلاسيكي من بلاغة عبد القاهر الجرجاني»[3].

وأخضع العمري عمل ابن سنان لقراءة تسائل المشروع والمنجز، حيث لاحظ أنه «لا يسير في خط مستقيم بل يضطر للسير في أكثر من خط: فهناك مقدمات وخلفيات للمشروع معلنة تؤطر المشروع، وهناك مؤخرات ومضمرات تفسّر المنجز بل وتبرره. ويمكن التأكّد من ذلك بسهولة بالمقارنة بين المدخل اللغوي الصوتي الصارم، والمخرج النقدي المصالح المتسامح (أي الخاتمة)» [4].

تأطر مشروع ابن سنان في سياق سد الفراغ في التأليف الصوتي، وقد قاده تصوره المذهبي إلى اعتبار الفصاحة جزءا من عملية نقد الكلام. لكنه انزاح في منجزه «عن المفهوم الصوتي الصرف خطوة تلو الأخرى حتى اعترف صراحة بضرورة فتح الباب للمعنى إلى جانب الصوت ليتّسع الكلام للفصاحة والبلاغة معا»[5].

- مسار البلاغة المعضودة:

أفاد العمري صفة "المعضودة" من حازم القرطاجني أثناء حديثه عن «البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحِكَمية»، ثم جعلها مسارا يضم حازما والسكاكي الذي عضَّد بلاغته بالنحو والمنطق.

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 413.

[2]. نفسه، 413.

[3]. نفسه، 413.

[4]. نفسه، 413.

[5]. نفسه، 419.

وقد قادتهما هذه النزعة التعضيدية لتشييد بلاغة نسقية سماها حازم «علما كليا، يُستخلص رحيقُه من علوم اللسان الجزئية، وفكّر السكاكي في شيء مماثل سماه علم الأدب، اكتشف في الأخير أنه تركيب بين علوم اللغة والمنطق، في خلاصة سماها علم المعاني والبيان»[1].

وأبان العمري عن اختلاف تلقي المشروعين، فقال: «فمن سوء الحظ أن مسار الثقافة العربية لعصرهما كان أميل للتدحرج منه إلى التسلّق والرقي، فكان أن لقي مشروع السكاكي قبولا لأنه كان قابلا للتجزيء، بسبب عدم انصهار أجزائه، في حين تعذّر ذلك بالنسبة لمشروع حازم، كما تعذّرت قراءته قراءة نسقية تركيبية في عصره أو بعده لخفاء الروابط بين أجزائه»[2].

ويمكننا تركيب نتائج قراءة العمري للمشروعين في ارتباط **مفتاح العلوم** للسكاكي برؤية نسقية، جعلت من الحد والاستدلال مكملا لعلمي المعاني والبيان، لتصبّ في علم النحو. في حين انصرف المنجز إلى الانقلاب على هذا البناء الترابطي، بحيث «تحلّ البلاغة (أي علم البيان والمعاني مندمجين) محلّ الصّدارة، وتصير الأخرى مساعدة لها ابتداء من النحو وانتهاء بالمنطق والشعر ممثلا بالعروض والقافية، بل والبديع أيضا»[3].

أما كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، فقد اقتضى من العمري النظر إليه من خلال زاويتين: الأولى فيلولوجية، رمّم من خلالها الجزء الأول المفقود بالاعتماد على إحالات الكتاب نفسه، والرجوع إلى **سر الفصاحة** لابن سنان الخفاجي، بوصفه مرجع حازم في فصاحة الألفاظ، وما أورده المتأخرون من نقول متفرقة عن مطالعاتهم للجزء المفقود. والثانية تحليلية، ترصد المفاصل الكبرى التي عالجها الكتاب، وهي: اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب، ثم تنتقل، اتباعا للنهج العام، إلى المنجز الذي بدا فيه حازم قد حسم جدالات بلاغية معمِّرة، من أهمها نقل الاهتمام من ثنائية الصدق والكذب إلى قضية التخييل، والكشف عن المساحة التي يتقاطع فيها الخَطابي بالشعري، باعتماد آليتي العمدة والتابع؛ حيث ينبني الشعر على عمدة التخييل، لكنه قد يستعمل تابع الإقناع. والعكس يقال عن الخطابة.

قدَّم العمري في محطة التأريخ للبلاغة العربية قراءة حصيفة متأنية، باعتماد آلية السؤال والجواب، وتقسيم يبدأ من الأصول والروافد ليصل إلى الامتدادات والمشاريع. غير أن القارئ لهذا العمل الضخم لا يسعه إلا أن تعترضه بعض الأسئلة الملحة، من قبيل: ألا تتميّز مشاريع

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 478.

[2]. نفسه، 478.

[3]. نفسه، 485.

البلاغة العربية بطابع جماعي، بدل الانحصار في جهود فردية (عبد القاهر الجرجاني، وابن سنان الخفاجي، والسكاكي، وحازم)؟ لماذا يغيب عدد من البلاغيين من تأريخ العمري أمثال ابن الأثير والسجلماسي وابن البناء وابن عميرة؟ ألا يمكن أن نضيف مسارا رابعا يقوده القزويني وهو ما يسمى عند جمهور الباحثين بالبلاغة المدرسية، خصوصا أنها تحتلّ منذ المرحلة المتأخرة حتى اليوم صدارة المسارات البلاغية؟

ويبدو أن سؤال النسق قد كان موجها حاسما في قراءة الباحث محمد العمري للبلاغة العربية جعله يركز على المشاريع البلاغية النسقية.

وختاما، قدّم محمد العمري مشروعا نسقيا متكاملا، يشكّل لبنة قوية في صرح التأريخ البلاغي في الوطن العربي، وذلك من خلال التوقف عند محطتين بارزتين، هما: محطة التأريخ للأشكال، التي اعتمد فيها آلية المهيمنة. ومحطة التأريخ للبلاغة العربية، التي شغَّل فيها آلية السؤال والجواب.

وأبان الباحث أن عملية التأريخ ليست عملا تراكميا تعاقبيا، وإنما هو نشاط معرفي تتشابك فيه المادة التراثية مع أسئلة الذات المؤرخة ورهانات المرحلة التي تعيشها، مما يجعلنا في المحصلة أمام منظورات تأريخية متعددة، تُثري قراءة التراث البلاغي، وتفتح آفاقا للبحث البلاغي العربي الحديث والمعاصر.

لائحة المصادر والمراجع

- أدونيس، **مقدمة للشعر العربي**، ط3، دار العودة، بيروت، 1979.

- صمود (حمادي)، **التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)**، منشورات الجامعة التونسية، السلسلة السادسة: الفلسفة والآداب، مجلد عدد 21، 1981.

- الصفدي (خليل بن أيبك)، **جنان الجناس**، تحقيق سمير حسين حلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1987.

- ضيف (شوقي)، **البلاغة تطور وتاريخ**، ط9، دار المعارف، مصر.

- العمري (محمد)،

- «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد3، 2013.

- **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة. دراسات وحوارات**، أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 2013.

- **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 1999.

- **تحليل الخطاب الشعري. البنية الصوتية في الشعر**، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 1990.

- **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي**. **مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ للأشكال**، منشورات دراسات سال، ط1، البيضاء، 1990.

- **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية**، منشورات دراسات سال، ط1، البيضاء، 1991.

- المراغي (أحمد مصطفى)، **تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1950.

- مساعدي (محمد)، **تاريخ تلقي الشعر العربي القديم. نماذج من تلقي شعر أبي نواس**، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، ط1، الإصدار الثالث، 2005.

- ويليك (رينيه) ووارين (أوستن)، **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987.

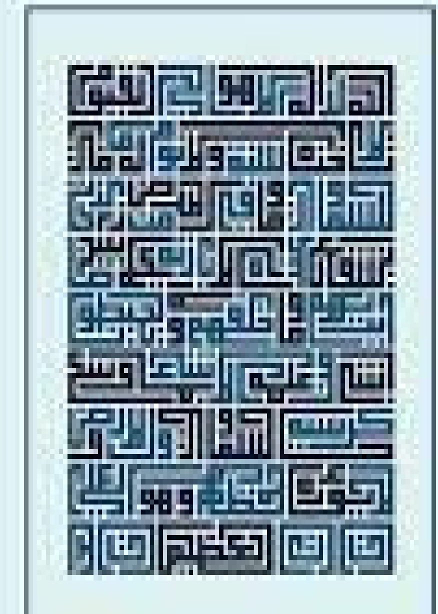
- Jakobson (Roman), *Huit questions de poétique,* Éd. du Seuil, Paris, 1977.

- Jauss (H.R.), *Pour une esthétique de la réception*, Éd. Gallimard, Paris.

د. عبد الرحيم وهابي

بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم

(مقاربة معرفية تداولية)





المعجم النسقي للبلاغة العامة

عبد القادر بقشى [1]

عبد الرحيم وهابي [2]

- أولا: السياق والمقصد

يعد الاهتمام بالمصطلح، مبدأ أساسيا في بناء المشاريع البلاغية سواء على مستوى استثمار المفاهيم الحديثة في إعادة قراءة التراث البلاغي القديم، أو تنسيق المشاريع البلاغية العربية القديمة المنجزة. وهو الموضوع الذي شكّل للباحث محمد العمري انشغالا مركزيا في سبيل استكمال ضبط خريطة المصطلحات البانية لنموذج البلاغة الجديدة العامة. ويبدو هذا المسعى مُلحّا وضروريا بالنسبة للطلبة والباحثين المتخصصين، ومن في مقامهم لتيسير التواصل البلاغيّ بالمعرفة البلاغية الحديثة.

ولا شك أن دلالة أي مصطلح لا يمكن أن تتحقق خارج النسق المعرفي الذي ينتمي إليه، لذا، فإن القارئ سيلتقي في هذا البحث بمجموعة من المصطلحات الجديدة، أو المجدَّدة التي لا مندوحة عنها للخروج من الخلط والاضطراب في بناء النسق البلاغي الذي توخاه محمد العمري مثل: مصطلح "الخَطابية" «ترجمةً لريطورية أرسطو، في مقابل الشعرية، وقياسا عليها»[3]. و"المُستمَع" على وزن مجتمَع، ترجمةً للكلمة الجوهرية في التداول الحجاجي "Auditoire" بدلا من "المقام" التي استقرت ترجمةً لـ "Situation"، و"الصورة" ترجمةً لـ "Figure" توازيها كلمة "حجة" ترجمةً لـ "Argument". وقِس على ذلك "التصديق"، و"التداول"، و"المغالطة"، و"الاستهواء"، و"المشاورة"، و"الإنشاء"، و"التخييل"، و"الانزياح"، وغير ذلك مما هو معروف في مكان وروده، أو عبر سياقه. وعلى القارئ -كما جاء في رجاء محمد العمري- ألا يلتقط المصطلحات التي اقترحها بمنقار طائر جوال لا يغادر قبة سمائه. فالمسألة كما ذكر تتعلق بمحنة نسق لا بجولة ألفاظ[4].

---

[1]. أستاذ التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

[2]. أستاذ التعليم العالي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، فاس.

[3]. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 8.

[4]. نفسه، 8.

واستلهاما لهذا الأفق، واستكمالا لمنجز **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** في هذا الباب[1]، نضع بين يدي القراء والباحثين معالم معجم نسقي تفصيلي للبلاغة العامة، يستقرئ أهم مصطلحاتها البانية، ويعرض لمفاهيمها بما يؤدي إلى تيسير تعميم المعرفة البلاغية الحديثة التي يتجاور فيها القديم بالحديث، ويمكّن من الانتقال من المعرفة العلمية العالمة إلى المعرفة التطبيقية العملية والبيداغوجية على مستوى وصفِ كل أشكال الخطابات، في وئام وتآخ تفاعلي مع المحيط المعرفي اللساني والمنطقي الفلسفي.

ثانيا: معجم المصطلحات البانية للبلاغة العامة:

1. البلاغة

قبل رصد المصطلحات البانية للبلاغة العامة، كما يتصورها رائدها محمد العمري، نعرض للمفهوم الجديد لمصطلح البلاغة ذاته تجنبا لكلّ التباس، وتنبيها إلى ما تَعرَّض له من صور الاختزال، لذا، نحتاج إلى شيء من التحديد المفاهيمي للمصطلح بالقدر الذي نحتاج فيه كذلك إلى شيء من التاريخ لفهم مسار البلاغة بصفتها مفهوما تاريخيا.

نُذكر بداية بأن البلاغة شكلت في مهدها أول شاهد على التأمل في اللغة[2]، بل هي مبحث قديم ارتبط في التقاليد الغربية بجهود السفسطائيين وأفلاطون قبل أن يولد من جديد مع أرسطو ليهتم بفن الإقناع أو بالأحرى صناعة المُقنع من الكلام. مما يفسِّر مسارعة معلمي الخطابة كوراكس وتيزياس إلى تعليم الناس وسائل الإقناع على نحو أصبحت معه البلاغة في المجتمع الديموقراطي الأثيني سلاحا مُهما لاسترجاع الحق في تملّك الأرض. ومع هذه الوضعية الاعتبارية الذهبية أخذت البلاغة بَعد أرسطو بُعدا اختزاليا فقدت معه بعدها التداولي المباشر، فلم تَعُد تُعلِّم كيفية الإقناع، ولكنها صارت تعلّم كيفية إنتاج خطاب جميل[3]. فاهتمت البلاغة في ظل هذه الوضعية الاختزالية برصد صور الأسلوب متخلية عن بعدها الاجتماعي التخاطبي، مما أدى بالبعض إلى الدعوة لمحاربتها، لتظهر بعد ذلك محاولات تجديدية شعرية وبلاغية تُوّج

---

[1]. ننوه بهذا الخصوص بدراستين هامتين في هذا الباب: الأولى هي كتاب أنجزه الباحث ادريس جبري وعنوانه **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري** لا سيما الفصل السادس الموسوم بـ «المصطلح وسؤال البلاغة العامة»، ص 161-171. والدراسة الثانية مقال للباحث الحسين بنوهاشم يحمل عنوان «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة» نُشر ضمن أعمال الندوة الدولية حول سؤال المصطلح البلاغي. انظر: **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**،ع9، 2016، ص 289-304.

[2]. Ducrot (Oswald) et Todorov (Tzvetan), *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*, p. 99.

[3]. نفسه، 100.

بعضها بالتأسيس لنموذج بلاغي عام، يستوعب ما هو حجاجي وما هو تخييلي (أسلوبي)[1]، ويتطلّع لتحليل كل الخطابات المؤثرة. وبهذا التصور الجديد غدت البلاغة مع بليث وغيره منهجا للفهم النصي مرجعُه التأثير[2]. مما يبين أن البلاغة تهتم بالتأثير، وما به كانت هذه الخطابات مؤثرة.

ونجد امتدادات هذا التصور قويةً في مشروع محمد العمري للبلاغة العامة التي تَتخذ من الخطاب المؤثر المنجز تخييلا أو حجاجا، أو هما معا، موضوعا لها، إذ عاد بعد أربعين سنة من التصنيف في الموضوع ليتساءل: ما البلاغة؟ كما يُفهم من قوله: «هذا هو السؤال الذي قادنا، بعد تحقيق أعمال جزئية في مجال الشعرية (علم الشعر)، والخَطابية (علم الخطابة)، إلى محاولة تنسيق تاريخ البلاغة العربية تنسيقا يستوعب كل توجهاتها - في كتاب **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها** - وذلك تمهيدا لطرح السؤال الذي أرَّق الباحثين المحدثين: ما البلاغة؟ الذي جاء صريحا في آخر أعمالنا: البلاغة بين التخييل والتداول»[3]. وهكذا عرّف البلاغة بأنها: «علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال»[4] . والخطابُ «الذي تتناوله البلاغة هو كل خطاب يقتضي أثرا وتفاعلا بين متخاطبين فعليين (قائمين) أو مفترضين (متوقعين) درجاتٍ من التوقع، قد تقترب من الصفر. وهذا الأثر لا يعدو أن يكون طلباً للتصديق (أو التسليم بدعوى أو أطروحة)، أو طلبا للتخييل والتوهيم. ومعنى ذلك استيعاب الخطاب التداولي الحجاجي كله: من الإشهار إلى المناظرات، وكل أشكال الحوار والمناقشات من جهة، وكل صور التعبير والتخييل الأدبي بالمعنى الحصري للأدبية بما فيها الشعر والسرد وما تفرع عنهما، أو بُنِي عليهما. ثم تتبعُ توظيف هاتين الآليتين الخطابيتين في كل المجالات التي تُثبت فيه حضورهما قدرا من الحضور»[5].

---

[1]. لا شك أن هذه العودة استفادت من التطور المعرفي والمنهجي في الجوار المنطقي والفلسفي واللساني والأدبي، فعادت البلاغة من جديد خير عودة مزهوة بنفسها ومتطلعة لاستعادة حقولها التي استُلبت منها، وشعارها هو تملّك وسائل الحوار الفعال للدفاع عن قيم العدل والمساواة والخير والتسامح الخ. يقول هنريش بليث «إن سبب هذه "النهضة" البلاغية يرجع، في مجال التنظير، إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية، ونظريات التواصل والسيميائيات والنقد الأيديولوجي، وكذا الشعرية اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص». **البلاغة والأسلوبية**، ص 22.

[2]. نفسه، 24.

[3]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة**، ص 12.

[4]. نفسه، 18؛ ينظر أيضا: **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 71.

[5]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 73.

هذا المفهوم الجديد للبلاغة الذي تبلور في كتاب **البلاغة الجديدة** تم تشذيبه وتطويره في كتاب **المحاضرة والمناظرة**، فأضحى مصطلح البلاغة يؤدي -حسب محمد العمري- «معنيين:

1- فهي في معناها الأول، الإنشائي (الإنتاجي)، كل "تعبير" متميز بقوته التخييلية والتصديقية. منطلقها الأول، ووطنها الأصلي، ونموذجها المقتدى، أقاويلُ اللغة الطبيعية، تقصيدا وتسريدا، حوارا ومرافعة، وما تركب منهما، أو بني عليهما. أما امتداداتها فمتحققة في كل ما يقاس عليها في المجال العَلامي، من تشكيل وموسيقى وتعبير جسدي... الخ. اصطلحنا للتعبير عن هذا المنتج البلاغي الشاسع المتنوع بكلمة "إنشاء". إذن فالبلاغة تدل، في معناها الأول على الإنشاء. الكلام الإنشائي هو الكلام البليغ.

2- وهي، في معناها الثاني، الوصفي (لغة واصفة):

العلم الذي يتناول (يصف) الخطاب الاحتمالي المؤثر، المنجَز بالاختيار (أي الإنشاء)، إغرابا أو مناسبة، من أجل إحداث فُسحة في ذهن الإنسان (تخييلا)، أو بينه وبين الآخرين (حوارا)»[1].

وإذا كان هذا المفهوم الجديد للبلاغة في بعديها الشعري والتداولي قادرا على استيعاب كلّ المنجز المعتبر بليغا، أو بلاغيا، فإن «ريطوريك المقابلة لها عادة في التراث الغربي (اليوناني واللاتيني، وما تفرع عنهما في اللغات الغربية) تتأرجح بين التعميم والتخصيص حسب السياق. فقد تدرجت من الاختصاص بالخطاب الإقناعي (في مقابل الخطاب الشعري المخيل) إلى الدلالة على الخطابين معا، المخيل والمصدق، حسب السياق، أو بإضافة صفة مخصِّصة: البلاغة **العامة** (Rhétorique générale)»[2].

2. من البلاغة إلى البلاغة العامة

تَبيَّن مما سبق أن البلاغة تتفرع إلى مكونين مركزيين هما: الشعرية والخَطابية[3]. لكن البحث عن إمكانية وجود نسق دال يجمع بينهما يظل مطلبا ملحا، وهو السؤال الذي صاغه محمد

[1]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»؛ وينظر: العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 89.

[2]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

[3]. اختار محمد العمري كلمة الخَطابية مُقابلا لكلمة ريطوريك الأرسطية، والشعرية مُقابلا لكلمة *poiesis*. يُنظر كتابه: **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 14.

العمري بعد أربعين سنة من البحث بقوله: «هل هناك مشروعية لقيام بلاغة عامة»؟[1]، تجمع بين التخييلي والحجاجي.

لمقاربة هذا السؤال، قدَّم الباحث في هذا الإطار وجهتي نظر حديثتين متعارضتين في الموضوع: إحداهما تُرجح الفصل بين الشعرية والخَطابية كما عند بول ريكور، والثانية ترجح الوصل بينهما، موسِّعةً منطقة التقاطع بما يسمح بجعلها عاصمة لبلاغة عامة. ودعَّم هذا الاتجاه بالمناقشة، من جهة، وبتقديم وجهة نظر البلاغة العربية، من جهة أخرى[2]. وانتهى من هذا كله إلى ما انتهى إليه أوليفي روبول (Olivier Reboul) الذي يقول: «سنتبنى نحن حلاً ثالثا، لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوبِ ولا في الحجاجِ، بل في المنطقة (Région) التي يتقاطعان فيها بالتحديد. بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة [...] كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج»[3].

والحاصل أن مناقشة هذا الإشكال انتهت بالاعتراف بوجود منطقة، بمثابة إقليم (Région)، تتداخل فيها الخَطابية والشعرية، التخييل والتصديق في نوع من الوصل بينهما. وقد اعترف محمد العمري بما لا يدع مجالا للشك أنه من الواصلين. ومن ثمة « فالكلام الذي يستحق صفة "بلاغة" [عنده] مشتمل ضرورة على بُعْد تخييلي، وبعد إقناعي/تصديقي. والفرق بين إنشاء وإنشاء كامن في طبيعة هذا المكون في كل منهما، فالتخييل "عمدةٌ" في الشعر و"تابع" في الخطابة، والتصديق/الإقناع عمدة في الخطابة وتابع في الشعر»[4].

ومثلما وجد العمري - كما يبدو - في مُنجز حازم القرطاجني سندا لتصوره للبلاغة العامة، فقد وجد كذلك في النموذج البلاغي والسيميائي العام الذي قدَّمه هنريش بليث في مقاله «البلاغة والأسلوبية» الذي ترجمه، وفي تصور روبول سندا قويا لبناء بلاغة عامة تستوعب التخييلي والحجاجي.

وجماع القول، أنه حينما يطلَق مصطلح البلاغة اليوم، فهو يحيل على بلاغة جديدة عامة تستوعب كل الخطابات التي تتملك وظيفة تأثيرية/بلاغية. بمعنى البلاغة التي اختارت دراسةَ كل

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 5.

[3]. نفسه، 15-22.

[3]. أحال العمري هنا على كتاب **البلاغة** (*Rhétorique*) لأوليفي روبول (Olivier Reboul) كما أحال على مقال المؤلف نفسه «الصورة والحجة » (La figure et l'argument). يُنظر كتابه: **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 22.

[4]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

أشكال الخطاب الاحتمالي المؤثر الذي يوجد بين عتبتي البرهان اليقيني والهذيان الجنوني[1]. بغض النظر عن كون هذا الخطاب خطابا أدبيا، أو سياسيا، أو تربويا، أو قانونيا، أو رسالة نصية رقمية، أو وصلة إشهارية، أو رياضية، وغير ذلك. وهو تصور جديد من شأنه أن يحد من التصور المدرسي والمختزل للبلاغة (بلاغة المحسنات)، ويتجاوز النظرة المتكلسة لها بصفتها نوعا من سقط المتاع، إلى كونها وسيلة ناجعة للتفاعل المجتمعي المثمر.

3. الإنشاء (La production)

لا شك أن الحرص على «تنسيق البلاغة» يقتضي اقتراح مصطلحات جديدة ونحتها لتُعبّر عن المقصود، ولعل أول ما اقتضاه، حسب محمد العمري، هذا التعريف الجديد للبلاغة «الذي ادعى أنه يستوعب كل تجليات الشعر عبر الأزمنة والأمكنة، تقصيدا وتسريدا، ويستوعب الخطابة بكل درجات سلمها الحواري، الممتد من الاستهواء إلى المناظرة، شفوية وكتابية...إلخ، أول ما اقتضاه، كما رأيت، هو تجريد معنى مشترك بين كل هذه الإنجازات، يدل عليه لفظ مفرد كامل الأهلية الاصطلاحية، ومن ذلك الاشتقاق منه، الشيء الذي لا توفره جملة "الخطاب الاحتمالي المؤثر".

اللفظ الذي اقترحناه لهذه المهمة، كما سبق، هو لفظ الإنشاء. وهو يفي أيضا بمفهوم "إنتاج النص" كما تصوره كيبيدي فاركا في الدراسة المذكورة. تذكرت لفظ الإنشاء بعد ترجمة تلك الدراسة معتمدا الترجمة الحرفية "الإنتاج"»[2].

وقد اختار الباحثُ كلمة إنشاء بدلا من الإنتاج «لكونها مؤصَّلة في اللغة العربية بمحيط معرفي يصونها عن أي زيغ أو تأويل غير مفيد. فلا يضيرها أن تكون اصطلاحيتُها هذه، وهي مركزية، محاطةً بمعنيين هامشيين، إداري، مرتبط بإنشاء الرسائل الإدارية، ومنطقي بلاغي متصل بالكلام الإنشائي[3].

وبذلك يدل مصطلح الإنشاء على إنتاج الكلام البليغ كله: وهو يشمل الخطابات التخييلية التي مدارها على الصورة، والخطابات الحجاجية التصديقية التي مدارها على الحجة.

---

[1]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

[2]. نفسه.

[3]. أشار محمد العمري إلى أن الكلام الإنشائي هو الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، ومنه طلبي وغير طلبي في مقابل الكلام الخبري الذي يحتمل الصدق والكذب في ذاته. ينظر، «المنظومة المصطلحية».

4. الاحتمال

يرتبط مصطلح الاحتمال بتعريف البلاغة عند محمد العمري -كما أسلفنا البيان-، وهو يتقاطع مع مصطلح الاختيار. يتجلى الاحتمال، ويظهر في ممارسة الاختيار، سواء على مستوى المعاني، أو مستوى الأصوات، أو التراكيب أو السناريوهات، فبالاختيار يتميز منشئ عن منشئ، وكلام عن كلام، وكله احتمال. وبهذا يكون الاحتمال أساسا للبلاغة العامة، تتم أجرأته من خلال الاختيار، ويرتبط الاحتمال عند محمد العمري بمفهوم "الادعاء": «ادعاء الخيال (الكذب)، واحتمال الصدق، وادعاء الصدق واحتمال الخيال... ولذلك يمتد التخييل في التصديق، ويمتد التصديق في التخييل»[1].

يتعارض الاحتمال والاختيار مع مفهوم الاضطرار والحتمية والبداهة والضرورة، لأنه يقوم على أساس ما يراه مُنشئ الكلام، شاعرا أو خطيبا أو روائيا... إلخ ملائما لوجدانه ولمقاصده وقناعاته، ولا شيء يفرض عليه اختيار مكونٍ صوتي أو دلالي أو تركيبي أو معجمي دون مكون آخر؛ وهو في كل ذلك متحرر من قيد الخطأ والصواب، ما دام المعيار هو إجادة العمل وخلق التأثير لدى المتلقي بصرف النظر عن حقيقة القول أو كذبه، ولأجل هذا نبّه حازم القرطاجني إلى الحدود المشتركة بين التخييل والإقناع انطلاقا من مبدأ الاحتمال، حيث « صناعة الشعر تستعمل يسيرا من الأقوال الخَطابية، كما أن الخطابة تستعمل يسيرا من الأقوال الشعرية، لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع، والإقناع في تلك بالمحاكاة »[2].

ولأن الاختيار يستلزم التسليم بكون البلاغة مبنية إبستمولوجيا على الاحتمال، فقد انطلق محمد العمري في بلورة هذه الإشكالية من ثلاثة نصوص لثلاثة من أعلام الشعرية والخَطابية وفلسفة الخطاب: «الأول يفسر فاعلية «العدول» عن معنى (أو صيغة) إلى آخر أو (أخرى)، وهو لعبد القاهر الجرجاني ناظرا إلى الشعر أساسا ومنطلقا. والثاني لشاييم بيرلمان في الطبيعة الاحتمالية التي تميز الخَطابية عن الخطاب البرهاني القائم على البداهة والضرورة. والثالث لبول ريكور يمدّ فيه الجسور بين الشعر والخطابة، من جهة، وبين البلاغة والفلسفة من جهة أخرى»[3].

---

[1]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 76.
[2]. القرطاجني (حازم)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص 293.
[3]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 43.

وبذلك يكون موضوع علم البلاغة -كما يقول محمد العمري- في هذا السياق، هو «الخطاب الاحتمالي المؤثر القائم على الاختيار مناسبة أو إغرابا. الاحتمال نابع من بناء الخطابة على ادعاء الصدق مع احتمال الكذب (الخيال)، وبناء الشعر على ادعاء الكذب مع احتمال الصدق»[1].

5. الاختيار

من المصطلحات المؤسِّسة للبلاغة العامة "الاختيار". وقد تناول محمد العمري هذا المصطلح في إطار استكمال تعريفه للبلاغة، فربط الإبداع الشعري/التخييلي، والقول الخطابي، بالقدرة الإبداعية لمُنشئ الكلام؛ قدرتِه على انتقاء ما يراه الأنسب لإخراج كلامه على وجه مثير، مقنع أو معجب، ولهذا يتقاطع الاختيار مع مفاهيم العدول والغرابة والانزياح، ويحيل على مقولة «إسقاط مبدأ التعادل من محور الاختيار على محور التأليف» عند جاكبسون[2]، إذ إن هذه المفاهيم تأتي نتيجة اختيار بين بدائل ممكنة قد تكون أغرب أو أقل غرابة، أو ملائمة أو غير ملائمة. ومن هنا يغدو التخييل مرتبطا بالقدرة على الاختيار الأنسب من العناصر الشعرية أو الخَطابية، حسب المقام. فالاختيار هنا يُنظر إليه من «زاوية بنائية ونفسية تستحضر «ذخيرة» المتلقي و«كفاءته» التأويلية. وتظهر هذه الكفاءة في تخريج الصور المجازية والتناصّات، كما تظهر في مقارنة التراكيب النحوية حسب المقاصد، وفي هذا المحيط الدلالي يوجد مفهوم «الزيادة» و«الفائدة»، والبناء على الصور، وتعدد الوسائط، والغوص على المعاني من قبل المتلقي، والتذوق... إلخ، ولتحقيق كل ذلك يُشغَّل «الاختيار». نختار من الصور والتراكيب ما يتيح المفاضلة»[3].

ويجد هذا المصطلح أصوله في بلاغة الجرجاني الذي حلَّل النظم انطلاقا من الاختيارات الممكنة لمكوناته بالمفاضلة بينها، بحيث يكون اختيار كلمة دون غيرها، ناتجا عن حسن موقعها داخل النظم المحقق لجمالية الكلام، مع مراعاة المقصد والغرض. إن اختيار كلمة "ليث" بدل "سبع" أو "أسد" - مثلا - ينبغي على أن يوازن منشئ الكلام بين كل هذه الكلمات ويختار ما يراه أبين وأحسن وأكثر مناسبة للنظم. وإذا «كان هذا كذلك -حسب الجرجاني-، فينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلِم إخباراً وأمراً

---

[1]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 47.

[2]. Jakobson (Roman), *Essais de linguistique générale. Les fondations du langage,* p. 220.

[3]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 45.

ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنًى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة [...] فيكون "الليث" مثلاً أدلَّ على السبع المعلوم من "الأسد" [...] وهل يقع في وهمٍ وإن جَهَدَ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن يُنْظَر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ وامتزاجها أحسن، ومما يَكُدُّ اللسانَ أبعد»[1].

6. المُستمَع

اقترح محمد العمري مصطلح "المُستمَع" (بفتح الميم الثانية) ترجمة لمصطلح Auditoire، في اللغة الفرنسية، وجمعه "مُستمَعات". وهو المصطلح الذي عرَّفه بيرلمان في مجال الخطابة، بكونه «مجموع هؤلاء الذين يرغب الخطيب في التأثير عليهم بحجاجه، إن المستمع المفترض بالنسبة لمن يحاجج، هو دائما نسق منهج، يمكن أن نحدد أصوله النفسية، أو الاجتماعية»[2].

وقد بنى محمد العمري اختياره لهذا المصطلح على ما لاحظه من عدمِ دقة بعض المصطلحات العربية المقترحة لنقل هذا المفهوم، فهي، في نظره، بعيدة كل البعد عن أداء معنى المصطلح، ودلالتُها عامة واسعة فضفاضة[3].

ويعني محمد العمري بالمُستمَع: كل ما يرتبط بـ «المقام الخطابي بمقوماته الثقافية والزمانية والمكانية»[4]. بل إن صيغة المُستمَع تدل عنده على ما اشتقت منه صيغةً وأصواتا، أي مستمعون في سياق مكاني محدد، وهي كلمة دقيقة لا تغني عنها كلمة "مقام" ولا كلمة "سياق"، ولا كلمة "مستمعين" ولا "جمهور"، كما في بعض الدراسات[5].

7. البويطيقا (Poétique) الشعرية.

يعد مصطلح الشعرية من المصطلحات المؤسِّسة للبعد التخييلي للبلاغة العامة. والشعرية مفهوم تاريخي يختصر لنا القواعد الداخلية للخطاب الأدبي. وقد وصلَنا هذا المصطلح تام

---

[1]. الجرجاني (عبد القاهر)، **دلائل الإعجاز**، ص 44.

[2]. Perelman (Chaim) et Tyteca (Lucie Olbrechts-), *Traité de l'Argumentation. La nouvelle rhétorique,* pp. 23-24.

[3]. **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد2، 2013، ص 163- 164.

[4]. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة**، ص 14.

[5]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، ص 22؛ ويُنظر بنوهاشم (الحسين)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»، ص 289-304.

الدلالة في نسق نظرية أرسطو الذي اقترن اسمه بكتابه المؤسس للنظرية الأدبية وهو البويطيقا أو **فن الشعر**.

و بعد اختزال بلاغة أرسطو الحجاجية المفصلة في كتابه **الخَطابية** إلى بلاغة صور ومحسنات، مع شيشرون وكنتليان وفونطاني وهوج بلير وديمارسي وغيرهم، غدت البلاغة «علما مستقلا حاملا لتسميات متعددة ومترادفة، ألا وهي الشعرية، أو الأسلوبية، أو النقد الأدبي، أو لسانيات الشعر، أو سيميائيات الشعر إلخ»[1] . و بذلك وقعت البلاغة أسيرة كل من الأسلوبية التي ادعت أنها وريثتها المباشرة، والشعرية التي حاولت تجديدها[2].

ومع التحولات الذي عرفتها الدراسات اللسانية الحديثة، وعلوم النص الخ، تطورت الشعرية في العصر الحديث على نحو أصبحت معه منهجا لتحليل الخطابات الشعرية والسردية. وصرنا نتحدث عن شعريات مختلفة، وليس شعرية واحدة. ونميز في هذا السياق -مع محمد العمري- بين ثلاثة أنماط من الشعرية المرتبطة بالنص[3]:

- **الشعرية اللسانية**: مع ياكبسون الذي ربطها بالبحث عن ما يجعل من الأدب أدبا[4]، فموضوع الشعرية وَفق هذا التصور ليس هو الأدب وإنما هو الأدبية[5].

- **الشعرية البلاغية** مع كوهن من خلال كتابيه: **بنية اللغة الشعرية والكلام السامي**.

- **الشعرية السيميائية السردية** مع كريماص، وتودروف وجيرار جنيت وغيرهم.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الشعرية تشكل أحد جناحي البلاغة العامة التي اهتمت بوصف آليات الخطاب التخييلي. فهي مفهوم تاريخي، ودلالتها تضيق وتتسع من مرحلة إلى أخرى، ومن بلاغي إلى آخر بحسب تغير الأنساق والمشاريع البلاغية. وبالجملة، «يمكن الحديث عن شعريتين: **شعرية عامة تهتم بالثوابت، ومجالها نظرية الأدب، وشعريات خاصة تهتم بالتجليات، ومجالُها تاريخ الأدب**»[6]، كما يقول محمد العمري. وفي هذا السياق أحال على جان كوهن الذي

---

[1]. الولي (محمد)، مقدمة ترجمة **الكلام السامي** لجان كوهن، ص 19.
[2]. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 76.
[3]. العمري (محمد)، **تحليل الخطاب الشعري. البنية الصوتية في الشعر**، ص 20.
[4]. إيخنباوم، «نظرية المنهج الشكلي»، ص 35.
[5]. نفسه، 14.
[6]. العمري (محمد)، «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، ص 61. والتشديد من المؤلف.

أكد على وجود شعرية واحدة ذات تجليات مختلفة[1]، واعتمد الإحصاء في تبين الفروق الكمية بين المذاهب الشعرية في استعمال الصور البلاغية[2]. وعرَّف الشعرية بكونها ما يجعل من أثر معطى أثرا شعريا[3]، صوتيا ودلاليا.

ويهُمنا هنا، ارتباطا بنسق الكلام، أن نشير إلى أن البلاغة العامة، استلهمت في مشروعها هذا الإرث الشعري الأرسطي واللساني الشكلاني، كما استوعبت المنجز البلاغي والنقدي الذي تصدى لسؤال مزية الخطاب الشعري كما هو متحقق، مثلا، عند عبد القاهر الجرجاني الذي خصص لهذا الموضوع كتابه **أسرار البلاغة**، وقد أرجع هذا السر إلى الغرابة المترتبة عن العدول. فالشعري عنده هو الغريب المعجب، الذي يوازي في اشتغاله الابتعاد عن المألوف، وتصوير الأشياء برؤية فنية مختلفة من شأنها أن تثير استغراب المتلقي وعجبه. فالغرابة بهذا المعنى هي الأثر الذي يحدثه العدول، أو الانزياح، في النفس. يقول محمد العمري: «وبذلك نقترب من مفهوم المحاكاة التي بنيت عليها شعرية أرسطو، ونستوعب مفهوم التخييل المتولد عنها في القراءة العربية القديمة والغربية الحديثة. فقراء أرسطو في الثقافة العربية تحدثوا عن المحاكاة والتخييل، في اتصال وانفصال، باعتبار وظيفة إيقاع الصور في الذهن، بالموسيقى والأوزان والغناء والرقص فضلا عن التعبير اللغوي.

ولهذا نقترب من مفهوم المحاكاة والتخييل، ونبتعد، بل نستتبع مفهوم التجسيد البصري الذي يستدعيه مفهوم Image الذي هيمن على خصوصية التصوير الشعري في مرحلة من مراحل تطور الشعرية الحديثة، فساهم في الاختزال الذي ثارت عليه البلاغة العامة. والاستتباع يعني احتواء مفهوم التجسيد الاستعاري (بالمعنى الكلي للاستعارة) إلى جانب صورة الإيقاع والتناص والتسريد... إلخ»[4].

8. التخييل

التخييل مصطلح مركزي في المشروع البلاغي لمحمد العمري. وإذا كان هذا المصطلح قد استُعمل في البلاغة العربية في ترجمة المحاكاة الأرسطية، واعتُبر أساسا لتعريف القول الشعري

---

[1]. كوهن (جان)، **الكلام السامي**، ص 61.

[2]. كوهن (جان)، **بنية اللغة الشعرية** ص 16-17.

[3]. كوهن (جان)، **الكلام السامي**، ص 62.

[4]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

في مقابل التصديق الخَطابي[1]. فإن محمد العمري قد منحه معنى أشمل، واضعا إياه ضمن نسق عام، مُواكب لتطور مشروعه البلاغي، كما يتبين من خلال ما يأتي:

أ- بدأ مفهوم التخييل في المشروع العلمي البلاغي لمحمد العمري من عملية الرصد، التي باشرها في المشاريع البلاغية العربية خاصة في كتابه **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**. فقد التقط الاستعمال الأول لمصطلح التخييل مع ابن سينا الذي جعله فيصلا للتمييز بين الشعر والخطابة، أو بين التخييل الشعري والتصديق الخَطابي. وذلك في امتداد القراءة العربية مع مفهوم المحاكاة[2]. فانطلاقا من تصور ابن سينا للأمور التي تجعل القول مُخيِّلا[3]، أرجع محمد العمري عناصر التخييل إلى المستوى الصوتي والمستوى الدلالي وتفاعلهما[4].

يحيل المستوى الدلالي على الصور البلاغية (التشبيه والتمثيل والمجاز عامة)، وهي الصور التي أَوَّل بها الفلاسفة المسلمون عناصر المحاكاة الشعرية عند أرسطو، وكل هذا يقود إلى إحداث الأثر النفسي ليصبح التخييل بذلك دالا على عناصرِ تشكل العمل الشعري مضافا إليها أثرها النفسي[5].

وقد رصد محمد العمري بعد ذلك مفهوم التخييل عند عبد القاهر الجرجاني، باعتباره مَدخلا بنى عليه ترتيبه للمعاني حيث المعاني التخييلية تتجه نحو الغرابة في مقابل المعاني

[1]. يُعرِّف الجرجاني المعنى التخييلي واضعا إياه في مقابل التصديق قائلا: «وأما القسم التخييلي، فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صِدق، وإن ما أثبتَه ثابت وما نفاه منفيّ، وهو مفتنُّ المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يُحصَر إلّا تقريباً، ولا يُحاط به تقسيماً وتبويباً، ثم إنه يجيء طبقاتٍ، ويأتي على درجات، فمنه ما يجيء مصنوعاً قد تُلُطِّف فيه، واستعين عليه بالرفق والحِذق، حتى أُعطِي شَبَهاً من الحقّ، وغُشِّي رَوْنَقاً من الصّدق، باحتجاج تُمُحِّل، وقياسٍ تُصُنِّع فيه وتُعُمِّلَ، ومثالُه قول أبي تمام:

لا تُنكري عَطَلَ الكَريم من الغِنَى *** فالسَّيلُ حَرْبٌ للمكانِ العالي

فهذا قد خَيَّل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفاً بالعلوّ، والرِّفعة في قدره، وكان الغِنَى كالغَيْث في حاجة الخَلق إليه وعِظَمِ نَفْعه، وجب بالقياس أن يزِلّ عن الكريم، زَلِيلَ السَّيل عن الطَّوْد العظيم. ومعلومٌ أنه قياسُ تخييلٍ وإيهامٍ، لا تحصيلٍ وإحكام». **أسرار البلاغة**، ص 267.

[2]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 255-256.

[3]. يقول ابن سينا عن القول المُخيِّل: «الأمور التي تجعل القول مُخيّلا، منها أمور تتعلق بزمان القول، وعدد زمانه، وهو الوزن؛ ومنها أمور تتعلق بالمسموع من القول؛ ومنها أمور تتعلق بالمفهوم من القول؛ ومنها أمور تتردد بين المسموع والمفهوم». يُنظر: أرسطو، **فن الشعر**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 163.

[4]. العمري (محمد)، **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية**، ص 129.

[5]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 257.

العقلية/الصريحة التي تتوخى الوضوح الذي لا يحوج إلى تأويل، وهو امتداد لتمييز الفلاسفة بين التصديق الخَطابي والتخييل الشعري[1].

ب- بعد عملية الرصد التي بيَّن فيها محمد العمري رحلة المصطلح في البلاغة العربية القديمة، انتقل إلى تبني المصطلح في تصوره الخاص للبلاغة، كما يفصح عن ذلك عنوان كتابه **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، حيث بدأت ملامح صياغة بلاغة عامة تستوعب الشعري والخَطابي، والتخييلي والتداولي. وقد تنبه الباحث إلى منطقة التقاطع التي يلتقيان فيها، فبيَّن أن وضعهما في سياق قطبين متباعدين (التصديق في مقابل التخييل)، يتغاضى عن هذا المفهوم الجامع، الذي هو الاحتمال. فـ «التخييل والتداول (أو الحجاج بشكل أدق)، يلتقيان في أنهما خطابان قائمان على الاحتمال، الاحتمال توهيما أو ترجيحا، التوهيم في التخييل، والترجيح في التداول الحجاجي»[2].

ج- في مرحلة ثالثة، أي بعد عملية الرصد لمصطلح التخييل، وجعله مُعبِّرا عن الجناح الشعري للبلاغة، سعى محمد العمري إلى تطوير هذا المصطلح، فأدرجه مع التداول (الحجاج) في تعريف البلاغة العامة، مقترنا بمفهوم الاحتمال، ومفهوم الأثر الذي يحدثه في المُستمَع، فـ«الجوهر الثاني للخطاب البلاغي، هو التأثير»[3].

ومع احتفاظ كل من التخييل والتداول بالخاصية المهيمنة في كل منهما، فإنهما يلتقيان في عنصري الاحتمال والتأثير، فـ «الخطاب التداولي (الخَطابي) صدق يحتمل الكذب، والخطاب التخييلي (الشعري) كذب يحتمل الصدق)»[4].

9. الصورة

تقابل الصورة (Figure) في نسق البلاغة العامة، مفهوم الحجة (Argument). وقبل عرض تفاصيل هذا التصور، نؤكد بداية على إجماعِ مختلف النظريات الأدبية والنقدية على أن الصورة عماد التخييل، وأساس الإبداع كيفما كان نوعه، فقد حظيت الصورة باهتمام أرسطو، رغم ما قد يلاحظ من اعتباره الأسلوب ثانويا في كتابه **فن الشعر** مقارنة بكتابه في الخطابة الذي خصص القسم الثالث منه للعبارة أو الأسلوب، وقد شكل هذا الجزء - بعد

---

[1]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 335.

[2]. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 15.

[3]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، ص 20.

[4]. نفسه، 19.

الاختزال الذي تعرضت له البلاغة - أساس بلاغة الصور أو المحسنات في العصر اللاتيني مع شيشرون وكنتيليان، وهي التي ستستوي، بعد ذلك، في القرن التاسع عشر، في كتاب **صور الخطاب** للبلاغي الفرنسي بيير فونتانيي (Fontanier)، بل إن هذه المواد الأسلوبية واللفظية هي التي طورتها بلاغة الصور أو المحسنات ورتبتها في أجناس وأصناف[1]. وهذا الرصيد، أو المتن، هو موضوع «التنسيق» الذي أنجزه جان كوهن في مشروعه لتجديد البلاغة من زاوية شعرية، إذ وسَّع من مفهوم الصورة بشكل يشمل كل مكونات اللغة الشعرية صوتيا ودلاليا معتمدا في ذلك على ضابط عام عبر عنه بقوله: « وقد يحسُن أن ندعو صورة مجمل العملية التي يكون أحد مستوييها متغيرا والآخر ثابتا»[2]. وهكذا تحدث عن الصور الصوتية والمعجمية والدلالية والنحوية، بل أشار إلى أنه يمكن لمجموع وقائع الأسلوب أن تنضوي تحت تسمية ملائمة تتمثل في كلمة صورة[3]. الصورة باعتبارها انزياحا عن معيار. وبهذا يعيد الاعتبار لكلمة صورة التي صارت في زمنه محتقرة ككل ما يأتي من البلاغة القديمة، وذلك بالتأكيد على كونها مقوما جوهريا للغة الشعرية، وليست مجرد زخرف زائد[4].

ورغم اختزال كوهن للصورة بمفهوم Image فيما هو شعري بصفتها من أخص خصوصيات التعبير الشعري، فإننا نجد صدى لتوسيعه لمفهومها عند محمد العمري الذي استلهم هذا التصور، بالنظر إلى ترجمته لكتاب كوهن **بنية اللغة الشعرية** بمعية زميله محمد الولي، واستفاد منه في منجزه البلاغي الشعري، لكنه في الوقت نفسه وجَّهه لصالح أطروحته المتمثلة في تنسيق البلاغة، وبناء نموذج بلاغي عام يشمل الشعري وغيره من صور التعبير الأدبي، وهكذا اعتبر الصورة أُسَّ الخطاب التخييلي، وأبعدها عن إطارها المحسناتي المختزل[5]، وشحَنها بدلالة عامة تنسجم وطموحه في بناء نموذج بلاغي عام.

---

[1]. الولي (محمد)، مقدمة ترجمة كتاب **الكلام السامي**، ص 7-11.

[2]. كوهن (جان)، **بنية اللغة الشعرية**، ص 111.

[3]. نفسه، 43.

[4]. نفسه، 46.

[5]. أكد فرانسوا مُورو في هذا السياق أن كلمة «صورة» واحدة من الكلمات التي ينبغي أن يستعملها عالم الأسلوب/عالم البلاغة بحذر شديد،إذ إنها غامضة وغير دقيقة في الآن نفسه، فضلا عن أن أوّل مصدر للأخطاء في نظره أو على الأقل لعدم الضبط هو المعنى الواسع جدا لمصطلح الصورة (يُنظر كتابه **البلاغة: المدخل لدراسة الصورة الأدبية**، ص 15). وعملا بهذا التصور اختزل محمد الولي مفهوم الصورة، حيث حصرها في ما هو دلالي فقصرها على المشابهة، إذ بعد أن استعرض مختلف تصورات الباحثين لمفهوم الصورة لم يحتفظ من الاستعمالات المتقدمة لمصطلح الصورة إلا بالاستعمال الذي يقصرها على المشابهة: التشبيه والاستعارة منها في الآن نفسه إلى أن التمثيل والرمز ليسا إلا نوعين يمكن إدراجهما إما في التشبيه

وتحقيقا لهذا المسعى يرى محمد العمري أن كل «إجراء مُخيَّل فهو صورة تصديقا لقول الجاحظ والجرجاني»[1]. ولمعرفة المقصود بهذا الإجراء المُخيل، نحتاج للحفر في قراءة الفلاسفة المسلمين لكتاب **فن الشعر** لأرسطو، لنقف على كلام نفيس لابن سينا الذي عرّف الكلام المُخيَّل بأنه هو «الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط لأمور أو تنقبض عن أمور من غير روية فكر واختيار سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق به»[2].

وبغض النظر عن سياق ورود كلام هذا الفيلسوف الفذ، فإن هذا يؤكد أن الكلام المخيل هو مدار الشعر. فإذا كانت «الصورة هي مدار التخييل، فإنها بذلك تشكل القطب الفني الذي تتأسس عليه الشعرية. فالصورة تستمد رجحانها باعتبار الشعر جنسا من التصوير عند مؤسسي البلاغة العربية: الجاحظ والجرجاني. وقد حشد الجرجاني النعوت الكثيرة التي استعملت في بيئة تلقي الشعر، وكلُّها تنظر إلى الصنائع التي تظهر مهارتها في التصوير والتطريز والسبك والنسج... الخ»[3].

يرى محمدالعمري، أن من «الدارسين من ما يزال يصر على ربط «الصورة» بلوائح البديعيين القدماء، وبتعريفاتهم، بل يصر على وصمها بوصمة الزخرف الزائد «المحسنات». ومن ثم يشك في قدرة البلاغة، حتى ولو حملت صفة «العامة» على وصف كل أنواع الخطاب «الأدبي». وهذا الموقف ينظر إلى النتائج المحدودة التي حققتها بعض البلاغات المعممة ذات التوجه البنيوي اللساني والسميائي التي حاولت فرض مصطلحات وتصورات تُستعمل في كل أجناس الخطاب، وهذا أمر لم نفكر فيه، أو لا نرى أنفسنا مؤهلين لإنجازه»[4].

أو في الاستعارة. وبما أنه لا يكفي القول بأن الصورة هي التشبيه والاستعارة، فقد زاد الموضوع توضيحا وتدقيقا بوصف كيفية اشتغالهما بما يجعل الصورة هي ذلك الشيء الملموس المُعبَّر عنه بواسطة اللغة، فهي بهذا المعنى تحيل على الشيء المصوَّر الذي يخضع لتحويل بواسطة اللغة، بما يجعل منها سمة تصويرية زائدة على المعنى المقصود. وهذا ما عبر عنه بقوله: «المقصود بعبارة الصورة هو تلك الصورة الحسية، المتمثلة في الكلام، والتي لا تكون ضرورية لأجل توصيل وتأدية المعنى، إنها تقتصر على التقديم الجمالي والحسي والفكرة، هذه الصورة المتحققة في الكلام، يتم الاستغناء عنها، بمجرد تلقيها، مقابل المحتوى المراد توصيله». يُنظر كتاب **الصورة الشعرية في الخطاب النقدي والبلاغي**، ص 19-20.

[1]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 84.

[2]. يُنظر: أرسطو، **فن الشعر**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 16. نقل حازم القرطاجني تعريف ابن سينا للقول المُخيل في كتابه: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص 85.

[3]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 84.

[4]. نفسه، 85.

ولاستبعاد التصور المختزل للصورة، ميز محمد العمري بين الصورة البيانية (Image) وهو البعد الذي تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني في **الدلائل** مؤوِّلا مفهوم اللفظ عند القدماء، وبين الصورة البلاغية مقابلا لـ Figure، ولها ارتباط بمجال التصوير والتشكيل والصوغ الذي يربط الجزئيات بالجوهر. والواقع أن الباحث فضل استعمال لفظ الصورة (Figure) للدلالة على ما سبق، مقابل لفظ المحسن[1]. وقد لاحظ أن «الصورة» بهذا المعنى «تسعى للهيمنة على المركز والهامش في البحث البلاغي. تضع في المركز كلمة Image معتبرة الصورة البيانية جوهر الشعر [...] وجوهر الجوهر الاستعارة. وتضع على المحيط حماية للحدود كلمة Figure لصبغ بقية الصور التي يُحتاج في إظهار طابعها التصويري إلى تأويل واجتهاد»[2].

وامتدادا لهذا التصور، وبالنظر إلى تنامي أسئلة المشروع البلاغي الذي ينشده، تم النظر إلى الصورة بصفتها إجراء مُخيلا. وهو عمل اقتضاه سؤال تنسيق البلاغة العامة بشكل يشمل كل فنون التعبير الأدبي كيفما كان نوعها، وفيه كذلك توسيع لمفهوم الصورة بشكل يمَس كل مكونات العملية التخييلية.

وبذلك «يتجه مفهوم الصورة والتصوير، في هذا السياق، إلى إيقاعِ الصور في الذهن بالمرئي والمسموع، بالموسيقى والتشكيل، بالمقابلات والمفارقات، بالتقطيع والتسريد... وبما تركب منها جميعا. وبذلك يتسع مفهوم الصورة للتخييل الشعري بشتى صور التقصيد والتسريد»[3]. فيأخذ بذلك بعدا عاما يشمل مختلف صور التعبير الأدبي. وهو ما عبر عنه محمد العمري قائلا: «نقترب من مفهوم المحاكاة والتخييل، ونبتعد، بل نستتبع مفهوم التجسيد البصري الذي يستدعيه مفهوم image الذي هيمن على خصوصية التصوير الشعري في مرحلة من مراحل تطور الشعرية الحديثة، فساهم في الاختزال الذي ثارت عليه البلاغة العامة. والاستتباع يعني احتواء مفهوم التجسيد الاستعاري (بالمعنى الكلي للاستعارة) إلى جانب صورة الإيقاع والتناص والتسريد... إلخ»[4].

---

[1]. العمري (محمد)،«مفهوم الصورة في المباحث البلاغية»، ص 142-143.

[2]. لمزيد من التفصيل عن اعتبارات اختيار محمد العمري لمصطلح الصورة بدل مصطلح المحسن يُنظر مقاله: «مفهوم الصورة في المباحث البلاغية»، ص 144.

[3]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

[4]. نفسه.

10. **الانزياح** (Écart)

تبيَّن من خلال ما سبق أن الصورة في اشتغالها تقتضي التقابل بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. ولهذا التقابل صلة وثيقة بمفهوم الانزياح. لذا: فإن الأهمية والتقدير اللذين حظيت بهما الصورة هو نفسه التقدير والاهتمام اللذين حظي بهما مصطلح الانزياح الذي يختصر لنا سؤال مزية الخطاب الأدبي. بل إنه مقترح نظري لتفسير ميكانيزم اشتغال الصور، وقد سبقه في ذلك مقترح المحاكاة.

ورغم اختلاف النظريات الأدبية في تصورها لشعرية النص، إلا أنها تتفق حول جعل الانزياح الخاصية المميزة للاستعمال الأدبي. وهو أمر أجمعت عليه كل الدراسات الأسلوبية والشعرية الحديثة منذ أرسطو إلى اليوم[1].

وفي هذا السياق أشار محمد العمري إلى أن «نظرية الانزياح باعتبارها إجراء لغويا تجد بعدا مهما في التراث البلاغي العربي في الحديث عن المجاز والعدول والتوسع.

وليست نظرية الانزياح في صياغتها اللسانية المتقدمة إلا محاولة لتفسير ما عُبر عنه منذ القديم بالغرابة والعَجب كما سنرى من كلام الجاحظ»[2].

ولا يخفى ارتباط حديث الجرجاني عن اللفظ باعتباره عدولا دلاليا، بمفهوم الغرابة الشعرية عنده. وقد وجد هذا الموضوع صدى عند كثير من البلاغيين المحدثين، فاختار بعضهم مصطلح العدول لوصف الخاصية الانزياحية للخطاب الشعري، وجعلوه مرادفا لمصطلح Écart، في حين قدَّم باحثون آخرون كلمة انزياح، وهي التي كُتب لها الانتشار بعد ترجمة كتاب **بنية اللغة الشعرية** لجون كوهن الذي قدم أشهر صياغة لسانية لهذا المفهوم مستفيدا من نتائج البحوث الأسلوبية المعاصرة التي تعتبر نفسها وريثا مباشرا للبلاغة[3]، ومؤسسا لشعرية علمية تبحث في ما يجعل من الشعر شعرا. الأمر الذي قاده إلى مقاربة السؤال التاريخي ما الذي يميز الشعر عن اللاشعر؟

فالانزياح بهذا المعنى هو الخروج عن المألوف، وطريقة لخرق قانون اللغة العادية أو التعبير

[1]. صولة (عبدالله)، «فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة»، ص 75.
[2]. العمري (محمد)، **تحليل الخطاب الشعري**، ص 39.
[3]. Ducrot (Oswald) et Todorov (Tzvetan), *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,* p. 101.

العادي. فهو يقوم على المقابلة بين التعبير العادي والتعبير الشعري[1].

إن مفهوم الانزياح - بالنسبة إلى كوهن - مفهوم معقد ومتغير لا نستطيع استعماله دون احتياط، ولهذا كان دائما في منجزه يعمل بدءا لأجل إقامة المعيار على قاعدة إيجابية، فيطلب من اللغة التي يكتبها العلماء أن تكون مرجعا له[2]. وعلى هذا الضرب عوَّل في وضع القاعدة التي تقاس بها شعرية الشعر[3].

وبمقتضى ذلك عمل كوهن على تشخيص الأسلوب «بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين: القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة. ويتوزع بينهما مختلف أنماط اللغة المستعملة فعليا، وتقع القصيدة قرب الطرف الأقصى، كما تقع لغة العلماء، بدون شك، قرب القطب الآخر، وليس الانزياح فيها منعدما، ولكنه يدنو من الصفر»[4].

ما يميز تصوره للانزياح أنه جمع بين وصف الخاصية الانزياحية للغة الشعرية وتفسير طبيعة الأثر الذي تحققه، أي الانتقال من الانزياح إلى الأثر الوجداني[5]. هذا النزوع الوجداني هو الذي شكل أُسَّ كتابه **الكلام السامي**. إن الشعر كلام وجداني عنده، ولهذا الاعتبار فهو يختلف عن الكلام غير الشعري[6].

واستلهاما للمنجز العربي والغربي في هذا الباب، وتحقيقا لمبدأ التنسيق يرى محمد العمري أن «الانزياح هو السمة العامة، والبنية المفسرة للخطاب الشعري/التخييلي حسب الشعرية اللسانية البنيوية الحديثة، وهو يقابل «المقام» الذي يُعتبر أساس تشكل بنية الخطاب الإقناعي/الخَطابي من أرسطو إلى اليوم. ومعنى ذلك أن إثارة سؤال الانزياح يُعتبر إثارة لنصف السؤال البلاغي، في حين تمثل إثارة سؤال المقام النصف الثاني»[7]. وهما معا يشكلان مدار البلاغة العامة.

---

[1]. صولة (عبد الله)، «فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة»، ص 75.
[2]. كوهن (جان)، **بنية اللغة الشعرية**، ص 187.
[3]. صولة (عبد الله)، «فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة»، ص 77.
[4]. كوهن (جان)، **بنية اللغة الشعرية**،ص 23-24.
[5]. يُنظر **الكلام السامي**، ص 81.
[6]. نفسه، 187.
[7]. العمري (محمد)، **أسئلة البلاغة**، ص 117. وتأكيدا لهذا المنحى يقول كوهن: «إن هدف الشعر ليس هو الإقناع، ولكنه وعلى غرار ما تقول البلاغة القديمة "التأثير" بمعناه الاستعاري، حيث يعني بالضبط: بعث الإحساس». ينظر **الكلام السامي**، ص 199.

11. الخَطابية (Rhétorique)

يرتبط مصطلح الريطوريقا (Rhétorique) في أصله اليوناني بدراسة وسائل الإقناع. وهو الموضوع الذي خصه أرسطو بكتابه التاريخي **الخطابة**، مُعرِّفا إياها بأنها «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1].

وبالنظر إلى منجز أرسطو في هذا الباب يتبين أن الخطابة لا تعني القول الخطبي نفسه، بقدر ما هي العلم الذي يدرس الخطاب الإقناعي.

ونسجل بهذا الخصوص اضطراب الدراسين في ترجمة مصطلح الريطوريقا، فهناك من ترجمه بالخطابة، فيما اختار بعضهم الآخر مُركَّبا من لفظين هو فن الخطابة الذي يحيل على الخطاب الموصوف وهو القول الخُطبي والخطاب الواصف وهو العلم الذي يتناول -كما بينا- هذا القول بالدراسة والتحليل، وهو تركيب معيب من جهة كونه يحيل على الموضوع بمعنى الخطابة بصفتها قولا خُطبيا يُنشئه الخطيب لإقناع مخاطبه وهناك من ترجم الريطوريقا بالبلاغة، وهو اختيار خاطئ كذلك، يفتقد للدقة بالنظر إلى منجز أرسطو.

وللخروج من حرج الاضطراب في ترجمة الريطورية إلى العربية اقترح محمد العمري مصطلحا من داخل المنظومة، هو مصطلح خَطابية ترجمة للريطورية بالمفهوم الخاص: الأرسطي-البيرلماني، قياسا على ترجمة البويتيقا (poétique) التي تواطأ الدارسون على ترجمتها بلفظ شعرية[2]. مع الإشارة إلى أن **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** في عددها الثاني (2013)، وبالتحديد في ركن "مصطلحات ومفاهيم" قد خصت هذا الموضوع بدراسة وافية ومفصلة، أظهرت فيه أن هذا المصطلح، الذي اقترحه محمد العمري، كفيل بأن يجنب الباحث العربي الخلط والتشويش الحاصل في الاقتراحات الأخرى، وأن ذلك التقابل بين مصطلحي "خَطابية" و"شعرية" هو جواز مرور لهذا المصطلح يمكّن من قبوله وتداوله، ما دام مصطلح "شعرية" قد تبوأ مكانه وشاع استعماله[3].

يقول محمد العمري: إن «المفاهيم المذكورة لكلمة "ريطوريك" كثيرا ما خرجت عن سياقها الغربي أو أُخرجت منه، بفعل الترجمة إلى العربية بكلمة "بلاغة" دون تقييد، فأدى ذلك إلى

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ص 29.

[2]. العمري (محمد)، «المنظومة المصطلحية في البلاغة العامة».

[3]. يُنظر **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد2، ركن "مصطلحات ومفاهيم"، 2013، ص 163.

الخلط والتشويش على القراء، ويقال نفس الشيء عن ترجمة الريطورية الأرسطية بكلمة "خطابة" على الإطلاق، في بعض الأعمال التي حاولت تلافي الخلط. ولذلك نقترح ترجمة الريطوريا الأرسطية بكلمة "الخَطابية" قياسا على كلمة "شعرية" التي بسطت سلطتها في مجال التخييل، موضوعُ الأولى الخطابة بمعناها العام، وموضوع الثانية الشعر بمعناه العام»[1].

12. التداول

يدلّ التداول في سياق المشروع البلاغي لمحمد العمري على استحضار العناصر المتعلقة بالمقام العام للخطاب. يضم منتجَ القول ومتلقيه، كما يضم الظروف والوظائف والمقاصد والأغراض، وقد نبه محمد العمري في وقت مبكر أي منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، في كتابه: **في بلاغة الخطاب الإقناعي** إلى غياب هذا المقوم التداولي المرتبط بالحجاج والإقناع في البلاغة العربية، كما يتم تدريسها في الثانويات والجامعات، منتقدا التعامل مع النص الخَطابي الإقناعي بنفس معاملة النص الشعري، على اعتبار أن الجانب الشعري هو عنصر واحد من عناصر التأثير التي يعتمدها الخطيب[2]، فأحال في هذا الصدد على عناصر الخطابة عند أرسطو التي تشمل ثلاثة عناصر: «وسائل الإقناع، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول»[3]، حيث ينصب الاهتمام على الأطراف الثلاثة المشكِّلة لعملية التواصل، وهي: «المرسل (الخطيب)، والمتلقي (المستمع)، والرسالة (الخطبة)»[4].

وفي سياق رصد عملية التفاعل بين مشاريع بلاغية عربية وغربية، (أرسطو والجاحظ وبيرلمان)، حاول محمد العمري تعريف المقام التداولي، الذي يجمع بين البعدين الحجاجي والبيداغوجي، حيث يتسع: «ليشمل مجموع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب، شفويا كان أم مكتوبا»[5]؛ وليدل في السياق الإقناعي الحواري على التجاوب بين المخاطَب والمتلقي من أجل « تكوين موقف في نقطة غير معينة سلفا بين المتحاورين»[6].

---

1. العمري (محمد)، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، ص 13.
2. العمري (محمد)، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، ص 5-7.
3. نفسه، 17.
4. نفسه، 19.
5. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 54.
6. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف، كشف أساليب الإعنات والمغالطة، مساهمة في تخليق الخطاب**، ص 9.

ومن أجل تسهيل التواصل بين التراث العربي والمنجزات البلاغية الغربية القديمة والحديثة، قام محمد العمري بقراءة البلاغة العربية القديمة قراءة جديدة تعيد الاعتبار للجوانب التداولية فيها، فقد نبَّه إلى ما طبع اتجاهات البلاغة العربية من اختلاف يضم الجانب التخييلي الشعري، الذي مثله التيار البديعي (ابن المعتز)، والتيار البياني الخَطابي الذي مثله الجاحظ وابن وهب، وتيار البلاغة العامة التي يلتقي فيها البديع والبيان (التخييل والتداول)، كما هو واضح عند أبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي[1]، وكلها تيارات تجد أصولها عند الفلاسفة المسلمين الذين ميزوا بين التخييل الشعري والتصديق الخَطابي، مؤكدين في ترجمتهم لكتاب **الخطابة**، وفي سائر كتبهم، على الطابع المميز للخطاب التداولي وهو الوضوح والاعتدال[2].

هكذا فعندما يرصد محمد العمري عناصر الجانب التداولي في بلاغة الجاحظ يعيدها إلى ثلاث وظائف هي: الوظيفة الإخبارية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة الحجاجية[3]، فيذكر من العناصر التداولية: مراعاة الصواب والاعتدال في استعمال اللغة، ومراعاة مقامات وأقدار المستمعين[4].

ولا يقتصر المستوى التداولي على الخطابة وحدها، فقد رصد محمد العمري، مثلا، كيف عمل الجرجاني على توجيه عناصر تخييلية وجهة تدوالية، فبين كتاب **أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز** لعبد القاهر الجرجاني بيَّن محمد العمري ما وسم الكتاب الثاني من توجه خَطابي/تداولي، صار موجها للمادة التخييلية (الاستعارة والتمثيل والمجاز) في كتاب **أسرار البلاغة**[5].

13. التصديق

يقع التصديق الذي هو مدار الخَطابية في مقابل التخييل الذي هو مدار الشعرية. وعلى الرغم من أن التصديق قد يحيل على الصدق في مقابل ارتباط التخييل بالكذب، فإن الحدود بينهما كثيرا ما تتلاشى عندما يجنح الشعر للتصديق، أو تجنح الخطابة للتخييل، ولذلك وجدنا محمد العمري يصل هذا المصطلح بالحجة ويتناوله في علاقته بالتخييل، مبرزا صعوبة الفصل

---

[1]. العمري (محمد)، **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية**، ص 39-75.

[2]. العمري (محمد)، **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، ص 272-276.

[3]. نفسه، 213.

[4]. نفسه، 212.

[5]. نفسه، 346-347.

بين المفهومين، اللذين يوجههما معا مفهوم الاحتمال، حيث «يمتد الاحتمال من أقصى درجات "التخييل" إلى أقصى درجات "التصديق". من "شاطئ الجنون" إلى تخوم العقل البرهاني الرياضي والمخبري»[1].

لقد طُرحت ثنائية التصديق والتخييل مع الفلاسفة، فربطوا المفهوم الأول بالخطابة، والثاني بالشعر. لكن ظل وعيهم مشدودا إلى أن التصديق يمتد من الشعر إلى البرهان، قال ابن رشد: «طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية»[2].

من هنا لم يكن غريبا أن يتم النظر إلى المحسنات في البلاغة العربية باعتبار العلاقات المنطقية القائمة على مفهوم اللزوم[3]. وأن يتم في البلاغة الجديدة اعتبار المحسنات الشعرية تجسيدات للفكر (اللوغوس)[4]، ووسيلة للبرهنة والإقناع كما هو الشأن عند بيرلمان[5].

إن حقيقة الشعر وإن غلب عليه التخييل/الكذب لا تتناقض مع التصديق، حيث يرد ابن سينا على الفارابي الذي ربط الشعر بالكذب الكلي، قائلا: «ولا تلتفت إلى ما يقال من أن البرهانية واجبة، والجدلية ممكنة أكثرية، والخَطابية ممكنة مساوية، لا ميل فيها ولا ندرة، والشعرية كاذبة ممتنعة، فليس الاعتبار بذلك، ولا أشار إليه صاحب المنطق»[6].

وقد وجدت ثنائية التصديق والتخييل امتداداتها عند عبد القاهر الجرجاني فبنى عليها تقسيمه للمعنى إلى عقلي (صادق) وتخييلي (كاذب)؛ وعرّف المعنى العقلي (التصديق)، بأنه يجري «مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء، والفوائد التي تثيرها الحكماء، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضي الله عنهم، ومنقولا من آثار السلف الذين شأنهم الصدق، وقصدهم الحق»[7].

وكثيرا ما نبَّه محمد العمري إلى تقاطع التخييل والتصديق، مشيرا إلى صعوبة الحديث عن بلاغة تخييلية خالصة أو بلاغة تصديقية خالصة مما جسدته المشاريع البلاغية العربية

---

[1]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 76.

[2]. ابن رشد، **فصل المقال**، ص 31.

[3]. السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص 505.

[4]. Tamine (Joëlle), *Pour une nouvelle théorie des figures*, p. 124.

[5]. Perelman (Chaïm) et Tyteca (Lucie Olbrechts –), *Traité de l'Argumentation. La nouvelle rhétorique,* pp. 500-501.

[6]. ابن سينا، **الإشارات والتنبيهات**، 460/1.

[7]. الجرجاني (عبد القاهر)، **أسرار البلاغة**، ص 228.

القديمة، حيث كان التداخل كبيرا بين الشعر والخطابة، كما هو الشأن بالنسبة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني وبلاغة حازم القرطاجني[1].

13. الحجة (Argument)

إذا كانت الصورة هي مدار التخييل، فإن الحجة هي مدار الفعل الخَطابي الحجاجي. وقد جاء في معجم تحليل الخطاب لشارودو ومنغينو أن الحجة استُعملت في ثلاثة مجالات بمعاني مختلفة: هي في مجال المنطق تطابق مصطلحا تَعيينيا، وفي الأدب تُعبر عن خطاب يلخص خطابا آخر، وفي البلاغة الحديثة تُحدَّد على أنها ملفوظ يُضفي مشروعية على نتيجة[2].

ففي البلاغة الحجاجية اتخذت الحجة عند أرسطو بعدا منطقيا وخَطابيا. فالحجج في منجزه على ثلاثة أضرب، الأول يتوقف على أخلاق القائل (الإيتوس)، والثاني على تصيير السامع في حالة نفسية ما (الباطوس)، والثالث على القول نفسه (اللوغوس)[3].

وفي ارتباط بهذا التصنيف ميز معجم تحليل الخطاب بين ثلاثة أنواع من الحجج: «الحجج الإتيقية والانفعالية والمنطقية، فالإيتيقية مرتبطة بالمتكلم (سلطته وإيطوسه)، وكذلك الحجج المثيرة التي من قبيل الانفعال لا يُعبَّر عنها حتما بملفوظ. فليست أحسن استراتيجية للحمل على الشعور بالثقة أو للتأثير في النفوس [...] أن يصرح المرء بأنه جدير بالثقة، وأنه متأثر، فمن الأفضل أن يكون سلوكه حسب سجل دلالي غير لغوي، والحجة المسماة منطقية هي وحدها حجة قضوية، فهي ملفوظ (أو قطعة من خطاب) محتمل يعبر عن سبب يعرض لتثبيت صحة قضية هي موضوع أخذ ورد، وهي بمثابة نتيجة»[4].

وامتدادا لهذا التصور البلاغي، أخذت الحجة في البلاغة/الخطابة الجديدة طابعا عقليا مع بيرلمان وتتيكا اللذين اقترحا خطاطة متكاملة لتحليل الخطاب مؤسَّسةً على عديد من الحجج اللوغوسية مفصولة عن المتكلم والسامع تهدف إلى كسب تصديق المخاطبين للدعاوى المعروضة عليهم، فقسمها إلى نوعين من الحجج: حجج قائمة على الوصل، وحجج قائمة على الفصل، مثل الحجج القائمة على الفصل بين المفاهيم. وما يجمع بين هذه الحجج هو أنها حجج عَقلية.

---

[1]. الجرجاني (عبد القاهر)، **أسرار البلاغة**، ص 29-33.
[2]. شارودو (باتريك) ومنغينو (دومينيك)، **معجم تحليل الخطاب**، ص 66.
[3]. أرسطو، **الخطابة**، ص 29.
[4]. شارودو (باتريك) ومنغينو (دومينيك)، **معجم تحليل الخطاب**، ص 67.

- وفي مجال اللسانيات التداولية لا سيما التداولية المدمجة (دكرو وأنسكمبر) أخذ مصطلح الحجة طابعا لغويا، إذ أصبحت الحجة فعلا لغويا ودلاليا يَستعين به المتكلم لفائدة فعل دلالي آخر[1].

- وفي مجال البلاغة العامة مع روبول وبليث والعمري وغيرهم، فإن الحجة في دلالتها واشتغالها قد استلهمت كل أبعادها الخطابية والتأثيرية واللوغوسية. وهكذا فإذا كنا كما أكد محمد العمري «عند قطب التخييل نفترض درجة صفر من التصديق، أي تستقل "الصورة" (figure) أو تكاد، في موقع قد يكون افتراضيا»[2]؛ فإنه «عند قطب التصديق تستقل الحجة (argument) بنفس التقويم والاعتبار»[3]. ففي البلاغة العامة كل «إجراء طُلب به التصديق فهو حجة، تُقبَل أو ترفض»[4]. ولفظ إجراء، كما يبدو، لفظ عام يستغرف كل ما هو لغوي وعقلي وتأثيري. إذ إن مفهوم الحجة - في تصور محمد العمري- يتسع لكل آليات طلب التصديق، من الاستهواء بالموسيقى والصورة، كما في الإشهار، إلى محاولة التيقين بالأمثلة والشواهد والأقيسة الخطابية، شبه المنطقية، وغير ذلك[5].

وبذلك، فالحجة «البلاغية توجد فوق المفهوم اللساني، وتحت المفهوم المنطقي للحجاج. فهي تستوعب، مثلا، كل أجناس الخطابة القديمة والحديثة التي لا يستوعبها مفهوم الحجاج كما صاغه بيرلمان، ورَحَلَ به (أي بلفظ الحجاج) بعض الباحثين لقراءة أجناس الخطابة عند أرسطو، لمجرد أن بيرلمان أحال على ريطورية أرسطو قائلا: وجدتها»[6].

وجدير بالإشارة هنا «أن الحجة - في تصور محمد العمري - قد تفقد صلابتَها حتى تصبح صورة، أو أَوهى من الصورة [...] وقد تتقوى الصورة وتصلب حتى تصبح حجة، أو أقوى من الحجة في مكانها»[7]، وقد اكتشف محمد العمري في هذا السياق أن عبد القاهر الجرجاني أكد

---

[1]. انظر:

Anscombre (Jean-Claude) et Ducrot (Oswald), *L'argumentation dans la langue*.

علق محمد العمري - وهو يراجع المقال مشكورا- على التصور اللغوي للحجة بأنه جزء من استعمال الحجاج في التداوليات اللسانية للدلالة على علاقات الاستلزام والتضمن وغيرها من الآليات المستعملة في تأويل العلاقة بين الجمل والعبارات في الحقيقة والمجاز، على نحو ما هو معروف في علم المعاني.

[2]. محمد (العمري)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 84.

[3]. نفسه.

[4]. نفسه.

[5]. محمد (العمري)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة».

[6]. نفسه.

[7]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 84-85.

على هذا الأمر حين ذهب إلى أن «الصورة تحمل قدرا من الحجية لأنها تقرن الدعوى بصورتها، فهي أقوى من الدعوى الغفل من التصوير»[1].

وفي مقابل الاستدلالِ الصحيح بالحجج السليمة، رصد محمد العمري الوجه الآخر للحجة وهو المغالطة بمظاهرها وعناصرها المختلفة، وسيأتي بيان ذلك.

14. من القول الخَطابي إلى الخطابة

يُعرّف محمد العمري القول الخَطابي بقوله: «كل قول يهدف إلى التأثير والتفعيل على طول المسافة الواسعة الممتدة بين التخييل والبرهان، سواء كان شفويا أو مكتوبا فهو قول خطبي»[2].

وأما الخطابة فهي في تصوره «كل قول شفوي أو مكتوب، أي كل قول موجه إلى متلق مستحضر عيانا أو افتراضا، المهم هو الاستحضار [...] الخطابة منطقة بين الخطبة والخطاب، الخطاب أوسع والخطبة أضيق مما نريد. الخطابة ملتبسة بين النتاج الكلامي ووصفه (أي البلاغة)، بين النص والتقنية. ولذلك تلاحظ صعوبة ترجمة كلمة "ريطوريك" في التقليد الغربي، إلى اللغة العربية، إذ تترجم أحيانا ببلاغة، وأحيانا بخطابة، فهي تترجح بينهما حسب السياق»[3].

ولمزيد من التدقيق أشار إلى أن الخطابة السياسية، تقايَض بالخطابة الاستشارية، أو المشورية حسب ترجمة القدماء لكلام أرسطو، ولكي تكون الخطابة سياسية بمعنى الكلمة لا بد أن تكون استشارية. ولا استشارية حقيقية مع الاستبداد والتزوير. ولا شك أن عظمة أفلاطون وأرسطو تعود في جانب كبير منها لمقارعة الخطاب المغالط التضليلي[4].

واستنادا إلى عبارة ابن رشد الدالة على أن الخطابة هي إحدى الخيرات التي متع الله بها الإنسان مثل: الصحة والجلد والسلطان واليسار[5]، فقد عدها محمد العمري أداة ناجعة لمقارعة الخطاب التضليلي[6].

[1]. العمري (محمد)، **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة**، ص 84-85.
[2]. محمد (العمري)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 35-36.
[3]. نفسه، 36.
[4]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 37.
[5]. بل إنه شبهها بالطب الذي يقدم وسائل الإبراء وليس الإبراء ضرورة. يُنظر: ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، ص 16.
[6]. نفسه، 38.

15. الحوار

صاغ محمد العمري تعريفا دقيقا لمصطلح الحوار بقوله: «الحوار خطاب (أو تخاطب) من أجل الإقناع بقضية أو فعل، وبعبارة أدق: الحوار هو: كل خطاب يتوخى تجاوب متلقٍّ معين، ويأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف في نقطة غير معينة سلفا بين المتحاورين؛ قريبة من هذا الطرف أو ذاك، أو في منتصف الطريق بينهما. صورته المثلى مناقشة بين طرفين أو أكثر، وقد يكون تعقيبا بعد حين على صفحات الجرائد أو غيرها من وسائط الاتصال التي تتيح فرصةً للتعليق على رأي الآخرين، وقد يكون في أي صيغة أخرى»[1].

ولأن مقصد الباحث في مشروعه المرتبط بالشق التداولي الحجاجي كشفُ أساليب الإعنات والمغالطة، والإسهام في تخليق الخطاب السياسي، فقد حرص في منجزه على رسم دائرة الحوار الممكن بقوله: «دائرة الحوار هي - كما تقدم في التعريف - دائرة الممكن، دائرة ما يتطلب إنجازه أخذ "الآخر" بعين الاعتبار، متعاونا (مشاورات) أو منازعا (مناظرات) أو منقادا دون روية (استهواء). وخارج هذه الدائرة توجد دائرة المطلق (المطلقات)»[2].

وعلى هذا الأساس ميَّز بين أصناف ثلاثة من الحوار متمايزة في طبيعتها: المشاورات والمناظرة والاستهواء. كما أشار إلى امتداد أحدهما في الآخر، ففي امتداد التشاور توجد المعرفة في بعدها التخزيني أي نشاط الذاكرة بشكل أساسي، وفي امتداد المناظرة يوجد التأمل والاعتبار والمعرفة المنطقية والبرهانية، أي نشاط العقل بصفة أساسية. وفي امتداد الاستهواء يوجد العنف السيكلوجي والرمزي أي نشاط الوجدان بشكل أساسي[3].

ومن تجليات الانزلاق خارج دائرة الحوار الانتقال من مقام المناظرة والاستهواء ولغتهما إلى العنف الذي يمارس لغويا بصيغ شتى، أبرزُها: الكذب الصُّراح (تزييف الحقائق)، القذف والاتهام الباطل، والتهديد باستعمال العنف، والصياح[4].

---

[1]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 9.

[2]. نفسه، 11.

[3]. نفسه.

[4]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 20. ولمزيد من التفصيل حول أدب المناظرة، ننوه في هذا السياق أن محمد العمري قد أحال في هذا الباب على عمل الباحث المغربي حمو النقاري: **المنهج في إنشاء المعارف الكلامية**، ص 464-470.

16. الاستهواء:

الاستهواء من الهوى الذي عرّفه محمد العمري بأنه «الميل النفسي، في مقابل اتباع العقل والعرف وما هو مشترك»[1]، واستنادا إلى المعنى اللغوي استعمل الاستهواء بمعنيين: «بالمعنى المطلق أساسا [الذي يفيد ميل النفس للشهوات مطلقا] وبالمعنى المقيد استثناء.

والاستهواء منطقة ملتبسة بين الإقناع الحجاجي بمعناه الدقيق، وبين العنف اللغوي التخييلي والمرجعي، وهو إيجابي الدلالة لكونه بديلا حضاريا للعنف في موقع يُشرف على تلك الصفات»[2].

وقد أشار الباحث إلى أن «للقارئ أن يفكّر في سُلَّم يتدرج من التشاور إلى المنازعة (المناظرة) إلى الاستهواء (تخييلا وتغليطا). فحيث ينفع التشاور لا تكون حاجة إلى المناظرة، وحيث يعمل الحجاج لا تكون حاجة إلى الاستهواء. والاستهواء أنفع إذا كان البديلَ الوحيد الممكن للعنف المرجعي بشتى أشكاله»[3].

كما أكد أن هذه التراتبية هي التي قادت بيرلمان وتيتيكا إلى التمييز بين الإقناع (Persuasion) والاقتناع (Conviction)، «فالاقتناع هو موضوع الحجاج بمعناه الحق، في إطاره تتحقق الحرية»[4]، واستند في هذا إلى قولهما في نص دال: «إن الحجاج غير الملزم (Non contraignant) وغير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل. فأن تكون الحرية تسليما اضطراريا [إلزاميا] بنظام طبيعي معطى سلفا معناه انعدام كل اختيار...»[5].

---

[1]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 12.

[2]. نفسه، 13.

[3]. نفسه.

[4]. نفسه. نُنوه هنا أن محمد العمري تخلى عن مصطلح الاقتناع مقابلا لـ "Conviction" وتبنى مقابل ذلك مصطلح "التَّيقين"، وهو من اقتراح الباحث الحسين بنوهاشم الذي اعتبر هذا المصطلح أساسيا ومحوريا في نظرية الحجاج الحديثة، ولا يمكنك التعامل، في تصوره، مع نظرية بيرلمان وترجمتها دون إيجاد مقابل مضبوط له. وقد لاحظ أن أغلب الباحثين ترجموا هذا المصطلح بلفظة "اقتناع"، واقترح مقابلا آخر له هو التيقين. يُنظر كتابه **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، ص 22-23؛ ويُنظر **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد 9، 2016، ص 297-301.

[5]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 13. وقد أحال العمري بهذا الخصوص على ترجمة عبد الله صولة لهذا النص، في مقاله: «الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال **مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة** لبرلمان وتيتيكاه»، ضمن كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص 301.

17. المشاورات

الأصل في المشاورات كما يرى محمد العمري «تبادل الرأي بين مشتركين أو أكثر في قضية من أجل تكوين رأي أو موقف ينسجم مع رؤية الطرفين أو الأطراف المتشاورة. وقد يكون هذا الرأي المثبت بالحوار طرفا في مناظرة الآراء الأخرى. وفي المنطقة الفاصلة بين المعرفة والتشاور تجري عملية الاستشارة أو الاستخبار أو الاستعلام [...] والفرق بين الاستشارة أو (الاستخبار) والتشاور أن التشاور تدبير في حين أن الخبرة تعليم»[1].

وقد ينتقل الخطاب من الاستشارة إلى التشاور أي من الإخبار إلى الحوار. ولكن من الممكن، حسب محمد العمري أيضا في المجال الاجتماعي حيث يرى الجميع نفسه مؤهلا للتشريع، أن يتحدث الخبير لغة المدبر. وهذا من الانزلاقات التي قد تؤدي إلى عواقب وخيمة، كما في خطة إدماج المرأة في التنمية مثلا[2].

18. المغالطة

تعد المغالطات مبحثا مركزيا من مباحث المنطق غير الصوري كما هو بين من خلال منجز أفلاطون في محاوراته، وعند أرسطو في كتاب **التفنيدات السفسطائية** (*Les réfutations sophistiques*) وغيرهما. وقد استمر الاهتمام بهذا المبحث من لدن العديد من المناطقة الجدد، لا سيما بعد التطور الذي حصل في مختلف العلوم الإنسانية من تواصل وبلاغة وفلسفة وذكاء صناعي وعلم النفس المعرفي وغيرها. ومراعاة لسلطة المقام، نعرض لتصور البلاغة العامة للمغالطة كما يتصورها رائدها محمد العمري، إذ عرّفها بقوله: «المغالطات هي، في بنيتها المشتركة، إيهام بوجود منطق ومعنى وإخفاء الانحراف عنهما»[3]. ومن آليات المغالطة التي ذكرها محمد العمري استنادا إلى أرسطو ما يأتي[4]:

- «الانزلاق من معنى إلى معنى آخر لكلمة واحدة لإيقاع الوهم بأن المعنى واحد، أو: ما يصدق على هذا يصدق على ذاك».

- «الانزلاق من تركيب إلى تركيب عبر استبدال كلمة بكلمة أخرى أو اختلاس الكلمة الأساسية التي يؤدي تغييرها إلى تغيير مسار الخطاب وقيمته الحجاجية».

---

1. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 22-23.
2. نفسه، 23.
3. نفسه، 26.
4. نفسه، 26-30.

- التشويش «على المُحاور ودفعه إلى الخطأ بوضعه أمام خيارين فاسدين كل واحد منهما يوقع في الزلل».

- البتر، وهو من أساليب إفساد الحوار وذلك بإخراج الكلام من نسقه وسياقه. وقد دأب المتخاطبون على التنديد بهذا السلوك مذكرين بقوله تعالى «ويل للمصلين»، أو «لا تقربوا الصلاة» مفصولين عن سياقهما كما يتضح من خلال تتمة الآية الأولى «الذين هم عن صلاتهم ساهون» (الماعون الآية 5)، وتتمة الآية الثانية «وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (النساء آية43).

- «التنغيم في المناقشات الحية لتمرير الكثير من الرسائل، بدءا بالظهور بوجه غير الوجه الحقيقي، وصولا إلى إظهار السخرية من المعاني والقيم التي يراد التقليل من شأنها».

ويرى محمد العمري أن «المغالطة درجات من الإخفاء والانكشاف. منها ما يلتبس بالأقيسة المنطقية، لا يُتوصل إلى كشف زيفه إلا بالنظر السديد العميق، ومنها ما هو فج ظاهر العطب، يقوم على الاستخفاف بالمتلقي، وهو أقرب إلى الإعنات». ومن المفيد عنده «التمييز بين نوعين من التهافت الحجاجي: تهافت الغلط لضعف الحس النقدي، وتهافتٌ مع نية التضليل، ندعو الأول غلطا، والثاني مغالطة، وبينهما درجة ملتبسة صارت مهمة جدا لدلالتها السيكولوجية وخطورتها في عرقلة الحوار». ومنها الاستخفاف بالمُحاور وإيهام الشمول[1]، وغير ذلك.

أما بعد: فهذه مصطلحات بلاغية حرصنا في استقرائها ودراستها على مراعاة النسق الذي وردت فيه ممثَّلا في البلاغة العامة عند محمد العمري، ولسنا ندعي استقراء جميع المصطلحات المتصلة بطبيعة هذا المشروع، بل منتهى وسعنا في هذا المقال الاقتصار على مصطلحاته النسقية البانية. مع الإشارة إلى أن هذه المصطلحات، لا تغطي جميع المصطلحات البلاغية في مشروع محمد العمري، فقد اقتصرنا على ما رأيناه الأهم في نسق هذا المشروع، ولذلك نعد القارئ باستكمال استقراء جميع المصطلحات سواء في بعدها العام أو في بعدها الخاص بالشعرية والخَطابية آملين مستقبلا إن شاء الله تعالى تركيب هذه المنظومة المصطلحية في **معجم نسقي للبلاغة العامة**. والله المستعان.

---

[1]. العمري (محمد)، **دائرة الحوار ومزالق العنف**، ص 30. وفي هذا السياق العام تندرج جملة من المغالطات الصورية غير المنطقية نحو المصادرة على المطلوب والحجة الشخصية بأنواعها التي تشمل القدح الشخصي والقدح بالظروف الشخصية ومغالطة أنت أيضا تفعل كذا وما يسمى بتسميم البئر، ومن الحجج المغالطة كذلك حجة السلطة بمستوياتها والتعميم المتسرع، وتجاهل المطلوب ومناشدة الشفقة، والاحتكام إلى النتائج، والسؤال المشحون الخ. يُنظر: مصطفى (عادل)، **المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)**؛ ويُنظر كذلك: النويري (محمد)، «الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج»، ضمن: **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص 403-447.

المصادر والمراجع

- أرسطو،

أ- **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

ب- **فن الشعر**، ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973.

- إيخنباوم، «نظرية المنهج الشكلي»، ضمن: **نظرية المنهج الشكلي. نصوص الشكلانيين الروس**، ترجمة ابراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط1، بيروت، 1982.

- بليث (هنريش)، **البلاغة والأسلوبية. نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**، ترجمة وتعليق محمد العمري، دار أفريقيا الشرق، 1999.

- ابن رشد (أبو الوليد)،

أ- **تلخيص الخطابة**، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (بيروت)، (د. ت.).

ب- **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1983.

- ابن سينا (أبو علي)،

أ- **الإشارات والتنبيهات**، مع شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق محمد سليمان دنيا، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1983.

ب- الخطابة من كتاب الشفاء، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، 1954.

- بنوهاشم (الحسين)،

أ- **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

ب- **بلاغة الحجاج. الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2014.

ج- «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد9، 2016.

- جبري (إدريس)، **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري. نحو بلاغة عامة**، تقديم وتأطير محمد العمري، ط1، منشورات **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، 2019.

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)،

أ- **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

ب- **أسرار البلاغة**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1991.

- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.

- شارودو (باتريك) ومنغينو (دومينيك)، **معجم تحليل الخطاب**، ترجمه عن الفرنسية: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.

- صولة (عبدالله)،

أ- «الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه»، ضمن: **أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم**، فريق البحث في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس I، كلية الآداب منوبة، تونس، (د. ت.).

ب- «فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة»، **مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية**، عدد1، 1987.

- العمري (محمد)،

أ- «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»، محاضرة عن بعد ألقاها بالمدرسة العليا،[على الويب]، فبراير 2020، https://www.youtube.com/watch?v=9q1y2i4ydf4، (مارس 2021).

ب- **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة. مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني**، أفريقيا الشرق، ط1، 2017.

ج- «المهيمنات البلاغية في الشعرية العربية»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد3، 2013.

د- **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، أفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، 2013.

هـ- **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2010.

و- **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005.

ز- **دائرة الحوار ومزالق العنف. كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002.

ح- **نظرية الأدب في القرن العشرين**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1996.

ط- **تحليل الخطاب الشعري. البنية الصوتية في الشعر (الكثافة الفضاء التوازن)**، الدار العالمية للكتاب، ط1، الدار البيضاء، 1990.

ي- **في بلاغة الخطاب الإقناعي. مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية. الخطابة في القرن الأول نموذجا**، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1986.

- القرطاجني (حازم)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1986.

- كوهن (جان)،

أ- **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986.

ب- **الكلام السامي**. **نظرية في الشعرية**، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد الولي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2013.

- ماكدونيل (ديان)، **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة وتقديم: عز الدين إسماعيل، ط1،المكتبة الأكاديمية، 2001.

- مصطفى (عادل)، **المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007.

- مورو (فرانسوا)، **البلاغة. المدخل لدراسة الصور البيانية**، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، منشورات الحوار الأكاديمي، الدار البيضاء، 1989.

- النويري (محمد)، «الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج»، ضمن: **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، فريق البحث في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس I، كلية الآداب منوبة، تونس، (د. ت.).

- الولي (محمد)، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.

- ياكبسون (رومان)، **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، 1988.

- Anscombre (Jean-Claude) et Ducrot (Oswald), *L'argumentation dans la langue*, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983.

- Ducrot (Oswald) et Todorov (Tzvetan), *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*, Seuil, Paris, 1972.

- Genette (Gérard), «La rhétorique restreinte», Figure 3, Seuil, Paris, 1972.

- Jakobson (Roman)*, Essais de linguistique générale. Les fondations du langage*, T. I, traduction et préface par Nicolas Ruwet, Les Éditions de Minuit, Paris, 1963.

- Olivier (Reboul), «La figure et l'argument», in: Meyer (Michel) (éd.), *De la métaphysique à la rhétorique*, Éditions de l'Université de Bruxelles, Bruxelles, 1986.

- Perelman (Ch.) et Tyteca (O.), *Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique*, 5ème édition, Bruxelles, 2000.

-Riffaterre (Michel), *Essais de stylistique structurale*, présentation et traduction de Daniel Delas , Flammarion, Paris, 1971.

- Tamine (Joëlle), *Pour une nouvelle théorie des figures*, Presses Universitaires de France, 2011.

شاييم بيرلمان

الإمبراطوريَّة الخَطابيَّة

صناعة الخَطابة والحِجاج

Chaïm Perelman

L'empire rhétorique Rhétorique et argumentation

ترجمة وتقديم وتعليق

د. الحسين بنوهاشم



ما الحجاج؟[1]

الحسين بنوهاشم[2]

التعريف:

الحجاج ممارسة خَطابية مرتبطة بالتواصل بمختلِف أنواع الخطاب الإنساني في كل أشكاله ما عدا الخطاب البرهاني. وهو خطاب يوجَّه إلى مخاطب (قد يكون المتكلمَ نفسه) أو أكثر، ويسعى لدفعه إلى التصديق بفكرة أو رأي أو موقف أو سلوك، أو إلى تغيير رأيه أو موقفه أو سلوكه. ويتم التصديق بواسطة تقديم حجج داعمة للدعوى، أو مفنِّدة للدعوى المضادة. وهي إما حجج تخاطب العقل، أو حجج تأثيرية تتجه إلى العواطف والنوازع النفسية.

خصائص الحجاج:

نستنتج من هذا التعريف مجموعة من خصائص الحجاج:

- أن الحجاج عمليةُ تواصل تتطلب مرسِلاً ومرسَلاً إليه ورسالة.

- أن الحجاج ليس عملية مجانية، أي أنه يكون هادفاً دائماً. إنه ممارسة يهدف المتكلم، من خلالها، إلى ممارسة فعل وتحقيق نتيجة: أن يقبل المخاطب فكرة - أن يغير المخاطب وجهة نظر - أن يتبنى المخاطب موقفاً - أن يقوم المخاطب بفعل...

- أن الحجاج يستهدف التصديق بفكرة (رأي) أو الدفع إلى القيام بفعل.

---

[1]. كان الغرض من هذا العمل، في أصل وضعه ومناسبته، تيسيرياً بيداغوجياً. فهو جزء من محاضرات أُلقيت أمام طلبة ماستر «النص النثري العربي القديم. دراسة في الأشكال والأنواع» بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، وماستر «المناهج اللسانية وتحليل الخطاب القرآني» بالكلية متعددة التخصصات بالرشيدية. ولذلك تلافينا فيه التنصيص والإحالة والتوثيق. وما دام هذا العدد من المجلة يغزو مغزى التعريف بالبلاغة العامة في كل جوانبها، وتقريب مفاهيمها من الباحثين في كل مناحي الخطاب الاحتمالي المخيل المؤثر، فقد رأيناه مناسباً لسد ثغرة فيما أُنجز له من البناء العام. وقد تحاورنا في إنجاز جزئه الأول مع أعمال أساس في المنحى الذي نتبناه، منها:

- Perelman (Ch.), «Logique et rhétorique».
- Perelman (Ch.), *L'empire rhétorique*.
- Blanché (R.), *Le raisonnement*.

كما اعتمدنا في القسم المتعلق بأنواع الحجج عند بيرلمان على كتابنا: **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**. أما القسم الأخير (وسائل الإقناع عند أرسطو) فهو موثَّق، وقد أخذنا أغلبه من كتابنا: **بلاغة الحجاج. الأصول اليونانية**.

[2]. باحث في البلاغة وتحليل الخطاب.

- أن الخطاب الحجاجي يشتمل، بالضرورة، على: - دعوى هي الرأي أو الموقف الذي يريد المتكلم تصديق المخاطَب به.

- عناصر للتدليل؛ أي حجج لصالح الدعوى تُثبت صحتها.

- أن الحجاج يشمل عناصر عقلية (حجج تخاطب العقل) وعناصر تأثيرية (حجج تخاطب النوازع النفسية).

الفرق بين الحجاج والبرهنة:

الحجاج مختلف عن البرهنة. فهذه الأخيرة هي مجالُ العلوم الدقيقة المعتمِدة على الرياضيات والمنطق الصوري، حيث تكون النتائج ضرورية ملزمة. أما الحجاج فمجاله الخطاب الإنساني بكل أشكاله (الخطاب اليومي، الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الإشهار، الفلسفة، العلوم الإنسانية...)، ولا تكون نتائجه ضرورية ملزمة، بل محتملة فقط. تبحث البرهنة عن الحقيقة، أما الحجاج فيبحث عن الشبيه بالحقيقة الذي يدور حول الراجح والمحتمل في مجال الأمور المتعلقة بالإنسان وحياته، والتي لا يمكن البت فيها بشكل قاطع نهائي كما هو الأمر في البرهنة:

البرهنة	الحجاج
"أ" أكبر من "ب"	كل أمّ تحب ابنها
"ب" أكبر من "ج"	فلانة أمّ
إذن: "أ" أكبر من "ج"	إذن: فلانة تحب ابنها

فإذا عدنا إلى أرسطو مؤسس نظرية الحجاج ومؤسس المنطق الصوري، سنجده قد ميّز بشكل حاسم بينهما، وفصل بين القياس البرهاني والقياس الحجاجي؛ فالأول له وظيفة نظرية، وموضوعه المعرفة العلمية، وتتكون مقدماته من قضايا (Propositions) بدهية حقيقية مستقلة عن الرأي الشخصي، مثل: "مجموع زوايا المثلث تساوي خطين قائمين"، "الثدييات حيوانات ولود"، "الماء جسم يَنتج من تركيب كَمّيتين من الهيدروجين وكمّية واحدة من الأكسجين"... وليس الأمر كذلك في القياس الخَطابي، إذ إن وظيفته عملية، تساعد على توجيه الفعل في أمور الحياة، ومقدماته تتكون من قضايا مرتبطة بالرأي الشخصي والحساسية الخاصة بكل فرد؛ قضايا لا تتعلق بالحقيقة، بل بالشبيه بالحقيقة، لأنه لا يمكن الحسم فيها بشكل قاطع؛ قضايا مثل: الديمقراطية أحسن نظام - يجب اتخاذ إجراءات للحد من النسل - تعدد الزوجات أمر غير مقبول... وحتى إذا افترضنا أن أحدنا وصل إلى الحقيقة بشأنها، فليس هناك إمكانية

لإثباتها بشكل نهائي ملزم ضروري إلا نادراً؛ مثلما هو الأمر بالنسبة للأبرياء الذين عوقبوا بجريمة لم يرتكبوها، فهم يعرفون حقيقة كونهم أبرياء، لكنهم أو محاميهم لم يستطيعوا إثبات براءتهم بشكل قاطع. وما دام الحجاج يدور في مجال الشبيه بالحقيقة، فهو لا يستهدف إثبات حقيقة بقدر ما يسعى إلى كسب تصديق المُستمَع (L'auditoire) بالدعوى التي يدافع عنها. من هنا، فإن الحجاج يبقى رهيناً بالمُستمَع الذي يتوجه إليه، لأن ما يقبل به مُستمَع ليس مقبولاً بالضرورة عند مُستمَع آخر؛ فأن تُقنع جماعة مُسلمة بالتبرع بأعضائها بعد الوفاة قد يفرض الاستعانة بتعاليم الإسلام؛ الأمر الذي لا معنى له، بل قد يكون له مفعول عكسي على جماعة غير مسلمة. إن البرهنة تكون صادقة أو كاذبة، وذلك بالنسبة لأي متلقٍّ كيفما كان. أما بالنسبة لمتلقي الحجاج فما هو مقبول في مُستمَع قد لا يكون كذلك في آخر. والأمر مرتبط بثقافته وتكوينه ومواقفه وأهوائه ومصالحه وانتماءاته... بل حتى بتكوينه النفسي؛ فالمدرّس المقتنع بممارسة العنف في التربية قد يكون الحاسمُ في موقفه هو ميوله السادية أكثر منها ما يعتبره "منافع" لهذا العنف، كما قد نجد تلميذاً مقتنعاً به بسبب ميوله المازوشية. إن الحجاج ما دام يفتقد لقوة البرهنة وإلزامِها، فهو يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المخاطب، عاداته في التفكير، مسلماته، اعتقاداته، انفعالاته...[1].

[1]. يحيلنا هذا الكلام على مسألة الأخلاق في ممارسة الحجاج، إذ كثيراً ما تُوجَّه الاتهامات إلى الخَطابية (وهي بلاغة الحجاج)؛ اتهاماتٌ بالاستدراج (La manipulation)، وباستغلال الأهواء والنعرات، وبالتحريض والتهريج... صحيح أن هناك خُطباً وخطباء تَصدُق عليها وعليهم تلك الاتهامات، لكن ذلك يبقى متعلقاً بالخطابة (وهي ما يمارسه الخطيب)، وليس بالخَطابية (وهي العلم الذي يدرس الخطابة). إن الخَطابية أداة يبقى استعمالُها رهيناً بمستعملها، فقد تُستعمل في الخير أو الشر. وقد سبق لأرسطو أن ردّ على هذا الاتهام بالقول إنها مثلُها في ذلك مثلُ جميع الخيرات الأكثر نفعاً ما عدا الفضيلة، فما دامت من الخيرات فإنها معرَّضة للاستعمال السيء كالقوة والصحة والمال... من جهة أخرى ينبغي ألّا ننسى أن الكشف عن تلك الألاعيب هو من مهمة الخَطابية، فإذا كانت هذه الأخيرة تقدّم للخطيب الوسائل التي تمكنه من كسب تصديق المستمَع له، فإنها في نفس الوقت تقدم الوسائل التي تمكّن من كشف الانزلاقات الحِجاجية والسفسطة والغلط والمغالطة. إن أحد الأدوار الأساس التي على البلاغي المعاصر أن يقوم بها، في تصوّرنا، هي مواجهة من يسخّرون الخطابة للتلاعب بالعقول والأهواء، والإيقاع بمخاطَبيهم في حبائل حيلهم الخَطابية. إن همّ البلاغي المعاصر ينصبّ، في تصوّرنا، على ضبط الأدوات التي تمكّنه من تحليل الخطاب التداولي وفي مقدمته الخطابات المتداولة يوميّاً، من خطاب سياسيّ ودينيّ وإشهاريّ وصحافيّ... هي التي تلعب الدور الأساس في صنع العقليات وتشكيل الرأي العامّ وتكوين رؤيا العالم لدى الناس، وتساهم في بلورة آرائهم ومواقفهم، وذلك من أجل الكشف عن أنماط الحجاج المعقولة في تلك الخطابات، وبالأساس من أجل فضح أغاليطها وانحرافاتها وعيوبها الخَطابية. (سبق أن تناولنا هذا الموضوع بتفصيل في المحاضرة التي ألقيناها في ندوة: أخلاقيات البلاغة التي نظّمها المركز المغربي "دراسات" وفرقة البحث في الإبداع النسائي بكلية الآداب بتطوان يوم 8 يوليوز 2021، وهي بعنوان: «البعد الأخلاقي للخَطابية عند أرسطو». وهي متاحة في الموقع التالي:
facebook. com/110353731278907/videos/522941318828800.

لذلك فإن التكيف مع المُستمَع شرط أساس في الحجاج، في الوقت الذي لا تكون له أي أهمية تُذكر في البرهنة. فالقياس البرهاني أعلاه يمكن أن يخاطَب به أي إنسان في أي زمان أو مكان. هذا التكيف يقوم على أن يختار الخطيب (والمقصود به كل من يوجه خطاباً إلى مُستمَع يهدف إلى كسب تصديقه سواءٌ كان هذا الخطاب شفويّاً أو كتابيّاً) نقطةَ انطلاق حجاجه من مقدماتٍ مُسلَّم بها من قِبل مُستمَعه. فإذا كان الهدف من البرهنة هو إثبات صدق النتيجة انطلاقاً من صدق المقدمتين، فإن الهدف من الحجاج هو نقل التصديق الممنوح للمقدمات إلى النتيجة. لهذا، فلكي لا يفشل الخطيب في مهمته، عليه ألا ينطلق إلا من مقدمات تتمتع بتصديقٍ كافٍ من قِبل المُستمَع. فإن لم تكن كذلك، فإن أول ما على الخطيب فعلُه هو أن يقوّيَه بكل ما يملك من وسائل، لأن نقل التصديق من المقدمات إلى النتيجة لا يتحقق إلا بإقامة تماسك قوي بين المقدمات والدعاوى التي يسعى لجعلها مقبولة.

وإذا كان رأي المتلقي في مُنجِز البرهنة غير مؤثر في صدقها وإلزاميتها، فإن رأي المُستمَع في الخطيب يقوم بدور أساس في الحجاج، فالخطيب لا يمكن أن يفلت من التفاعل بين رأي المُستمَع فيه ورأيه في الأحكام والحجج التي يقدّمها.

تجدر الإشارة، ونحن بصدد الحديث عن المُستمَع، إلى أن شاييم پيرلمان قد قام بتوسيعه؛ إذ لم يعد يقتصر على حشد من الناس مجتمعٍ في ساحة عمومية من أجل الحسم في أمر يهمّ المدينة، كما كان عليه الأمر في الخَطابية القديمة، بل إنه أصبح يشمل كلَّ من يسعى الخطاب، شفويّاً كان أم كتابيّاً، إلى كسب تصديقه بدعوىً ما، كيفما كان عدد المستمعين أو مكانهم أو وضعهم. إنه يبدأ من شخص واحد، قد يكون المتكلمَ عينه حين يتداول مع نفسه، ليصل إلى الإنسانية جمعاء، مروراً بما بينهما من أشكال لا نهائية من المُستمَعات المتنوعة. انطلاقاً من ذلك، قسّم پيرلمان المُستمَع إلى مُستمَع خاص (Auditoire particulier) وهو متعدّد؛ قد يكون الخطيبَ نفسه، أو مُخاطَباً واحداً، وقد يكون جماعة قلّ عددُها أو كثر، مكوَّنةً من أطفال أو راشدين، جهلةً أو علماء، بدواً أو رحّلاً أو حضراً... إنه مُستمَعات متنوعة بشكل لا نهائي لا سبيل إلى حصره. النوع الثاني هو المُستمَع الكوني (L'auditoire universel) وهو واحد، يتكوّن من كل كائن ذي عقل، قابلٍ لأن يصدّق بخطاب معقول تُسنده حجج تخاطب العقل يقبل بها كل شخص يفكّر بشكل طبيعي؛ إنه مكوَّن من كل كائن يسلّم بحجاج عقلاني. هذا التقسيم للمُستمَع جعله

يقسّم التصديق[1] (L'adhésion) إلى إقناع (Persuasion) هو غاية كل حجاج مُوجَّه إلى المُستمَعات الخاصة تؤخذ فيه بعين الاعتبار خصوصياتها، وتَيقين (Conviction)[2] هو ما يسعى إليه الحجاج الموجَّه إلى المُستمَع الكوني[3].

البرهنة تقوم على استنتاجٍ نتيجة تُستخلص، بالضرورة من المقدمتين المطروحتين: إذا كانت "أ" تساوي "ب" و"ب" تساوي "ج"، فإن "أ" تساوي بالضرورة "ج". فهذا الاستنتاج صوري، وهو صحيح بقطع النظر عن مضمون "أ" و"ب" و"ج"، وهو يقوم على ربط العلاقة بين حقيقة المقدمتين وحقيقة النتيجة، أي إذا كانت المقدمتان صحيحتين، فالنتيجة صحيحة. وإن كانت صحيحة كانت مكتفية بذاتها، وليس هناك ما يضاف إليها. أما الحجاج فصحته قد تتعزز بقدر ما نضيف إليه من حجج (على أن تكون مناسِبة). وهو من جهة أخرى، لا يستخدم علامات أحادية المعنى ("أ" - "ب" - =)، بل يستخدم اللغة، واللغة ملتبسة، أي حمّالة أوجه، لهذا فحتى المثال المشهور الذي نعوّض به علامات القياس البرهاني أعلاه (كل إنسان فان - سقراط إنسان - إذن سقراط فان) يمكن الطعن فيه بالقول إن سقراط خالد ما دام فكره خالداً. فبمجرد أن عوّضنا العلامات أحادية المعنى بكلمات، فُتح الباب أمام تعدد الدلالات واختلاف التأويلات. إضافة إلى ذلك، فالحجاج يتطلب مساحة أكبر لتقديم الحجج، فالأمر لا يتعلق باستخلاص نتيجة من مقدمتين بشكل منطقي، كما هو الشأن في البرهنة، بل يتطلب عرض الأسباب والدواعي والمبررات التي تشكّل حافزاً لقرار ما أو تعلل رأياً ما أو تفنّد اعتراضاً ما...

الحجاج قد يمارَس في البيت، في قاعة الدرس، في المحكمة، في النقابة، في البرلمان، في المقهى، في تجمع جماهيري... وكل مقام من هذه المقامات ومُستمَع من هذه المُستمَعات له لغته وقدراته وآراؤه الخاصة، بحيث إن حجاجاً فعّالاً هنا قد لا يكون كذلك هناك. أما البرهنة فهي صالحة لأيٍّ كان في أي مكان كان.

---

[1]. انظر مبررات هذا الاختيار في ركن «مصطلحات ومفاهيم»، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع 7-8، بني ملال، المغرب، 2015، ص 217-219.

[2]. للاطلاع على مبررات اختيار هذا المقابل، انظر مقدمة كتابنا: **نظرية الحِجاج عند شاييم بيرلمان**، ص 15-23؛ وكذا ركن «مصطلحات ومفاهيم»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، ع 3، ص 163-166.

[3]. لمزيد اطلاع على مفهوم المُستمَع عند بيرلمان، وعلى التوسيع الذي أجراه عليه، تُنظر مقدمة ترجمتنا لكتاب **الإمبراطورية الخَطابية**، ص 5-55.

أنواع الحجج عند شاييم بيرلمان:

من المعلوم أن شاييم بيرلمان قدّم خطاطة للحجج تجمع تقنيات الحجاج وفق تصنيف خاص. وقد قسّمها إلى جنسين كبيرين: حجج قائمة على الوصل وحجج قائمة على الفصل. الأولى تمكّن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج، والثانية تسعى إلى الفصل بين عناصرَ ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها بينها. ووزع الجنسَ الأول منها إلى حجج شبه منطقية (Arguments quasi-logiques)، وحجج مؤسَّسة على بنية الواقع (Arguments fondés sur la structure du réel)، وحجج مؤسِّسة لبنية الواقع (Arguments qui fondent la structure du réel).

الحجج شبه المنطقية هي تلك القريبة من الفكر الصوري ذي الطبيعة المنطقية أو الرياضية، لكنها تختلف عنه في كونها تفترض دوماً القبول بدعاوى ذاتِ طبيعة غير صورية، هي وحدها التي تمكّن من استعمال الحجة.

الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع ترتكز على الربط بين عناصر موجودة في الواقع. ولا يهم أن يقوم الاعتقاد في هذه البنى الموضوعية على حقائق متنوعة، أو علاقات سببية، أو على جواهر لا تكون بعض الظواهر سوى أعراض لها، ما يهم هو وجود اتفاق بخصوصها، يخوّل للخطيب بناء حجاجه انطلاقاً منها. فالأساس هو أن تبدو مضمونة بشكلٍ كاف، حتى تُمكِّن الخطيبَ من بسط حجاجه بشكلٍ يجعله يربط بين أحكامٍ مقبولة وأخرى يسعى إلى جعلها مقبولة.

الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع هي التي تُمكّن، انطلاقاً من حالة خاصة، من إثبات سابقة أو وضع قاعدة عامة أو خلق قدوة. وفي هذه الفئة من الحجج سوف يبحث بيرلمان في حجج التناسب (Analogie) التي تُستخدم تارة في بَنْيَنَةِ حقيقةٍ مجهولة، وفي اتخاذ موقف منها تارة أخرى، كما سيبحث في الاستعارات، لكنْ ليس من منظورٍ شعري، بل من منظورٍ بلاغي حجاجي يبيّن إلى أي حد تقوم بتوجيه الفكر.

وفيما يخص الحجج القائمة على الفصل، يرى بيرلمان أنها قلّما أثارت انتباه منظري الخَطابية القدماء، رغم أنها جوهرية في أي تفكير يجد نفسه - في بحثه عن حلّ مشكلةٍ يطرحها الفكر المشترك - مرغَماً على فصل عناصر من الواقع لِيَخْلُصَ إلى تنظيمٍ جديد للمعطى. ولأن عمليات الفصل مركزية في كل فكر فلسفي أصيل، فسوف تُسَمَّى الثنائيات التي تُنْشِئُها تقنيةُ الفصل هاته، ثنائياتٍ فلسفية، تقابل الثنائيات الضدية، مثل الخير/الشر، والثنائيات التصنيفية، مثل "حيوانات/نباتات" أو "شمال/جنوب".

لا يتسع المجال هنا لبسط الحديث عن مختلِف هذه الحجج، وسنكتفي بالتطرق إلى ما يغلب استعماله في الخطابات السائدة من الحجج القائمة على الوصل.

من الحجج شبه المنطقية:

- **حجة التعريف**: هي التي تبرَّر فيها دعوىً ما بواسطة تعريف، وغالباً ما يصاغ التعريف (ونجده حاضرا بقوة عندنا في الخطاب السياسي والديني) بشكل يخدم الدعوى التي يدافع عنها الخطيب، كأن يقال مثلاً: "النظام الديمقراطي هو كل نظام تجري فيه انتخابات تشريعية تتشكل من خلالها أغلبية تسيّر الحكومة لفترة معينة، وانتخابات محلية تشكِّل مجالس قروية أو بلدية لتسيير المدن والقرى في مدة محدَّدة. وهذا ما يحدث في المغرب كل خمس سنوات بالنسبة للأولى، وكل ست سنوات بالنسبة للثانية. لا جدال إذن في أن المغرب بلد ديمقراطي". واضح هنا أن التعريف صيغ على مقاس الدعوى، وهو ما يجعله مغالطاً. لذا فإن اللجوء إلى هذه الحجة يتطلب الرجوع إلى تعريف معلوم متعارَف ومُجمَع عليه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من الشعارات السياسية تصاغ على شكل تعريف.

- **حجة التسوية**: تنطلق من مبدأ التسوية الذي يعبّر عن قاعدة العدل (الكائنات المنتمية إلى نفس الفئة الأساس ينبغي أن تُعامَل بالطريقة نفسها)، والذي يتطلب استدعاء سابقة ومماثلتَها بالحالة المطروحة للمطالبة بالتعامل بالمثل معها؛ مثال ذلك قول تلميذ لأستاذه: "ما دمتَ قد عفوت عن زميلي، وقد ارتكب نفس الخطأ الذي ارتكبتُه، فأنا أستحق العفو أيضاً". إن التعامل مع وضعيتين متشابهتين بطريقتين مختلفتين يُعتبر سلوكاً غير عادل، من هنا تهمة "الكيل بمكيالين".

- **حجة التبادلية** (L'argument de réciprocité): تعتمد هي أيضاً على قاعدة العدل، وهي تُماثل بين كائنين أو حالتين، ببيان أنهما مترابطان داخل علاقة ما، وبالتالي يجب معاملتهما بالطريقة نفسها. من أمثلة ذلك: «ما هو من الشريف تعلُّمه فمن الشريف تعليمه». ومن ذلك قول أحد المتسولين ساخطاً: «لا أفهم كيف يمكن أن يُعتبر التسوّل جريرة في مجتمعٍ يرى الصدقة فضيلة». إنها تقوم بإعطاء القيمة الممنوحة لأمر معين لأمر آخر مترابط معه، وهي، بذلك، تمارس عملية قلب للوضعيات يمكن أن تنبهنا إلى غرابة بعض عاداتنا التي نعتبرها طبيعية

لمجرد أننا اعتدنا عليها: إن التفكير في إمكانية تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة يمكن أن يكشف غرابة مسألة تعدد الزوجات[1].

- **حجة التعدية** (L'argument de transitivité): هي التي يقوم عليها القياس. يتم فيها الربط بين طرف أول وطرف ثان، ثم بين هذا الطرف الثاني وطرف ثالث، ليتم استنتاج وجود نفس الرابط بين الأول والثالث. من ذلك القول: "أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي"، أو القول إن الفريق 1 سيتغلب على الفريق 3 ما دام هذا الفريق 3 انهزم أمام الفريق 2 الذي هزمه الفريق 1.

- **حجة التقسيم** (L'argument de division): تقوم على فكرة كون الكل هو مجموع لأجزائه، فما ينطبق على كل الأجزاء ينطبق على الكل الذي تشكّله. في هذه الحجة، يعمل الخطيب على تقسيم كلٍّ إلى أجزائه، ويستخلص نتيجة متعلقة بالكل بعد أن يستدلّ على كل جزء. بالاعتماد على هذه الحجة يسعى المحامي إلى بيان أن لا سبب يدفع موكِّله لقتل الضحية، ما دامت العلاقة بينهما لا تحتمل وجود دافعٍ للغيرة ولا للحقد ولا للطمع. هذا الاستدلال يشبه تقسيم المساحة إلى أجزائها، فما لا يوجد في الأجزاء لا يوجد في المساحة المقسَّمة. ولكن هذه الحقيقة القابلة للبرهنة في الهندسة تصبح قابلة للدحض؛ فلكي تكون هذه الحجة مثمرة، ينبغي أن يكون تَعداد الأجزاء شاملاً وإلا تحطم كل ما بناه صاحب الحجة، إذ يكفي أن يؤكد محامي الخصم وجود دوافع أخرى للقتل غير الغيرة والحقد والطمع ليهدم كل البناء الحجاجي للمحامي الأول.

- **حجة التضمين** (L'argument d'inclusion): إذا كان الخطيب في الحجة السابقة يعمل على أن يثبت أن ما ينطبق على الأجزاء ينطبق على الكل، فإنه في حجة التضمين يقوم بالعكس؛ ما ينطبق على الكل ينطبق على الأجزاء. تنطلق هذه الحجة من القاعدة الصورية: الكل أكبر من كل أجزائه لتُثبت مثلاً أن الكل أفضل من الجزء، أو أن ما يُمنع على الكلّ لا يُسمح به للجزء، أو أن من يستطيع الكثير يقدر على القليل. من ذلك قول القائل: «هل يمكنك، دون الوقوع في

[1]. تجدر الإشارة إلى أن الباحثين الذين تبنّوا خطاطة بيرلمان لا يتحدثون، فيما يتعلق بالحجج القائمة على قاعدة العدل، سوى على حجة التبادلية. لكننا نرى أن بيرلمان، في كلامه عن الحجج المعتمدة على هذه القاعدة، ميّز بين هذه الحجة وحجج أخرى، لكنه لم يعيّنها باسم خاص. الأولى تشير إلى التطابق بين وضعيتين بشكل غير مباشر من خلال التوازي بينهما، أما الثانية فتُطابق بين وضعية سابقة وأخرى لاحقة بشكل صريح، والدعوى في الحجتين معاً هي ضرورة التعامل بالمثل معهما. هذه الأخيرة نقترح تسميتها: حجة التسوية.

الخَوَر، أن ترغب في أن تُعرِّض المصالح العليا لحياةٍ بأكملها للخطر، بسبب لحظة سرور واحدة». إن إخضاع الجزء للكل في هذه القولة سيكون غير قابل للنقاش إذا كانت كل الأجزاء متجانسة. لكن ماذا سيقول صاحب هذا الكلام إذا كان الآني والراهن له "حضور" يجعله مفضَّلاً على أي مستقبل هو مجرد احتمال؟ وما رأيه في قول أحمد شوقي على لسان مجنون ليلى:

قَدْ يَهُونُ العُمْرُ إلّا ساعةً *** وتَهُونُ الأَرْضُ إلاّ مَوْضِعَا[1]

أو في قوله كذلك في قصيدة "زحلة":

لا أَمْسِ مِن عُمْرِ الزَّمانِ ولا غَدٌ *** جُمِعَ الزمانُ فكان يومَ رِضاكِ[2]

فيما يتعلق بالحجج المؤسَّسة على بنية الواقع، قلنا أعلاه إنها تقوم على ربط علاقات بين عناصر من الواقع تكون محل قبول واتفاق لدى المُستمَع، فيتخذها الخطيب منطلَقاً لبلورة حجاجه في اتجاهِ ما يسعى للإقناع به. وهناك طريقتان، بحسب پيرلمان، للربط بين عناصر الواقع: في الأولى نربط بين مظاهرَ من مستوىً واحد، فنكون حينذاك أمام **علاقات التعاقب**(Liaisons de succession). وفي الثانية نربط بين أطرافٍ متفاوتة المستوى، فنصبح إزاء **علاقات التعايش** (Liaisons de coexistence).

إن الحجج المعتمدة على علاقات التعاقب هي التي تربط ظاهرة ما إما بأسبابها أو بنتائجها.

من بين هذه الحجج:

- **الحجة السببية** (L'argument causal): يدافَع فيها عن الدعوى بذكر سبب أو أسباب. مثل تبريرك رفض إقراض أحد بكونه لم يرُدَّ الدين الذي عليه لشخص تعرفه.

- **الحجة النفعية** (L'argument pragmatique): هي التي تحدّد قيمة أمر بالرجوع إلى نتائجه. كأن ترفض إقراض شخص بحجة أن ذلك سينهك ميزانيتك.

- **حجة التبديد** (L'argument de gaspillage): وهي ترتكز على القول: ما دام أننا سبق أن بدأنا عملاً تجشَّمنا، لأجل إنجازه، تضحياتٍ ستذهب هباء إن استسلمنا وتقاعسنا عن مواصلة الجهد لإتمامه، فينبغي،إذن، أن نواظب على العمل في نفس الاتجاه. وهذه الحجة تصلح كذلك

[1]. شوقي (أحمد)، **مسرحيات شوقي**، ص 185.
[2]. شوقي (أحمد)، **الشوقيات**، ص 163.

لدعوة من يملكون موهبة خاصة أو معرفة أو كفاءات استثنائية إلى استعمال هذه الإمكانيات وعدم تركها دون استثمار. إن الوعاظ حين يدعون الناس إلى ترك المعاصي مؤكدين أن باب الجنة ما زال مفتوحاً أمامهم لأن الله غفور رحيم، فهم إنما يعتمدون حجة التبديد، فما دام باب التوبة مفتوحاً أمامهم، وأن الله يمكن أن يغفر ذنوبهم، فلماذا يضيعون (أو "يبدّدون" إذا صح القول) هذه الفرصة؟

- **حجة الاتجاه** (L'argument de direction): حين تكون هناك مسافة كبيرة تفصل بين مسلَّمات المستمَع ودعاوى الخطيب، يَحْسُنُ أن يتم التقريب بينهما بالتدرج، فبدل الانتقال مباشرة من «أ» إلى «د»، يقوم الخطيب بنقل المخاطَب إلى «ب»، ومنها إلى «ج»، ليصل أخيراً إلى «د».

ولكي يواجه الخصم هذه التقنية، يلجأ إلى حجة الاتجاه التي تقوم أساساً على التحذير من استعمال أسلوب الخطوة خطوة أو أسلوب العمل بالمراحل كما يسميه پيرلمان. فالخصم يتكهن بالخطوات أو المراحل التالية، فيعترض على الخطوة الأولى خوفاً من أن تقوده نحو "منحدر زلق" لن يستطيع معه الوقوف في منتصف الطريق، ومن تنازل إلى آخر، سيؤول به الأمر إلى الاستسلام. فحجة الاتجاه يمكن أن تُستخدم كلما قُدِّم هدفٌ ما على أنه مرحلة تمهّد للسير في اتجاه ما.

وحين يكون الخطيب هو الذي يقترح المرور المباشر من «أ» إلى «د»، فإن الخصم يمكنه أن يطلب المرور إلى «ب»، بادعاء أن هذا الإجراء مرحلة في مسار متدرج، وذلك على أمل توقّفِ النقاش في هذه المرحلة، أو سعياً لربح الوقت قبل قبول الإجراء غير المرغوب فيه. وفي هذه الحالة سيردّ من يريد الحصول على كل شيء مرة واحدة، أن ما ينعته الخصم بالمسار المتدرج ما هو إلا رغبة في فصلِ ما يشكّل كُلاً، وفي جعل الإجراء باطلاً بتجزيئه.

من هذا النوع من الحجاج ذاك الذي يعترض على إجراءٍ بذكر ما يمكن أن يستتبعه من إجراءات أخرى. كأن يقول رب معمل لشركائه: إن خضعنا لضغط العمال من أجل عدم اقتطاع أجر الغياب بسبب المرض، فسوف يمرّون بعد ذلك للمطالبة بالأجر للعطلة الأسبوعية، ثم بالمطالبة بعطلة سنوية مدفوعة الأجر، وانتظِروا بعد ذلك سيلاً من المطالب الأخرى.

- **حجة التجاوز** (L'argument de dépassement): في مقابل حجة الاتجاه التي تحذّر من مغبّةِ عملٍ قد يورّطنا في منزلقٍ تُخشى نهايته ومآله، تلح حجة التجاوز على إمكانية الذهاب دائماً أبعد في اتجاه معين، بدون أن يُسْتَشَفَّ من هذا الاتجاه حدٌّ أو نهاية، وذلك مع إعلاءٍ يتزايد

باستمرار لقيمة ما. من ذلك قول الأستاذ لتلامذته: "كلما اجتهدتم أكثر، كلما كان ذلك أفضل". وهي لا تنظر إلا إلى قيمة واحدة، ولا تحدّها أي قيمة أخرى قد تكون عائقاً أمام البلورة المفرطة للقيمة المشاد بها. وأي إنجازٍ تمّ تحقيقه في المجال الذي تشتغل فيه هذه الحجة لا يُعتبر سوى مرحلة من مراحلِ تدرُّجٍ لا نهائي. وللرد على هذه الحجة، يكفي التنبيه إلى أن أي قيمة يبالَغ فيها، تقود إلى تعارُضٍ مع قيم أخرى، وتمنع من تحقيقها.

فيما يخص علاقات التعايش، فإنه إذا كانت علاقات التعاقب تربط بين عناصر من نفس الطبيعة بواسطة رابطٍ سببي، فإن علاقات التعايش تجمع بين واقعتين متفاوتتي المستوى، حيث تُطرح إحداهما بوصفها تعبيراً أو تجلياً للأخرى. والنموذج الأصلي لهذه العلاقة، بحسب بيرلمان، هو الصلة الموجودة بين الشخص وتجلياته، أي ما يصدر عنه من أعمال أو أحكام أو ما يخلّفه من آثار.

من بين الحجج المعتمدة على علاقات التعايش:

- **حجة السلطة** (L'argument d'autorité): يَعتبر بيرلمان أن تأثير الشخص في طريقة تَلَقّي الآخرين لأفعاله، يمارَس بوساطة الجاه (Le prestige)، الذي هو ميزة هؤلاء الذين يُحْدِثون عند الآخرين نزوعاً طبيعيّاً لتقليدهم، بحيث يحاكي المرء سلوكهم ويتبنى آراءهم. من هنا أهمية حجة السلطة. هذه الحجة هي التي يُستثمر فيها جاه شخص أو مجموعة أشخاص أو سلطة ما لدفع المخاطَب إلى تبني دعوىً ما. والسُّلَط التي يتم الاعتماد عليها في الحجاج متنوعة: فقد تكون "الإجماعَ" أو "الرأي العام" تارة، وقد تكون فئاتٍ من الناس تارة أخرى، كالعلماء والفلاسفة ورجال الدين والأنبياء، وأحياناً قد تكون سلطةً غيرَ شخصية كالفيزياء أو المذهب أو الكتب المنزَّلة. كما يمكن أن يتعلق الأمر بسُلَطٍ تُعيَّن بالاسم.

ولا تكون حجة السلطة ذات أهمية إلا في غياب حجج مقنعة، وهي تأتي دعماً لحجج أخرى. كما أن الذي يستعملها سيحرص على الرفع من قيمة السلطة التي تنسجم مع دعواه، والغضّ من السلطة التي تدعم الخصم، لأنه في الجدال، ليست حجةُ السلطة هي التي تناقَش بل السلطة المستنَد عليها. فكل السلط قابلة للنقاش ما عدا السلطة الإلهية. ولترجيح سلطة على أخرى، في حالة نزاع بينهما، نحتاج إلى معيار غالباً ما يكون، في يومنا هذا، هو الكفاءة. لكن هناك معايير أخرى كالتقاليد والقِدَم والكونية. وحجة السلطة هذه حوربت بقوة، خصوصاً في الأوساط العلمية، لأنها كانت الحجة الأكثر استعمالاً، وبطريقة تعسفية، لمناهضة أي جديد وأي اكتشاف وأي تغيير.

- **حجة الطعن في الشخص** (L'argument ad personam): إذا كانت حجة السلطة تعتمد على التفاعل الإيجابي بين الشخص وأفعاله، بحيث تحاكي أفعاله ومواقفه وتُتبنّى آراؤه، فإن حجة الطعن في الشخص تعتمد على التعارض بين ما يُعرف عن الشخص وما قاله أو فعله.

ومن الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع:

- **حجة الشاهد** (L'exemple): يقدَّم الشاهد باعتباره حالة خاصة ملموسة. وقد يسعى، حسب بيرلمان، إلى المرور من حالة خاصة إلى قاعدة عامة. من هذا القبيل ما سمعته من شخص يعتبر أن أنجع السبل لإتقان اللغة العربية هي حفظ القرآن مبرّراً ذلك بأن أشخاصاً يتقنون اللغة العربية، ذَكَرهم بالاسم، كانوا قد حفظوا القرآن في الكُتّاب بالموازاة مع دراستهم الابتدائية.

وقد يكون القصد من الحجاج بالشاهد، المرورَ لا إلى قاعدة بل إلى حالة خاصة أخرى، كأن يقول نفس الشخص في المثال أعلاه لابنه: أعرف أن عدداً من أصدقائي الذين يتقنون اللغة العربية قد حفظوا القرآن في طفولتهم، فعليك، إن أردت إتقانها، أن تحفظ القرآن.

- **حجة المثال** (L'illustration): يُستخدم المثال لتوضيح قاعدة معروفة مسلَّم بها، أي ليعطيَها نوعاً من الحضور في وعي المُستمَع. لهذا السبب، ينبغي للمثال أن يستهدف المخيّلة، في حين ينبغي أن تكون حقيقة الشاهد أكيدة وغيرَ مجادَلٍ فيها. إن حكايات **كليلة ودمنة** مثال جيد في هذا الإطار، فهي تبدأ دائما بتسطير القاعدة قبل سرد أحداث الحكاية التي تأتي لتوضيح تلك القاعدة.

- **حجة القدوة** (Le modèle): بدل أن تُستخدم الحالة الخاصة باعتبارها شاهداً أو مثالاً، يمكن أن تُقَدَّمَ بوصفها قدوة يُحتذى بها. غير أننا لا نقتدي سوى بمن هم أهلٌ لذلك، أي هؤلاء الذين نُعجَب بهم والذين يتوفرون على سلطة أو صيت اجتماعي، يعود إلى كفاءتهم أو وظائفهم أو إلى صفهم الاجتماعي. من هذا القبيل، أغلب الحجج التي تلجأ إلى السيرة النبوية.

والشخص القدوة يَحسم، بنفسه، فيما يَحْسُن القيام به. غير أنه يمكن أن يَستلهم، هو نفسه، أفعالَه وأقواله من قدوة مقدسة: فالصحابة (وهم قدوة عند المسلمين) كانوا يتخذون الرسول قدوة. لكن يجب أن لا نعوّل على بصيرة نافذة عند كل المقتدين الذين يمكن أن لا

يحتذوا سوى بنقائص قدوتهم. لقد سبق لي أن سمعتُ أحدهم يقول إنه لن يبدأ في ممارسة الصلاة إلا حين يبلغ الأربعين من عمره، لأن الرسول لم ينزل عليه الوحي إلا في سن الأربعين[1].

ومن يستعمل حجة القدوة يشير ضمنياً إلى أنه يعمل على الاقتداء بها (إلا إن حصر دوره في مناسبات خاصة)، مما يفتح المجال لردود هزلية من هذا القبيل: ردّ طفل فرنسي على أبيه الذي أنّبه على تأخره المدرسي قائلاً: «كان نابليون الأولَ في قسمه في سنك» بالقول: «وفي سنك كان إمبراطوراً».

- **حجة التناسب** (Analogie): يرى بيرلمان أنه ينبغي، للحفاظ على خصوصية التناسب، أن يؤوَّل تبعاً لمعناه الاشتقاقي، فهو يتميز عن النسبة الرياضية المحض (Proportion)، في كونه لا يؤكد "المعادلة" بين علاقتين، بل يثبت "مشابهة" في العلاقة. ففي التناسب نثبت أن "أ" بالنسبة إلى "ب" هي مثل "ج" بالنسبة إلى "د"؛ أي أن العلاقة "أ - ب" تشبه العلاقة "ج - د". لا يتعلق الأمر، إذن، بمعادلات كما هو الشأن في الرياضيات، بل بعلاقة معينة تتم مماثلتها بعلاقة أخرى. فبين الثنائي "أ - ب" (يسميه بيرلمان: الثيمة (Thème)) والثنائي "ج - د" (يسميه: الحامل (Phore))، نُثْبت مشابهةً تهدف إلى إيضاح الثيمة وتقويمها وبَنْيَنَتها بفضل ما نعرفه عن الحامل، مما يستتبع أن الحامل ينتمي إلى مجال مغاير، لأنه معروف أكثر من الثيمة.

من أمثلة التناسب في الشعر العربي، قول بشار بن برد:

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ *** وَأَسْيافَنا لَيلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

ومن القرآن: «مَثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يَحملوها كمَثل الحمار يحمل أسفاراً».

إننا في التناسب، لا نكون أمام علاقة تشابه بل أمام تشابه علاقة. فبشار يشبّه علاقة النقع والأسياف بالعلاقة بين الليل والكواكب، والآية القرآنية تشبّه علاقة اليهود بالتوراة بالعلاقة بين الحمار والأسفار. وهي أمثلة توضح دور التناسب الذي يتمثل في توضيح الثيمة (النقع والأسياف- اليهود والتوراة) بواسطة الحامل (الليل والكواكب – الحمار والأسفار)، فهي تفسر علاقة غامضة بعلاقة أخرى مألوفة.

ويؤكد بيرلمان أن الثيمة والحامل في التناسب ينبغي أن يكونا من مجالين متباعدين كي يلعب دورَه المتمثل في توضيح الثيمة بواسطة الحامل. غير أن هذا التباعد لا يمنع التفاعل بين

[1]. نعتقد أن هذا المثال يصلح لتوضيح الفكرة رغم أنه لا يعتمد على نقيصة في القدوة.

أطرافهما. ففي الآية القرآنية التي مثّلنا بها أعلاه، يحط التقريب بين اليهود والحمار من قيمة اليهود ومن طريقة تعاملهم مع التوراة في نفس الوقت. بمعنى أن هناك تفاعلا بين "أ" و "ج" (اليهود و الحمار) من جهة وبين "ب" و "د" (التوراة والأسفار) من جهة أخرى، بشكلٍ يرفع أو يحط من طرفي الثيمة أي "أ" و "ب" (اليهود والتوراة).

حجة الاستعارة (La métaphore): يعتبر بيرلمان أن الاستعارة ليست سوى تناسب مكثَّف بفضل اتحاد الثيمة والحامل. فانطلاقاً من خطاطة التناسب: "أ" بالنسبة إلى "ب" مثل "ج" إلى "د"، ستأخذ الاستعارة أحد الأشكال التالية:

«"أ" المنسوبة إلى "د"» (A de D) و«"ج" المنسوبة إلى "ب"» (C de B) و«"أ" هي "ج"» (A est C).

فمن التناسب التالي: "الشيخوخة للحياة هي ما يشكله المساء بالنسبة للنهار"، سوف نشتق الاستعارات التالية: "شيخوخة النهار" و"مساء الحياة" و"الشيخوخة مساء".

إن الاستعارات من شكل "أ هي ج" هي الأكثر تضليلاً، لأننا نميل إلى اعتبارها تطابقاً، في حين لا نستطيع فهمها بطريقة مُرضية إلا بإعادة بناء التناسب بإضافة الأطراف المحذوفة. وقد نزيد من تكثيف الاستعارة بتوليدها من التقابل بين صفة ما والواقع الذي تنطبق عليه. فحين نقول عن محارب شجاع "هذا الأسد ينقضّ"، فإننا نضمر أن هذا المحارب أسد، الشيء الذي يتضح بالتناسب التالي: "هذا المحارب بالنسبة للرجال الآخرين مثل أسد بالنسبة لحيوانات أخرى".

إن الاستعارة تلعب دوراً خطيراً في الحجاج؛ يكفينا، في هذا الحيز، أن نشير إلى الأثر الكبير لاستعارة ماركس المشهورة «الدين أفيون الشعوب».

تلك كانت أهم الحجج التي تشكّل تقنيات الحجاج عند بيرلمان. وهي، وإن كانت حاضرة في الخطابات المتداولة، فإنها لا تشمل كل وسائل الإقناع السائدة في هذه الخطابات. لذا فإن من يسعى لمعرفة كل وسائل الإقناع المستعملَة في الخطابات الحجاجية، لا بد أن يعود إلى خَطابية أرسطو الذي قسّم وسائل الإقناع إلى ثلاث: الإيتوس والپاتوس واللوغوس، اكتفى منها بيرلمان، لأسباب لا يتسع المقام للوقوف عندها، بالوسيلة الأخيرة. ذلك ما سنتطرق إليه فيما يلي[1].

[1]. هذا الانتقال من نظرية الحجاج عند بيرلمان إلى خَطابية أرسطو يفرضه هنا غرض استكمال وسائل الإقناع المستعمَلة في الخطابات الحجاجية السائدة، وهي خطابات تغلب فيها مخاطبة الأهواء على مخاطبة العقل، الأمر الذي لن تسعف نظرية بيرلمان في تحليله. هذا الانتقال ليس، إذن، من قبيل ما أصبحنا نجده عند بعض المحسوبين على البلاغة، والذين يقفزون من خَطابية أرسطو إلى حجاج بيرلمان، أو العكس، دون تمييز بينهما. وقد عالجنا الفرق بين النظريتين في مقدمة ترجمتنا لكتاب **الإمبراطورية الخَطابية**، ص 5-55.

وسائل الإقناع عند أرسطو:

يقول بليز پاسكال (Blaise Pascal): «لا يخفى على أحد أن هناك مدخلين تتسرب من خلالهما الآراء إلى النفس، وهما قوتاها الرئيستان: الإدراك والإرادة. والطبيعي منهما أكثر هو الإدراك، لأنه لا ينبغي أن نقبل سوى الحقائق المبرهَن عليها. لكن المعتاد أكثر، رغم كونه ضد الطبيعة، هو الإرادة، لأن كل الناس ينساقون دائماً للاعتقاد، لا بواسطة الدليل، وإنما بواسطة الرضى»[1].

هذه القولة تحدّد المدخلين اللذين يُتوصل من خلالهما إلى إقناع الإنسان برأيٍ معين، إنهما العقل والوجدان. ويظهر أن پاسكال يحسم الأمر في النهاية لصالح الوجدان. لكن الثابت الآن هو أن الإنسان عقل ووجدان، وحين يكون أمام أمور لا يمكن الوصول بشأنها إلى حقيقة نهائية تَثبت بواسطة البرهنة (أي اعتمادا على العقل فقط)، لا يمكن حينئذ الفصل بين العقل والوجدان، ولن يتحقق الإقناع إلا إذا خاطبهما معاً.

إن الإقناع يدور في مجال الشبيه بالحقيقة، حيث لا مجال للضرورة والإلزام، لذلك تبقى الحجج المخاطِبة للعقل فيه هشة غير كافية لتَبَنِّي رأي أو الدفع إلى فعل. فهي تبقى مفتقرة إلى دعمٍ وتقوية، وتحتاج إلى أن تتم استمالة الجانب الثاني من النفس الإنسانية. هنا تتدخل وسائل الإقناع العاطفية أو الذاتية التي تتضافر مع الحجج العقلية لصنع الإرادة، إرادةِ تبنّي رأيٍ أو إرادة القيام بفعل. ينبغي للخطيب، إذن، أن يخاطب العقل والوجدان لكي يكون الخطاب ناجعاً، وأن يكمّل استدلالاته وحججه العقلية، بحججٍ تستهدف كسب المتلقي عاطفيّاً. من هنا قسّم أرسطو الحجج إلى ثلاثة أنواع: الإيتوس والپاتوس واللوغوس.

يقصد بالإيتوس أخلاق الخطيب، ويحددها في ثلاث سجايا هي حسب الترجمة الفرنسية: السَّداد أي سداد الرأي (Le bon sens) والفضيلة (La vertu) والبِرّ (La bienveillance).

إن الهدف من هذه الوسيلة الإقناعية هي جعل المُستمَع ينظر إلى الخطيب على أنه أهلٌ للثقة. فالأمر لا يتعلق بمنظورٍ أخلاقي أو بهدفٍ أخلاقي، بل بهدفٍ عملي يجعل المُستمَع مستعدّاً لقبول كلام الخطيب والآراء التي يطرحها. وهو أمر لن يتحقق إلا إذا رأى المستمَع فيه شخصاً تتوفر فيه الصفات التي تمكّنه من الإدلاء برأي صائب. والصفات التي تعطي هذا الانطباع حول الخطيب هي تلك الثلاثة، وليس هناك غيرها في رأي أرسطو. ويجب أن تجتمع كلها في مظهره، لأن كل واحدة منها لها دورها في كسب ثقة المستمَع.

---

[1]. Pascal (B.), *De l'art de persuader*, pp. 521-522 .

أما الپاتوس، فيقصد به أرسطو النوازع النفسية للمتلقي وأهواءه وانفعالاته، وهي تلعب دوراً حاسماً في الحجاج، إذ إن النجاح في رصدها وإثارتها كفيل بتحقيق الإقناع. لتوضيح ذلك نسوق الحكاية التالية: يحكي الناقد الأدبي الفرنسي روجي كايوا (Roger Caillois) في كتابه: فن الشعر (poétique Art) الحكاية التالية: «يحكى أنه في مدينة نيويورك، كان يوجد متسول أعمى على قنطرة بروكلين (Brooklyn). وفي أحد الأيام، سأله شخص عن معدل ما يمنحه إياه المارّة في اليوم. فردّ الشقي أن المبلغ نادراً ما يصل إلى دولارين. أخذ الشخص المجهول اللوحة التي كان المتسول يحملها على صدره، حيث تمت الإشارة إلى عاهته، وقلَبها وكتب بضع كلمات على وجهها الثاني. ثم أعادها إلى الأعمى، وقال: "هاك ما في الأمر: لقد قمتُ بكتابة عبارة على لوحتك سوف تزيد مداخيلك بشكل كبير. سأعود بعد شهر وستخبرني عن النتيجة". بعد مرور شهر، سأل المتسول الرجل قائلاً: كيف أشكرك يا سيدي؟ أنا أتلقى الآن عشرة دولارات، بل حتى خمسة عشر دولاراً يوميّاً. هذا مدهش. ما الجملة التي كتبت على لوحتي والتي تُكسبني كلّ هذه الصدقات؟ أجاب الرجل: الأمر بسيط جدّاً، كان مكتوباً عليها: أعمى منذ الولادة، وقد استبدلت بها العبارة التالية: فصل الربيع قادم، وأنا لن أراه»[1].

ما الفرق بين العبارتين؟ ما السر في أن العبارة الثانية كان لها هذا الوقع على المارة، فتضاعف مدخول المتسول أكثر من خمس مرات؟ ولماذا لم يكن للعبارة الأولى هذا الوقع؟

يجيب محمد الولي قائلاً: «لم تكتسب هذه العبارة كل هذه الأهمية إلا لسببٍ لا علاقة له باللوغوس، إذ ليس هناك أي استدلال منطقي أو بنائي أو أسلوبي، كما لا تعكس العبارة شخصيةَ المتكلم، ولا تحمل أيّ مَلْمَح من ملامحه، فلا علم لنا به، إنه راوٍ غائبٌ ويتحدث من وراء ستار. إلا أن هناك إطلاقاً لدفْق من انفعالات المتلقي الذي لم تلتفت إليه العبارة الأولى على اللوحة، ولم تُقم له وزناً. لقد اكتفت بوصفٍ باهت للعلة التي نلاحظها. العبارة كانت تكراراً شاحباً لما نرى. هي حشوية إذن، لا تفيدنا بأي معرفة أو إضافة. في حين أن العبارة الثانية قد قلبت قواعد اللعبة وتوجهت إلى من ينبغي التوجه إليه بالخطاب، والمطلوب منه الجود على هذا المتسول الشقي. وحينما خاطبت اللوحة المتلقي، توجهت مباشرة لمخاطبة القلب مستودعِ العواطف لا العقل. لقد وضعت المتلقي أمام هول الخسارة التي لا تتمثل فقط في فقدان البصر، بل في الحرمان من مشاهدة أجمل ما في الحياة، ألا وهو الربيع. وتتفاقم الخسارة الكارثية هنا حينما نعمد إلى مقارنة ما نستمتع به من مشاهدة الربيع الذي لن يتمتع

[1] . عن: Tamine (J.G.-), *La rhétorique*, p. 7

بمشاهدته المتسول. لهذا السبب ارتفعت الصدقات. العبارة كانت موفقة لقدرتها على التسلل إلى إطلاق عاطفة الشفقة من عقالها في قلب المتلقي»[1].

لقد أثبتنا هذه الحكاية، ومعها هذا التحليل لمحمد الولي، نظراً لأهميتهما في إبراز الدور الحاسم الذي يمكن أن يلعبه الپاتوس في الإقناع، خاصة وأن عملية الإقناع التي يصفها، لعب فيها الپاتوس الدور الأكبر والحاسم. غير أننا لا نتفق مع محمد الولي في اعتباره العبارة الثانية خالية من «أي استدلال منطقي أو بنائي أو أسلوبي».

فالجسر الذي تمت عبره إثارة هذا الپاتوس هو الأسلوب. فإذا كان أسلوب العبارة الأولى مباشراً جافّاً يكتفي بالإخبار، إخبارٍ لم يضِف شيئاً على ما يراه المارة، كما لاحظ محمد الولي، فإن أسلوب العبارة الثانية يقدم الخبر هو كذلك، لكن بشكل خفي، بشكل إيحائي يضع في الواجهة من وعي المتلقي حجم الحرمان الذي يعاني منه المتسول الأعمى. وذلك من خلال بناء العبارة: فهي مكونة من جملتين، تبدأ الأولى باستحضار فصل الربيع بكل إيحاءاته، فتثير لدى المتلقي كل ما يرتبط عنده بهذا الفصل الجميل من أحاسيس وانطباعات يهفو لها القلب وينشرح، ثم سرعان ما تأتي الجملة الثانية لتصدمه وتضعه أمام مأساة الحرمان من هذه المتعة عند المتسول. هكذا فالأسلوب الذي اختير للعبارة قوّى من حضور المأساة في وعي المتلقي، بحيث يجعله يتأرجح أو بالأحرى يمرّ من انطباعٍ إيجابي إلى انطباع معاكس. من هنا فبناء العبارة وأسلوبها سينتزع شفقة المتلقي من جذورها.

والعبارة تتضمن استدلالاً، ليس منطقيّاً على أي حال، لكنه استدلال يبقى خَطابيّاً، وهو خفيٌّ ومصطبغ بالإيحاءات العاطفية التي ذكرنا، ويمكن أن نلخص هذا الاستدلال على الشكل التالي: تصدّقوا عليّ لأنني أعمى محروم مما تتمتعون به. فهناك دعوى (طلب الصدقة) وحجة (أنا أعمى). هكذا فالعبارة تتكون من استدلال وبناء وأسلوب تشكّلت من خلالها رسالةٌ سوف تمر بشكل خفي عبر وعي المتلقي إلى قلبه (ومنه إلى جيبه).

وقد انتبه أرسطو إلى هذا الدور الخطير الذي يلعبه الپاتوس في الإقناع، وهو أمر ليس جديداً على الخَطابية اليونانية، وإلا لَمَا كرّس معلموها معظم جهودهم لهذا الجانب كما يقول أرسطو. إلا أن هذا الأخير، لم يكتف بوصفات جاهزة تحدّد ما على الخطيب أن يستثيره من انفعالات المُستمَع في كل جزء من الخطبة، بل قدّم تحليلاً عميقاً لمختلِف الأهواء والانفعالات

[1]. الولي (محمد)، «السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية»، ص 61.

التي من شأنها، إن تمت معرفة كيفية استثمارها من قِبل الخطيب، أن تحسم الأمر لصالحه. إنه تحليل علمي لخفايا النفس البشرية وما يجيش في أعماقها. وقد يكون هذا الجزء من كتاب الخَطابية هو الأكثر أصالة في كل ما قدمه أرسطو فيه.

أما اللوغوس، فيقصد به أرسطو الحجج العقلية، أي تلك التي تستعمل استدلالاً يتوجه إلى العقل. وقد حدد له وسيلتين: الضمير (Enthymème) والشاهد (Exemple).

يعتبر أرسطو الشاهد استقراءاً خَطابيّاً. لكنه، يفرق مع ذلك بين الاستقراء والشاهد. فهو يعتبر الأول استدلالاً ينطلق من الخاص إلى العام أو من الجزء إلى الكل. يقول: «إنه المرور من الحالات الخاصة إلى العام: فإذا كان الربان الأمهر، مثلا، هو من يعرف، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للحوذي، فبصفة عامة إذن، الشخص العارف هو الأفضل في جميع الحالات»[1]. والاستقراء قد يُستعمل في الخَطابية، لكن نادراً، كما يؤكد أرسطو: «والحال أن الاستقراء ليس إجراءاً مألوفاً عند الخطباء إلا في عدد قليل من الحالات»[2].

أما الشاهد فهو استدلال يبقى في إطار علاقة الخاص بالخاص، أي أننا نستخلص شيئاً متعلقاً بحالة خاصة انطلاقاً من حالة خاصة أخرى من نفس جنسها، لكنها أشهر من الأولى. يوضح أرسطو الأمر قائلاً: «وهو ليس علاقةَ جزءٍ إلى كل، ولا كلٍّ إلى جزء، ولا كلٍّ إلى كل، بل علاقةَ جزءٍ إلى جزء، وشبيهٍ إلى شبيه، حين يندرجان تحت جنس واحد، ولكنَّ أحدهما معروف أكثر من الآخر. فمثلا لإثبات أن ديونوسيوس [Denys] يريغ إلى الطغيان، لأنه يطلب حرساً خاصّاً له، فيمكن أن نقول إن بايسستراتوس [Pisistrate] قبله وثياجنيس الميغاري [Théagène de Mégare] فَعَلا مثل ذلك، وحينما حصلا على ما طلبا، جعلا نفسيهما طاغيتين. فكل الطغاة الآخرين يصلحون مثلاً على ديونوسيوس»[3].

وقد قسم أرسطو الشاهد إلى نوعين: تاريخي (واقعي) ومبتكر. الشاهد التاريخي يقوم على استلهامِ حلِّ القضايا المطروحة من أحداثٍ ماضية أو تأكيدِ وجهة النظر المدافَع عنها انطلاقاً من تجاربَ سابقة. والمثال الذي ذكرناه أعلاه نموذجٌ للشاهد التاريخي.

أما الشاهد المبتكر فيتفرع إلى نوعين: الأول يسميه أرسطو المقارنة (La comparaison)، وهو يقوم، كما يقول محمد الولي: «على تخيّل شبيهٍ ممكن واقعيّاً مماثلٍ للحالة المطروحة

---

[1]. Aristote, *Les topiques*, p. 29 (105a).

[2]. Aristote, *Rhétorique*, trad. C.-E. Ruelle, p. 253 (1394a).

[3]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 35 (1357ب).

للنقاش»[1]. وقد مثّل أرسطو لهذا النوع بقولٍ لسقراط: «ينبغي عدم إسناد مهمة القضاء عن طريق القرعة، إذ سنكون وكأننا بإجراء القرعة بين الرياضيين، لا نعيّن من لديهم القدرة على التنافس بل من اختاره القدَر. وأيضاً كأننا نجري القرعة بين الملاّحين لاختيار من يقبض على السُّكّان [أي اختيار ربان المركب]، وكأنه ينبغي أخذ من اختاره القدر لا الشخص الكفؤ»[2].

أما النوع الثاني الذي يتفرع عن الشاهد المبتكر فهو الخرافة التي يتم اختيارها أو ابتكارها لعلاقةِ مشابَهة بينها وبين ما يريد الخطيب الإقناع به. من الأمثلة على ذلك ما ذكره أرسطو عن خطيب ينصح سكان مدينته بعدم السماح للقاضي الأول (Le stratège) (واسمه فالاريس (Phalaris)) الذي منحوه كل السلطات، بالتوفر على حرسٍ خاص، لأن ذلك سيمكّنه من التحكم في رقابهم. ولإقناعهم بالأمر حكى لهم الخرافة التالية:

«(يُحكى أن) فرسا تَفَرَّدَ بمرعى. فجاء أَيِّلٌ فأفسد المرعى، فلما أراد الفرس أن ينتقم لنفسه من الأيِّل سأل رجلاً أن يعاونه على معاقبة الأيِّل فوافقه الرجل على ذلك، بشرط أن يقبل اللجام وأن يحمله على ظهره وفي يده رمح. فوافق الفرس على هذه الشروط وركبه الرجل، لكنه بدلاً من أن ينتقم له من الأيِّل، صار الفرس من ذلك الوقت عبداً له».

وختم كلامه قائلاً: «فهكذا انظروا أنتم أيضاً لئلا تصيروا إلى ما صار إليه الفرس. أنتم تريدون الانتقام من أعدائكم. فإنكم قد الْتَقَمْتُم اللجام حيث اخترتم طاغيةً، فإذا أقمتم له الحرس وخلّيتموه ليركبكم، فستصيرون عبيداً لفالاريس»[3].

ويظهر من خلال هذه الخاتمة أن استخدام الخرافة يتطلب من الخطيب بيان علاقتها مع الموضوع المطروح.

وقد أكد أرسطو أن الخرافة تصلح للخطب الموجَّهة إلى الشعب، وأن ميزتها هي أنه إذا كان من الصعب العثورُ على شواهد تاريخية شبيهة بالقضية المطروحة، فمن السهل ابتكارها، يكفي أن ندرك التشابهات. فهذا النوع أسهل، لكن الشاهد التاريخي أكثر فائدة في الخطب الاستشارية، لأن الأحداث المستقبلية تشبه الأحداث الماضية.

---

[1]. الولي (محمد)، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، ص 48.

[2]. Aristote, *Rhétorique*, trad. P. Chiron, p. 359 (1393b).

[3]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 155-156 (1393ب).

وينبغي استعمال الشاهد حين لا تتوفر لدى الخطيب ضمائر (Enthymèmes)، لكن حتى حين تتوفر لديه، يمكن أن يستعمله كشاهدٍ يختم به الضمير. ويظهر أن أرسطو يفضّل هذا الاستعمال له، إذ يقول: «فإنها [أي الشواهد] إن جاءت أولا فإنها تشبه الاستقراء، والاستقراء لا يناسب الخطب إلا في أحوال قليلة جدّاً. وإذا جاءت بِأُخَرَةٍ فإنها تشبه البيّنة، والشهادة في كل حالة من المحتمل أن تقود إلى الاعتقاد. ولهذا من الضروري ذكرُ عدد من الشواهد إذا وُضعت أولاً. ولكنّ شاهداً واحداً يكفي إذا وُضعت في النهاية، لأن شهادة وثيقة واحدة تفيد»[1].

أما الضمير فهو، عند أرسطو، قياس. وسُمّي ضميراً لأننا، في الحجاج، عادة ما نضمر إحدى مقدماته إذا كانت معروفة عند المستمَع، لأن ذكرها سيكون «حشواً ما دمنا سنقول أشياء بدهية»[2]، بل «ثرثرة». لذلك ينبغي حذف ما يستطيع السامعون إتمامه بأنفسهم. وفي ذلك إشراك للمستمَع في بلورة الاستدلال، مما قد يكون له أثر في إحداث الإقناع. كأن نقول مثلا: سقراط فان بما أنه إنسان (أُضمرت المقدمة الكبرى)، أو نقول: سقراط فان ما دام كل إنسان فان (أُضمرت المقدمة الصغرى). لكن الأساس في القياس الخَطابي أي الضمير هو أنه ينطلق من مقدمات راجحة أو شبيهة بالحقيقة فحسب، وبالتالي لا يؤدي إلا إلى نتيجة راجحة أو شبيهة بالحقيقة، تلك هي السمة المميزة للضمير حسْب أرسطو، وليس إضمارَ إحدى قضايا القياس؛ إذ لا يتم الإضمار إلا إذا كان المستمَع عالماً بمضمون المضمر، فإن لم يكن كذلك وجب ذكره. لكن القياس إذا كان مكوَّناً من حقائق ضرورية ملزمة، يصبح برهنة، وهي نادراً ما يمكن ممارستها في الحجاج. فإذا قلنا مثلا: صديق الصديق صديق، أنت صديق صديقي، إذن أنت صديقي . فهو قياس خَطابي، رغم عدم إضمار المقدمة الكبرى، لأنها تبقى محتملة فقط، وتبقى النتيجة أيضاً كذلك، فقد يكون صديق الصديق عدوّاً أحياناً.

ويبقى الضمير إطاراً شكليّاً تُدرَج ضمنه الحجج على اختلاف أنواعها، هذه الحجج قدمها أرسطو في إطار ما سمي، فيما بعد، بالإيجاد الذي يشكّل أحد المهام الخمس التي على الخطيب القيام بها، وهي إضافةً إلى الإيجاد: الترتيب والعبارة والحفظ والإلقاء. وقد اقتصر أرسطو على المهام الثلاثة، وذلك ما فعله أغلب مؤلفي كتب الخَطابية بعده.

والإيجاد يعني مرحلة البحث عن الحجج واختيارَها قبل تنظيمها وصياغتها في نص الخطبة. وهو بذلك يشكّل جوهر الصناعة الخَطابية التي لن تصبح صناعة بالفعل إلا إذا مكّنت

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 157 (1394أ).

[2]. Aristote, *Rhétorique*, trad. C.-E. Ruelle, p. 261 (1395b).

الخطيب من القدرة على الحجاج في أي موضوع. من هنا فالهدف المتوخى من الإيجاد هو توفير الحجج اللازمة للخطيب، وتزويده بترسانة وافرة من مواد الإقناع، يكون قادراً بواسطتها على القيام بمهمته بسهولة. لكن هذا الطموح يواجهه عائق أساس، هو أن الحجج غير محدودة، بل هي لا نهائية، ولا يمكن لأي خَطابية أن تحيط بها وتجمعها. إنها مهمة شبه مستحيلة. ومع ذلك فقد استطاع أرسطو تجاوز هذا العائق، مقدِّماً منهجيةً تسهّل الأمر على الخطيب، وتضع بين يديه مواد الإقناع التي يستطيع العثورَ على الحجج المناسبة لموضوعه من خلالها. لكنها لا تمنحه حججاً جاهزة، إذ يبقى على الخطيب أن يصنع حججه بنفسه دائماً، أما الصناعة فتُوفّر له مجال البحث عنها والمواد التي يمتح منها لإيجادها. وذلك ما سماه أرسطو بالمواضع (Lieux)، ودأبت مؤلفات الخطابية بعده على تصنيفه تحت اسم الإيجاد. فالإيجاد فيها يقدَّم في مجمله على شكل مواضع. يقول فرانسيس گويي (Francis Goyet): «"المواضع" و"المواضع المشتركة" هي، في معناها القديم، جزء أساس من الإيجاد، الذي يقتصر غالباً على "طوبيقا"، وهي تعني وصفاً لمختلِف المواضع التي يمكن أن نعثر فيها على الحجج»[1].

هذه المواضع تشغل الجزء الأعظم من الكتابين الأول والثاني، واللذين تضمَّنا كل ما يتصل بالإيجاد عند أرسطو. وقد قسمها إلى "مواضع مشتركة" (Lieux communs) يمكن استعمالها في كل المجالات، و"مواضع خاصة" (Lieux propres) تبقى مرتبطة بمجال خاص هو الذي تُستخدم فيه. يقول عن الأولى إنها هي التي «يمكن تطبيقها على السواء على القانون (الشريعة)، والفزياء، والسياسة، وعلى علوم أخرى كثيرة تختلف بالنوع، مثل موضع الأكثر والأقل، الذي يزود - بأقيسة وضمائر متساوية الجودة - القانونَ والفزياء، أو أي علم آخر، وإن كانت هذه الموضوعات مختلفة بالنوع»[2]. ويقول عن الثانية: «وهناك مواضع خاصة مستمَدّة من قضايا خاصة بكل نوع نوع أو جنس جنس من الأشياء: فهناك، مثلاً، قضايا تتعلق بالأخلاق لا تفيد في التزويد بنتائج خاصة بالفزياء، وهذا الأمر يصح في كل الأحوال. والنوع الأول من المواضع لن يجعل المرء أقدرَ على فهم صنف معين من الأشياء، لأنه لا يتناول أموراً بعينها، أما عن المواضع الخاصة، فإنه كلما كان الإنسان أنجح في اختيار القضايا، يكون أقدر على أن ينتج - لا شعوريا - عِلماً مختلفاً عن الجدل والخطابة، فقد نجح [كذا!] المرء في تقرير المبادئ المطلوبة، ولكن

---

[1]. Goyet (F.), *Le sublime du «lieu commun». L'invention rhétorique dans l'antiquité et à la renaissance*, p. 7.

[2]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 35-36.

علمه لن يعود بعد جدلاً أو خطابة، بل علم [كذا!] تنتسب إليه المبادئ المكتشفة على هذا النحو»[1].

من المواضع المشتركة مثلاً:

- موضع الأضداد (Lieu des contraires). من أمثلته: «إذا كانت الحرب هي علة الشرور الحاضرة، فنحن في حاجة إلى السلام لإصلاحها»[2].

- موضع الأشياء المترابطة (Lieu des choses corrélatives)[3]. مثلاً: «إذا كان البيع لا يشينكم، فكذلك الشراء لا يشيننا»[4]. وهذا الموضع هو الذي سماه شاييم پيرلمان الحجة التبادلية[5] (L'argument de réciprocité).

- موضع الأكثر والأقل (Lieu du plus et du moins). ومن أمثلته: «إذا كان الآلهة أنفسهم لا يعرفون كل شيء، فبالأحرى أن يكون الناس»[6].

- موضع اعتبار الزمان (Lieu de l'examen du temps). مثلاً: «لو كنتُ طلبت منك، قبل القيام بالفعل، أن تعطيني تمثالاً في حال نجاحي، كنتَ قد أعطيتني إياه، فهل ترفض الآن وقد نجحتُ»[7].

- موضع التعريف (Lieu de la définition). مثّل أرسطو لهذا الموضع بالحجة التي وردت على لسان سقراط في محاورة: **دفاع سقراط**، لتفنيد اتهامه بعدم الاعتقاد في الآلهة: «فما دمتُ

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 36. المقصود بالجملة الأخيرة أنه كلما كان اختيار القضايا (Propositions) أفضل كلما تم المرور، دون أن يُنتبه إلى ذلك، إلى علم آخر غير الجدل أو الخَطابية، إذ إنه إن عثرنا على مبادئ (يقصد أرسطو بالمبدأ هنا قضيةً غير قابلة للبرهنة، تكون في الغالب تعريفية، وتصلح مرتكَزا لأي برهنة علمية) لن يتعلق الأمر بالجدل أو الخَطابية، بل سيتعلق منذئذ بعلم نمتلك مبادءه. (انظر: Aristote, *Rhétorique*, Trad. P.Chiron, p. 137-138 (1358a))

[2]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 166 (1397أ).

[3]. Aristote, *Rhétorique*, trad. C. -E. Ruelle, p. 266.

[4]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 167.

[5]. انظر:

- Perelman (Ch.) et Tyteca (O.), *Traité de l'argumentation*, p. 297.

[6]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 168.

[7]. نفسه، 169.

أعتقد في الدايمونات[1]، بحسب ما قلتَ أنت، وإذا كانت هذه الدايمونات آلهة معينة، فإن هذا هو ما يجعلني أقول إنك تتكلم بالألغاز وتمزح حين تقول إنني لا أعتقد في الآلهة، ثم تعود من جديد لتقول إنني أعتقد في آلهة ما دمت أعتقد في الدايمونات»[2].

- موضع التقسيم (Lieu de la division). مثلاً: «ها هنا دائماً ثلاثة دواعٍ لارتكاب الظلم، اثنان منها يُستبعدان بوصفهما مُحالَيْن، والثالث لا يُقِرُّه حتى المُدَّعون أنفسهم»[3].

- موضع الاستقراء (Lieu de l'induction). مثلاً: «ما دمنا لا نَكِلُ أفراسَنا إلى من أهملوا أفراس الآخرين، ولا سُفُنَنا إلى من جندلوا سفن الآخرين، فينبغي علينا في جميع الأحوال ألاّ نَكِلَ سلامتنا إلى من لم يُفلحوا في الحفاظ على سلامة الآخرين»[4].

- موضع الأحكام السابقة (Lieu des jugements antérieurs). مثلاً: «إذا كانت الآلهات الرهيبة قد رضيت بالمثول للمحاكمة أمام محكمة الأريوفاغس [L'Aréopage]، أليس بالأحرى أن يحاكَم أمامها مكسيدميدس [Mixidémidès]»[5].

- موضع تَعداد الأجزاء (Lieu de l'énumération des parties). مثلاً: «أي مكان مقدس دنّسه، وأي آلهة تؤمن بها المدينة أهمل تكريمها»[6].

- موضع نتائج الأفعال أو الأحداث (Lieu des conséquences). يوضح أرسطو المقصود بهذا الموضع بالقول: «ولما كان الشيء الواحد، في الأمور الإنسانية، يُصحَب بنتيجة سيئة أو حسنة، فثم موضع آخر يقوم في استخدام النتيجة من أجل الحث أو النهي، الاتهام أو الدفاع، المدح أو الذم. مثلاً: التعليم مصحوب بِشرّ الحسد، وبخير الحكمة، ولذا ينبغي ألا نتعلم لأننا يجب أن نتجنب أن نُحسد، لا بل يجب أن نتعلم، لأنه ينبغي علينا أن نكون حكماء»[7]. وهذا الموضع هو الذي سماه شاييم پيرلمان الحجة النفعية (L'argument pragmatique).

---

[1]. تُرجمت هذه الكلمة من قِبل المترجمين الفرنسيين بـ "Le démon" أو "Le démoniaque" أو "Le génie" وترجمها عبد الرحمن بدوي بـ "الجني". وهي تدل على كائنات تُعتبر عند اليونان ذات طبيعة وسط بين البشري والرباني، وتُعتبر آلهة أحياناً.

[2]. أفلاطون، **محاورة الدفاع**، ص 118.

[3]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 171-172.

[4]. نفسه، 172.

[5]. نفسه، 173. ومحكمة الأريوفاغس هي المحكمة العليا في أثينا.

[6]. نفسه، 174.

[7]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 174-175.

- موضع حجج الإحراج (Lieu des arguments de dilemme). مثلاً: «رفضت كاهنة أن تسمح لابنها بأن يخطب خطبة عامة، وقالت: "لأنك إذا قلت ما هو عدل، فالناس سيكرهونك، وإذا قلت ما ليس بعدل، فالآلهة سيكرهونك"»[1].

- موضع المفارَقات (Lieu des paradoxes). لم يقدم أرسطو مثالاً على هذا الموضع، واكتفى بشرحه على الشكل التالي: «لمّا كان الناس لا يمتدحون نفس الأشياء علانية وسرّاً، وإنما علانية يمتدحون خصوصاً ما هو عدل وجميل، وسرّاً يمتدحون بالأحرى ما هو نافع ويرغبون فيه، فثم موضع آخر يقوم في محاولة استنتاج المقابل من قضية أو أخرى من هذه القضايا. وهذا الموضع هو أرجح المواضع التي تتعلق بالمفارقات»[2].

وقد وضح أرسطو طريقة استعمال هذا الموضع في كتاب: **التفنيدات السفسطائية**، إذ يقول بحسب الترجمة العربية القديمة: «وأيضاً قد يكون تضليلٌ ما بين الفكر وما يُلفَظ به ظاهراً. وذلك أنه ليس ما يريدون في أنفسهم ويلفِظون به شيءٌ واحد، وكأنهم يقولون من الكلام ما يَحْسُنُ مَخْرَجُهُ ويريدون ما يُتخيَّل أنه خير وأفضل، كقول القائل: ينبغي أن نموت كِراماً دون أن نحيا حياة دنيئة، والمسكنةُ مع العدل خير من الغنى والجور، فقد يلفِظون بما يَحسُن مَخْرَجُهُ ويريدون في أنفسهم ضد ذلك. فمَن كان كلامه على الضمير الخَفِيّ في النفس فَلْيَنْقَدْ إلى الظاهر في القول من محمود اللفظ، ومَن كان كلامه على المحمود مما ظَهَرَ فَلْيُأْتَ إلى الخفي من الضمير: فالشُّنْعَةُ في القول، والذمُّ قد يُلزِم باضطرار، وقد يُلزم الأمرين معاً جميعاً، لأنهم أبداً يقولون خلاف ما يظهر من ضميرهم وما خفي»[3].

- موضع الصلات التناسبية (Lieu des rapports proportionnels). مثال ذلك: «حينما حاولوا إرغام ابن إيفقراطس [Iphicrate] على القيام بالخدمة العامة لأنه كان طويلاً، بالرغم من أن سِنّه كانت دون السن القانونية، قال إيفقراطس: إذا اعتبرتم الصِّبية الطوال رجالاً، فيجب عليكم أن تعتبروا الرجال القصار صبية»[4].

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 175.

[2]. نفسه.

[3]. أرسطو، **منطق أرسطو (الترجمة العربية القديمة)**، الجزء الثالث، ص 901-902. والمقصود بالجملة الأخيرة من هذا النص (فمن كان كلامه...): من يتكلم وفق رغباته ينبغي اقتياده إلى الآراء التي أعلن عنها، ومن يتحدث بحسب الآراء التي أعلن عنها ينبغي استدراجه إلى تلك التي يخفيها. ففي الحالتين سيسقطان في التناقض ما داما سيتكلمان إما بخلاف الآراء المُعلَن عنها، وإما بخلاف الآراء المضمرة.

[4]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 176.

- موضع التعارض (Lieu des incohérences). وهو صالح في التفنيد. يشرح أرسطو المقصود بهذا الموضع قائلاً إنه يقوم على: «البحث عن التناقض [التعارض] سواءٌ في التواريخ، والأفعال، والأقوال[1]، أوّلاً: بالنسبة للخصم، مثلاً: "يقول إنه يحبك، ومع ذلك فقد تآمر مع [الطغاة] الثلاثين"[2]، وبعد ذلك بالنسبة إلى حالتك أنت: "يقول إنني أحب المشاغَبات أمام المحاكم، لكنه لا يستطيع أن يُثبت أنني رفعت قضية ضد أحد من الناس"، وأخيراً بالنسبة إلى خصمك وإليك أنت معاً: "إنه لم يُقرض فلساً لأحد، لكني أنا دفعت فدية لكثيرين منكم"»[3].

- موضع العلة (Lieu de la cause). يقول أرسطو موضّحاً: «إذا وُجدت العلة، وُجد المعلول، وإذا لم توجد العلة، لم يوجد المعلول، لأن المعلول يوجد مع العلة، وبدون العلة لا يوجد شيء. مثلاً: ليودامس [Léodamas]، وهو يدافع عن نفسه ضد اتهام تراسوبولس [Thrasybule] له بأن اسمه كان منقوشاً في السجل الشائن القائم في الأكروبولس [L'Acropole] لكنه مَحاه في عهد [الطغاة] "الثلاثين"، رد بأن هذا مستحيل، لأن "الثلاثين" كانوا سيكونون أكثر ثقة به لو كان بُغضه للشعب منقوشاً على الحجر»[4].

بالنسبة للمواضع الخاصة، من المعلوم أن أرسطو قسّمها بحسب الأجناس الخَطابية عنده؛ وهي الجنس الاستشاري والجنس القضائي والجنس الاحتفالي.

فمن المواضع الخاصة بالجنس الاستشاري:

- يُعتبر خيراً كلُّ شيء يكونُ ضدُّه شرّاً.

- كل ما يكون ضدُّه نافعاً للأعداء هو خير (مثلاً: من المفيد للأعداء أن نكون جبناء، فالشجاعة إذن مفيدة لنا).

- ما ليس مفرطاً هو خير، لكنّ ما هو أكبر مما ينبغي هو شر.

---

[1]. لم يذكر عبد الرحمن بدوي هنا "الأماكن"، وقد وردت في بعض الترجمات الفرنسية.

[2]. استعمال ضمير المخاطَب المفرد في "يحبك" يجعل المعنى غامضاً. الأَوْلى استخدامُه في الجمع: "يحبكم"، لأن الخطاب موجَّه، في رأينا، إلى الشعب، ويعمل على كشف التعارض بين ادعاء الخصم أنه يحب الشعب وبين تحالفِه مع الطغاة الثلاثين الذين أسقطوا النظام الديمقراطي في أثينا سنة 404 ق م وحكموها بيد من حديد قبل أن يتم إسقاطهم.

[3]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 178.

[4]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 179. والأكروبولس هضبة صخرية تقع وسط أثينا، شُيدت عليها عدة معابد. وكان يوجد فيها عمود من البرونز كانت تُنقش عليه أسماء الخونة.

- ما يشتاقه الكثيرون ويتنافس فيه الكثيرون خيرٌ.

- ما يُختار برويّة خيرٌ.

- ما تطلّب الحصولُ عليه عناءاً كبيراً أو مصاريف كثيرة هو خير [1].

تلك كانت مواضعَ متعلقة بالخيرات التي تكون موضع شك، وقد تطرق أرسطو لأخرى تتعلق بالخير الأفضل والأنفع؛ أي للمواضع التي تصلح حين يطرح الطرفان المتجادلان معاً أمرين منفعتُهما معترَف بها، فيتم النقاش حول أيهما أنفع. من هنا سيتحدث عن الخير الأكبر والنفع الأكثر. ومن بين المواضع التي عدّدها بهذا الصدد:

- إذا تجاوز أكبرُ فرد في صنف ما أكبرَ فرد في صنف آخر فإن الصنف الأول يتجاوز الصنف الثاني، وإذا تجاوز صنف صنفاً آخر فإن أكبر فرد في الأول يتجاوز أكبر فرد في الثاني. يمثل أرسطو لهذا الموضع بما يلي: «إذا كان الرجل الأكبر أكبر من أكبر امرأة، فإن الرجال بعامة سيكونون أكبر من النساء، وإذا كان الرجال بعامة أكبر من النساء، فإن أكبر رجل سيكون أكبر من أكبر امرأة، لأن زيادة الأصناف والأشياء الكبرى المحتواة فيها تتناسب فيما بينها» [2].

- إذا كانت "ب" نتيجة لـ "أ"، والعكس غير صحيح، فإن "أ" خير أكبر من "ب"، لأن النفع المستفاد مما هو نتيجة مُتَضَمَّن فيما عنه نتج. مثلاً: إذا كانت المعرفة (ب) نتيجةً للتعلم (أ)، لكن التعلم (أ) لا يلزم عن المعرفة (ب)، فإن التعلم (أ) خير أكبر من المعرفة (ب) [3].

- إذا كانت "ب" لا يمكن أن توجد أو تقع دون "أ"، والعكس غير صحيح، فإن "أ" أكثر خيراً من "ب". لأن «ما لا يحتاج إلى مساعدة أكثرُ استقلالاً، وتبعاً لذلك يكون أكثر خيراً» [4].

- إذا كان شيءٌ مبدأً أولَ والثاني ليس كذلك، وإذا كان شيءٌ علةً والثاني ليس كذلك، فالأول أكثر خيراً، لأنه «بدون السبب أو المبدأ الأول لا يمكن أن يوجد شيء أو أن يحدث» [5].

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 51-53 (1362ب-1363أ). وهذا الموضع يندرج ضمن ما سماه شاييم بيرلمان: حجة التبديد (L'argument de gaspillage). انظر:

- Perelman (Ch.) et Tyteca (O.), *Traité de l'argumentation*, p. 375.

[2]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 54 (1363ب).

[3]. نفسه، 55.

[4]. نفسه.

[5]. نفسه.

- إذا كان هناك مبدآن أوَّلانِ أو علتان، فإن ما ينتج عن الأعظم منهما يكون أعظم. وإذا كان هناك مبدآن أوّلان فإن مبدأ الشيء الأعظم أكبر، وإذا كان هناك علتان فَعِلّة الشيء الأعظم أكبر[1].

- الأمور الحقيقية أفضل من تلك المتعلقة بالرأي العام (والمقصود بالأمور المتعلقة بالرأي العام ما لا نكون مستعدين لفعله إذا كان هذا الفعل سيبقى مجهولاً عند الآخرين)، لذلك يفضّل المرء أن يتلقى المنفعة بدلاً من تقديمها، «لأن المرء يفضّل الأمر الأول حتى لو لم يلحظه أحد، بينما لا يختار إعطاء منفعة إذا كان من المحتمل ألا يلاحظها أحد وتظل مجهولة». من هنا، فأن يكون المرء ثريّاً خيرٌ أعظمُ من مجرد الظهور بمظهر الثراء[2].

- ما يكون ضدُّه أو الحرمانُ منه أعظمَ يكون خيراً أعظمَ. يمثّل عبد الرحمن بدوي لهذا الموضع قائلاً: «مثلاً أن يكون المرء أعمى أسوأ من أن يكون أطرش، ولهذا فإن الإبصار أفضل من السمع»[3].

- «الأشياء التي تكون عظمتها مرغوبة أكثر أو هي أنبل، ينبغي أن تُفَضّل. مثلاً: حدّة البصر أفضل من حدة الشم، لأن البصر أحسن من الشم»[4].

- «ما يُعَدُّ عزيزاً وحده، أو مصحوباً بأشياء أخرى، هو خير أعظم. لهذا فإن من يفقأ عين ذي عين واحدة ومن يفقأ عين ذي العينين لا يتساويان في الأذى (أو في العقاب)، لأن الشخص الأول سُلِبَ ما هو أعز عليه»[5].

وقد قدم أرسطو بعض المواضع التي تحتمل وجهي نظر مختلفتين كان يبرزهما معاً. من أمثلة هذه المواضع:

- «ما هو أندرُ أعظمُ خيراً مما هو أوفر، ولذا كان الذهب أعظمَ خيراً من الحديد، وإن كان أقلَّ نفعاً، لكن امتلاكَه أثمنُ، لأن من الصعب الحصول عليه. لكنْ مِن وجهة نظر أخرى فإنّ

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 56.
[2]. نفسه، 60-61 (1365ب).
[3]. نفسه، 56، هامش 4.
[4]. نفسه، 57 (1364أ).
[5]. نفسه، 61 (1365ب).

ما هو وافرٌ يَفضُل على ما هو نادر، لأن استعماله يكون أكثر، إذ "الوافر" يزيد على "النادر"، ومن هنا جاء القول: الماء هو الأحسن»[1].

- «ما هو أصعب في الحصول عليه أفضل مما هو أسهل، لأنه أندر. لكنْ من وجهة نظر أخرى، فإن ما هو أسهل أفضل مما هو أصعب، لأن طبيعته هي كما نريدها»[2].

- «وأحياناً يكون ما يشارك فيه الكل خيراً أكبر، إذ يكون من عدم التوفيق ألا يشارَك فيه. وأحياناً حين لا يشارك فيه أحد أو تشارك فيه قلة فقط، لأنه يكون أندر»[3].

ومن المواضع الخاصة بالجنس الاحتفالي نذكر هذه المواضع الخاصة بالمدح:

- ما يفعله المرء مستهدِفاً الشرفَ أكثرَ من ربح المال جميلٌ.

- الأمور التي لا يفعلها المرء من أجل نفسه جميلةٌ.

- ما يفعله المرء من أجل وطنه مُهمِلاً مصلحته الشخصية جميلٌ.

- الأمور التي يمكن للمرء أن يحصل عليها بعد وفاته بدلاً من الحصول عليها إبان حياته جميلة، لأن ما لدى المرء إبان حياته له طابع نفعي.

- كل ما هو مضاد لِما نخجل منه جميل، لأن ما نخجل منه قبيح.

- «كل أفعال البر جميلة لأنها منزَّهة عن الغرض»[4].

- ما يمدحه كل شعب على حدة ويعتبره جميلاً هو جميل. مثلاً: الشَّعر الطويل عند الإسبرطيين شيء جميل لأنه علامة على أن صاحبه حر[5].

فيما يتعلق بالمواضع الخاصة بالجنس القضائي، تناول أرسطو طبيعة دوافع الظلم وعددها، واستعدادات الأشخاص الذين يرتكبون الظلم، وطبائع من يطالهم الظلم واستعداداتهم، والفعل الأكثر ظلماً والأقل ظلماً. وهو ما لا يتسع المجال هنا لبسطه ولو باختصار[6].

---

[1]. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 56 (1364أ).
[2]. نفسه.
[3]. نفسه، 58 (1356أ).
[4]. نفسه، 65.
[5]. كل المواضع التي لم نضعها بين حاصرتين، ترجمناها بتصرف عن پيير شيرون، ص 194-196.
[6]. لمن يود الاطلاع على هذه المواضع يمكنه الرجوع إلى كتاب: **بلاغة الحجاج. الأصول اليونانية**، ص 290-297.

لائحة المصادر والمراجع

- أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الثانية، بغداد، 1986.

- أرسطو، **منطق أرسطو (الترجمة العربية القديمة)**، حققه وقدّم له عبد الرحمن بدوي، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، 1980.

- أفلاطون، **محاورة الدفاع**، ضمن: **محاكمة سقراط (محاورة "أوطيفرون"، "الدفاع"، "أقريطون")**، ترجمة د. عزت قرني، دار قباء، الطبعة الثانية، القاهرة، 2001.

- بنوهاشم (الحسين)، **بلاغة الحجاج. الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

- بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

- بيرلمان (شاييم)، **الإمبراطورية الخَطابية. صناعة الخطابة والحجاج**، ترجمة وتقديم وتعليق الحسين بنوهاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2022.

- شوقي (أحمد)، **مسرحيات شوقي**، الجزء الأول، مجنون ليلى، مُوفم للنشر، 1993.

- شوقي (أحمد)، **الشوقيات**، المجلد الأول، الجزء الثاني، دار اليوسف، 1987.

- **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، ع 3، بني ملال، المغرب، 2013.

- الولي (محمد)، «السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية»، ضمن كتاب: **الحجاج. مفهومه ومجالاته. دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**، الجزء الثاني، إعداد وتنسيق د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.

- الولي (محمد)، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، منشورات دار الأمان، الرباط، 2005.

- Aristote, *Les topiques*, trad. J. Tricot, Vrin, Paris, 1974.

- Aristote, *Rhétorique*, trad. C.-E. Ruelle, Le Livre de Poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991.

- Aristote, *Rhétorique*, trad. P. Chiron, GF Flammarion, Paris, 2007.

- Blanché (R.), *Le raisonnement*, P.U.F., Paris, 1973.

- Goyet (F.), *Le sublime du «lieu commun». L'invention rhétorique dans l'antiquité et à la renaissance*, Honoré Champion Éditeur, Paris, 1996.

- Pascal (B.), *De l'art de persuader*, in *Pensées de Pascal*, Charpentier Libraire-Éditeur, Paris, 1854.

- Perelman (Ch.) et Tyteca (O.), *Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique*, 3ème édition, Éditions de l'Université de Bruxelles, Bruxelles, 1976.

- Perelman (Ch.), «Logique et rhétorique», in *Rhétoriques*, Éditions de l'Université de Bruxelles, Bruxelles, 1989.

- Perelman (Ch.), *L'empire rhétorique. Rhétorique et argumentation*, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 1977.

- Tamine (J.G.-), *La rhétorique*, Armand Colin, Paris, 2002.



الخطابة الجديدة بوصفها مشروعا لتجديد العقلانية الفلسفية

عزيز قميشو[1]

إشكالية الانطلاق: التأسيس المنطقي لأحكام القيمة

أ) بحث 1945 حول العدالة

تعود جذور البرنامج البحثي لبيرلمان بالأساس إلى دراسةٍ أنجزها سنة 1944 حول مفهوم العدالة، ونشرها سنة 1945 تحت عنوان «De la justice»[2]. وقد كان موضوع تلك الدراسة هو التحليل المنطقي لمفهوم العدالة بهدف التوصل إلى تعريفٍ عقلي دقيق ومُحْكَم بشأنها، وبالتالي تجاوز الإشكالات التي تترتب عن اختلاف الناس وتباين تصوراتهم بصددها.

انطلق بيرلمان في تلك الدراسة، بعدما أشار إلى تعدد وتنوع المعاني التي ترتبط بمفهوم العدالة، من حصرٍ لائحةٍ محدودة من تلك المعاني تضم أشهر تعريفات العدالة، وهي كالتالي: لكلٍّ نفس الشيء؛ لكلٍّ حسب استحقاقه؛ لكلٍّ حسب أعماله؛ لكلٍّ حسب حاجاته؛ لكلٍّ حسب مكانته؛ لكلٍّ حسب ما يمنحه القانون[3]. وأمام هذا التباين في صياغة المضمون الملموس لمفهوم العدالة، اعتبر بيرلمان أن مهمة التحليل المنطقي هي أن يصِف وصفاً دقيقاً ما هو مشترك بين مختلف صيغ العدالة الملموسة، وذلك بغاية تحديد صيغة عامة للعدالة يمكن تحقيق الإجماع حولها[4]. كما اعتبر أن هذه الصيغة المشتركة بين تعريفات العدالة الملموسة لا يمكن أن تكون

---

[1]. أستاذ الفلسفة، جامعة محمد الخامس (الرباط)، المغرب.

[2]. نُشرت هذه الدراسة أول مرة في:

La collection des Actualités sociales, Nouvelle série, Université Libre de Bruxelles, Institut de sociologie Solvay, Bruxelles, Office de Publicité, 1945.

وأعيد نشرها مرة ثانية في كتاب:

Justice et raison, Éditions de l'Université de Bruxelles, 2ème éd., Bruxelles, 1972 (1ère éd. 1963), pp. 9-80.

ونحن نحيل إليها هنا من خلال نشرتها الثالثة في:

Éthique et droit, Éditions de l'Université de Bruxelles, 2ème éd., Bruxelles, 2012, pp. 23-94.

[3]. بخصوص معاني هذه التعريفات، انظر:

Perelman (Ch.), «De la justice», *Éthique et droit*, pp. 30-33.

[4]. نفسه، 35. هذا الاختيار المنهجي يعني رفض موقفين آخرين ممكنين إزاء تبايُن تصورات العدالة: الموقف الأول يتمثل في القول بأن تصورات العدالة المختلفة لا تشترك بالمطلق في أي شيء، بينما يتمثل الموقف الثاني في انتقاء أحد تلك التصورات ومحاولة إثبات كونه التصور الوحيد الصحيح والمقبول (ص 34). وسبب اعتماد هذا الاختيار هو أن بيرلمان، بسبب تأثره في تلك المرحلة بـ"Ch. L. Stevenson" (أُنظر مقال هذا الأخير: "Persuasive definition" المنشور في مجلة "Mind" الشهيرة بتاريخ يوليوز 1938)، كان ينظر إلى المفاهيم الأساسية التي تزخر بها المباحث الفلسفية (العدالة، الفضيلة، الحرية، الخير، الجمال، الواجب، الخ) بوصفها مفاهيم مثقَلة

سوى صيغة صورية أو مجردة تتضمن عنصراً غير محدَّد بحيث ينتج عن تحديد هذا العنصر تحديداتٍ مختلفة. ولتحصيل هذه الصيغة، انطلق بيرلمان من كون الناس يتفقون عموما على أن مفهوم العدالة يحيل بالضرورة إلى فكرة المساواة[1]، واعتبر أن هذا الاتفاق يسمح بتعريف العدالة الصورية أو المجردة بوصفها «مبدأ عمليا يَلزم بموجبه معاملةُ الكائنات التي تنتمي إلى نفس الفئة الجوهرية معاملة متماثلة»[2].

إن هذا التعريف، طالما أنه لا يُحدِّد متى يكون كائنان منتميين إلى فئة جوهرية وطالما أنه لا يُحدِّد أيضا نوع المعاملة التي يتوجب تخصيصها لهما، يترك الباب مشرعا لكل أنواع التعارض بشأن العدالة الملموسة، لكن هذه الأنواع من التعارض لا تمنع الاتفاق حول الجزء الصوري للعدالة[3]. وبالتالي يمكن القول إن مفهوم العدالة الصورية قد أصبح واضحا ودقيقا، وبأن طابعه العقلي قد تم إبرازه بكامل الجلاء. وهذا يعني أن التحليل المنطقي قد نجح جزئيا في حل مشكل العدالة[4].

بيد أن هذا التحديد المنطقي للعدالة الصورية لا يَحُل بتاتا مشكل المضمون الملموس للعدالة، أي أنه لا يسعفنا نهائيا ولا يقدم لنا أي عون عندما نحاول تطبيقه في نازلة ملموسة ومحددة. لماذا؟ لأن تطبيق قاعدة العدالة الصورية يقتضي التحديد المسبق للكيانات والفئات التي يمكن اعتبارها متماثلة جوهريا، ولأن هذا التحديد المسبق لا يتأتى إلا بالاستناد على سلّمٍ للقيم يميز بين ما هو أساسي ويجب الاحتفاظ به وأخذه بعين الاعتبار، وما هو ثانوي وبالتالي

بمضمون وجداني/عاطفي (un contenu émotif)، ويعتبر أن هذه الصبغة الوجدانية هي ما يمنع في مجال المباحث الإنسانية، وفي مجال الفلسفة بالخصوص، من تحقيق الاتفاق حول "الدلالة المفهومية" (le sens conceptuel). لقد لاحظ بهذا الخصوص أن العلوم لم تنجح في الانفصال عن الفلسفة إلا بعدما توسلت بمناهج دقيقة حررتها من "الدلالة الوجدانية" اللصيقة بالألفاظ، ووجَّهتها نحو التركيز أكثر على دلالاتها المفهومية، ونحو تحقيق اتفاق العقول حول هذه الدلالات بالتحديد (ص 26). بعبارة أخرى، فإن نموذج العلوم يبين أنه كلما حصل المعنى المفهومي على قدر أكبر من الثبات والدقة تَقِلُّ المجادلات حول الألفاظ وتضعف حمولتها الوجدانية ويتراجع تأثيرها على العقول. وهذا يعني أن تقليص الوقع الوجداني لمفهوم ما يقتضي السعي إلى تحقيق الاتفاق بخصوص دلالته المفهومية، وأن التحليل المنطقي لمفهوم العدالة تحديداً لن يكون مثمرا إلّا إذا سار في هذا الاتجاه.

[1]. «La notion de justice suggère à tous inévitablement l'idée d'une certaine égalité. Depuis Platon et Aristote, en passant par saint Thomas, jusqu'aux juristes, moralistes et philosophes contemporains, tout le monde est d'accord sur ce point». «De la justice», p. 36.

[2]. «Un principe d'action selon lequel les êtres d'une même catégorie essentielle doivent être traités de la même façon». *Ibid,* p. 40-41.

[3]. نفسه، 41.

[4]. نفسه، 55.

يمكن إغفاله وإهماله[1]. وبعبارة أخرى، فإن العدالة الملموسة تتوقف دائما وبالضرورة على نظامٍ معياري يحدّد ما يصلُح ويصح ويميزه عما لا يصلح ولا يصح. لكن المشكل الذي يعترضنا في هذا المقام هو أن كل نظام معياري يتضمن مجموعة من المبادئ العامة التي تؤول في نهاية المطاف إلى قيمة مرجعية كبرى تُشتق منها كل القواعد والواجبات، وهذه القيمة المرجعية الكبرى ليس لها أساس لا في المنطق (لأنها هي أساس المنطق الداخلي لذلك النظام المعياري) ولا في الواقع (لأن ذلك النظام الذي يرتكز عليها هو نظام معياري يحدد ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن)[2].

هكذا وصل مشروع توضيح مفهوم العدالة بواسطة التحليل المنطقي إلى نهايته، وتجلت محدوديته وتَبَيَّن قصوره. فطالما أن كل نسقٍ للعدالة يقوم على قيمٍ أساسية تُمثّل الاعتباطيةُ صفةً جوهرية من صميم طبيعتها، فإن كل جهد منطقي يروم استبعاد هذه الاعتباطية من معيار العدالة سيتوقف بالضرورة عند قيمة (أو قيم) أولية اعتباطية[3]. وبالتالي فإنه يستحيل منطقيا تفادي هذه الاعتباطية التي تَسِم الأساس القيمي الذي يرتكز عليه كل نسق معياري، أي أنه يستحيل تجاوز الاعتباطية التي تَسِم كل اختيار أو مفاضلة في مجال القيم[4]. وهذا يعني أن التحليل المنطقي عاجز في نهاية المطاف عن تقديم تعليل عقلاني يسمح بتسويغ حكمٍ عملي من قبيل الحكم الذي يتعلق بتطبيق قاعدة العدالة. ويترتب عن ذلك، بالنسبة لبيرلمان، أنه لا وجود لعدالةٍ مطلقة، أي أنه لا وجود لعدالةٍ تجد لها في العقل تأسيساً تامّاً وتسويغاً كاملا[5].

ب) النتائج المستخلصة من دراسة "في العدالة"

في العنوان السابق، استعرضنا الخطوط العريضة لتطبيق بيرلمان لمنهج التحليل المنطقي على مفهوم العدالة. وننتقل الآن إلى مسألتين محددتين: الأولى تتعلق بأساس ودلالة تطبيق

---

[1]. «On ne peut dire quelles sont les caractéristiques essentielles, c'est-à-dire celle dont on tient compte pour l'application de la justice, sans admettre une certaine échelle de valeurs, une détermination de ce qui est important et de ce qui ne l'est pas, de ce qui est essentiel et de ce qui est secondaire», «De la justice», p. 53.

[2]. «Cette valeur n'a de fondement ni dans la logique, ni dans la réalité [...] La valeur n'est ni universelle ni nécessaire: elle est, logiquement et expérimentalement, arbitraire», *Ibid.,* p. 85.

[3]. نفسه، 85.

[4]. «La seule exigence qu'on pourrait formuler à l'égard de la règle, c'est qu'elle ne soit pas arbitraire, mais qu'elle se justifie, qu'elle découle d'un système normatif.

Mais un système normatif, quel qu'il soit, contient toujours un élément arbitraire, la valeur qu'affirment ses principes fondamentaux qui, eux, ne sont pas justifiés. Ce dernier arbitraire, il est logiquement impossible de l'éviter». *Ibid.,* p. 94.

[5]. «Il n'existe pas de justice absolue, entièrement fondée en raison». *Ibid.,* p. 91.

منهج التحليل المنطقي في مجال الفلسفة عموما وفي مجال دراسة مفهوم العدالة خصوصا، والثانية تتعلق بالنتائج المترتبة عن ذلك التطبيق.

تناول بيرلمان المسألة الأولى في مقال نشره سنة 1947 حول «المنهج التحليلي في الفلسفة»[1]. في هذا المقال، ينتقد بيرلمان فكرة الفلسفة "العلمية" التي تُحدّد دورها وتحصره في التحليل المنطقي لمشكلات اللغة، ويبين أن الحمولة الوجدانية التي تنطوي عليها المفاهيم الفلسفية الكبرى تمنع تعريف هذه الأخيرة دون الاستناد على أحكامٍ قيمة. لكنه يعتبر في المقابل أن الفلسفة إذا كانت ترتكز بالضرورة على أحكامٍ قيمة وبالتالي أنها، في حدود معينة، ذات طبيعة لا عقلانية، وإذا كان من المتعذر تقديم تعريف تحليلي لمفاهيم الفلسفة الكبرى، فإن ذلك كله لا يستدعي الحكمَ على المنهج التحليلي في الفلسفة بالفشل النهائي، بل يعني فقط أن هذا المنهج يَلزمه عدم الخوض في النقاشات التي تنطوي على أحكام قيمة، وبالتالي يَلزمه أن يتخذ شكل دراسةٍ متدرجة تمر عبر ثلاث مراحل، هي: أ) استقصاء التصورات المختلفة لمفهومٍ معين، ب) البحث عن بنيةٍ مشتركة بين جميع تلك التصورات، ت) فحص الطريقة التي يمكن بواسطتها تحصيل تلك التصورات المختلفة انطلاقاً من البنية المشتركة التي سبق استخلاصها. إذ بهذا المعنى، لن يكون المنهج التحليلي فاقداً للجدوى، بل ستكون له أهمية قصوى في الفلسفة، لأنه يتيح لمن يريد أن يظل عقلانيا في توجهه أن يستخلص من الفلسفة عناصر قابلة للدراسة الموضوعية المتدرجة التي تسمح بتكوين معرفة مشتركة.

أما بخصوص المسألة الثانية المتعلقة بالنتائج المترتبة عن تطبيق المنهج التحليلي في الفلسفة عموما وعن الدراسة الأولى التي أنجزها بيرلمان عن العدالة خصوصا، فإننا نجد التوضيحات الضرورية بشأنها في كتاباته التي تعود إلى الفترة الزمنية اللاحقة لتلك التي أشرنا إليها سابقا (أي بعد الفترة الممتدة من 1945 إلى 1947).

يقول بيرلمان، في مقدمة كتابه **العدالة والعقل** (*Justice et raison*)، إن توظيف المنهج التحليلي يهم ويفيد بالأساس الفيلسوف الذي يَعُدّ نفسه «عقلانيا ووضعيّاً»[2]. ويُعرّف النظرية الوضعية، في كتابه **المنطق القانوني** (*Logique juridique*)، بكونها نظرية لا تقبل أن تُشتق أحكام

[1]. «De la méthode analytique en philosophie», *Revue philosophique de la France et de l'Etranger*, pp. 34-46, repris dans *Justice et raison*, pp. 81-94.

[2]. *Justice et raison*, p. 6.

القيمة من أحكام الواقع، وتَعتبر الانتقال من هذه إلى تلك منافيا للعقل لأن المنطق لا يجيزه[1]. وبعد ذلك، يوضح أن المنهج الذي كان قد استعمله في بحثه الأول عن العدالة هو منهج تحليلي استلهمه من التصور الوضعي الآنف الذكر[2]. وبما أن تطبيق هذا المنهج على مفهوم العدالة كان قد قاده إلى الخلاصة التي مُفادها أن عالَم القيم يظل، من حيث طبيعته وأساسه، عالما لا معقولا، فإن بيرلمان يستنتج من ذلك أن الموقف الوضعي - الذي ينتهي إلى الاكتفاء بمعاينة الاعتباطية التي توجد في قاعدة كل نسق معياري (أي في أساس كل نسق فكري يتوجه نحو الممارسة والعمل) - يؤدي بالضرورة إلى نفي إمكانية الاستدلال العقلي في مجال القيم[3]. بعبارة أخرى، فإن الركون إلى الموقف الوضعي وإلى المنهج الذي يُستوحى منه يجعلنا نستبعد تماما إمكانية القيام باختيار أو اتخاذ قرار على أساس الاستعمال العملي للعقل. يتبين إذن أن تحديد النظرية الوضعية لأحكام القيمة بوصفها أحكاما اعتباطية (غير مؤسسة عقليا/منطقيا) يُمثّل تخليّا عن كل فلسفة عملية، لأنه يعني أن نترك للأهواء والمصالح، وللعنف في نهاية المطاف، مهمة حلّ المشاكل المتعلقة بالسلوك الإنساني عموما، وبالممارسة الجماعية خصوصا، أي جميع المسائل التي اختصت بدراستها مباحث الفلسفة الأخلاقية والقانونية والسياسية[4]. وباختصار، فإن الموقف الوضعي، حسب بيرلمان، يقود حتما إلى حصر دور المنطق والمناهج العلمية، وبالتالي حَصْر مهمة العقل في نطاق مشكلات المعرفة التي هي مشكلات نظرية محضة.

يعتبر بيرلمان إذن أن النظرية الوضعية تؤدي، في مجال الفلسفة، إلى تضييق تصورنا للعقل والمنطق، وأن هذا التضييق يتجلى في سجن الاستدلال العقلي داخل توجه نظري محض

---

[1]. «La théorie positiviste admettait qu'un raisonnement pouvait conclure à un jugement de valeur ou à une norme, mais à condition qu'un jugement de valeur ou une norme figure dans l'une des prémisses. Mais elle n'admettait pas, et ceci depuis les analyses de Hume, qu'un jugement de valeur, ou une norme, pût être dérivée d'un jugement de fait. Le passage d'un jugement de fait à un jugement de valeur, de l'être au devoir être, ne pouvait pas être rationnel, car il ne relevait pas de la logique. Il fallait, par conséquent, admettre l'existence de jugements de valeur ou de normes primaires, de principes non-dérivés, expression de la volonté ou de l'émotion subjective du sujet qui les pose. C'est là une thèse commune à tous les positivistes, depuis Hume jusqu'à Ayer [...]»., *Logique juridique*, pp. 99-100.

[2]. *Ibid.*, p. 100, *Cf.* aussi *L'empire rhétorique*, p. 7: «Il y a près de trente ans, une étude sur la justice, entreprise dans un esprit positiviste...».

[3]. «Si quelqu'un considère qu'une règle est injuste [...] aucune technique rationnelle ne me paraissait capable de résorber l'opposition, il n'y avait qu'à l'enregistrer. Etant donné la pluralité des valeurs, leur fréquente incompatibilité, et leur caractère arbitraire, le raisonnement était incapable, me semblait-il, de départager les antagonistes. Dans une pareille perspective, une analyse scrupuleusement menée devrait se borner à mettre en évidence les désaccords, les diverses valeurs sous-jacentes aux divers systèmes». «Cinq leçons sur la justice», *Droit, morale et philosophie*, p. 46.

[4]. *Logique juridique*, p. 101, «S'ils renoncent au rôle dirigeant de la raison dans l'action, les hommes ne peuvent opérer des choix et justifier des décisions qu'en les fondant sur des intérêts et des passions, dont le conflit ne pourrait se régler, en dernier ressort, que par le recours à la force et l'usage de la violence». *Justice et raison*, p. 6.

واستبعاد القضايا العملية من مجال المنطق وردها إلى دوافع نفسية ذاتية خالصة. كما يعتبر أن هذا التصور النظري المحض للعقلانية يؤدي بدوره لا محالة إلى استبعاد فكرة الاختيار الواعي/المعقلَن وفكرة القرار المعلل/المسوغ وبالتالي استبعاد فكرة التأسيس العقلاني لأحكام القيمة. بعبارة أخرى، فإن النزعة الوضعية تؤدي في مجال الفلسفة إلى تصور ضيق للعقل يمنع أي استعمال عملي لهذا الأخير، وبذلك فإنها تنتهي إلى ترك مجال الفعل/العمل الإنساني نهبا للاعتباطية (المصالح والأهواء) والعنف.

إن هذا التحديد للنزعة الوضعية في الفلسفة، وكذا الوعي العميق بانعكاساتها على مجال الممارسة الإنسانية، يمثلان نقطة الانطلاق المركزية لكل المشروع البحثي لبيرلمان. ولذلك نجده، في مواضع كثيرة من كتاباته، يقيم صلة مباشرة بين عدم رضاه عن نتائج التصور الوضعي وانخراطه القوي في البحث عن ضرب من العقلانية يكون قادرا على شمول مجال القيم. في كتابه **المنطق القانوني** مثلا، وفيما يشبه شهادة عامة على المسار الذي وجّه إليه كل أعماله، يصرّح بيرلمان قائلا: «بالنسبة لي شخصيا، فقد سعيت دائما إلى توسيع دور العقل»[1]. وفي كتابه «إمبراطورية الخطابة»، يحدد قصده أكثر ويقول بصريح العبارة أن موقف الوضعيين المتشكك هو تحديداً ما دفعه إلى الانكباب على البحث عن منطقٍ لأحكام القيمة يسمح بتوسيع المنطق والعقل ليشمل مجال الفعل الإنساني[2].

من "منطق أحكام القيمة" إلى "الحجاج": العودة إلى الخطابة والجدل

أثناء سعيه إلى توسيع المنطق من خلال البحث عن منطقٍ لأحكام القيمة يكون بمثابة مكمّل/متمّم للمنطق التحليلي، ظن بيرلمان في مرحلة أولى (حوالي 1947) أن بإمكانه العثور على هذا المنطق الخاص بأحكام القيمة في أعمال مجموعة من الإبستمولوجيين الذين كانوا ينشرون بحوثهم في مجلة *Dialectica* التي أسسها فرديناند كونزيت (Ferdinand Gonseth). لكن سرعان ما تبين له أن أعمال فريق كونزيت كانت تنصب على تحليل المعرفة العلمية فقط، وأن لها علاقة وثيقة بالنظريات الرياضية والفيزيائية، وبالتالي فهي لا تفيد كثيرا من يهتم بمجال القضايا العملية، أي بمجال القيم. وهكذا استبعد بيرلمان إمكانية تأسيس منطق أحكام القيمة على إبستمولوجيا العلوم الدقيقة. من جهة ثانية، وبالرغم من أن رفضَه لنموذجية العلوم الرياضية والطبيعية يجعله يلتقي مع الذين كانوا منذ نهاية القرن 19 الميلادي يدافعون عن

---

[1]. «Personnellement, j'ai toujours cherché à étendre le rôle de la raison», *Logique juridique*, p. 100.

[2]. «La réponse sceptique des positivistes m'ayant laissé insatisfait, je me suis mis en quête d'une logique des jugements de valeur», *L'empire rhétorique*, p. 8.

خصوصية العلوم الإنسانية، فقد اعتبر أن هذه الخصوصية لا يمكن إدراكها هي أيضا من منظورٍ إبستمولوجي محض. السبيلُ الآخر الذي استبعده بيرلمان أثناء بحثه عن منطق جديد يختص بمجال القيم العملية هو الذي يمثله المؤلَّف الذي كان إدموند غوبلو (Edmond Goblot) قد أصدره سنة 1927 تحت عنوان **منطق أحكام القيمة** (*Logique des jugements de valeur*)، وقد كان مبرره في ذلك الاستبعاد هو أن هذا المؤلَّف لا يدرس سوى أحكام القيمة المشتقة، أي الأحكام التي تتعلق فقط بتحديد الوسائل الأنسب لتحقيق غاية معينة، وأغفل تماما الاستدلالات التي تتعلق بتسويغ وتعليل أفعال التفضيل والترجيح بين الغايات ذاتها.

أمام انسداد كل هذه السبل وفشل جميع المحاولات التي قامت عليها، لجأ بيرلمان إلى غوتلوب فريجه (Gotlob Frege) الذي كان قد نجح، قبل حوالي قرن من ذلك، في وضع أسس المنطق المعاصر انطلاقا من فحصٍ دقيق وتحليل ملموس ومفصَّل لأدوات وتقنيات الاستدلال التي يستعملها الرياضيون في براهينهم. نجاحُ تقنية فريجه في استخلاص المنطق الصوري المعاصر بطريقة تجريبية من مضامين البراهين الرياضية جعل بيرلمان يفترض أن اعتماد هذا التقنية ونقلها إلى مجال الاستدلالات العملية يمكن أن يحقق له نفس النجاح فيمكّنه من استخلاص منطق أحكام القيمة الذي يبحث عنه. هذه الفرضية قادته إلى الشروع، منذ 1947 وبعون كبير من مساعدته أولبريخت تيتيكا (Olbrechts-Tyteca)، في دراسة عميقة وواسعة ومفصلة لأنماط الاستدلال المختلفة التي تنطوي على أحكام قيمة. وقد تمثلت هذه الدراسة في تحليلات ملموسة لنصوص متنوعة (مؤلفات فلسفية، مقالات سياسية، مصنفات في الأخلاق وفي الجماليات...الخ)، وانصبت على الاستدلالات المستعملة من طرف أهل الإشهار في جرائدهم، والسياسيين في خطبهم، والمحامين في مرافعاتهم، والقضاة في أحكامهم والفلاسفة في مصنفاتهم. وكانت نتيجة هذا التنقيب هي أن الاستدلال في هذه المجالات المفحوصة، أي في المجالات التي تشهد تضاربا في الآراء، لا يتخذ صورة استنباطات صحيحة صوريا ولا شكلَ استقراءات تنتقل من الخاص إلى العام، بل يتمثل في هيئة حجاج متنوع الأشكال، غايته إقناع العقول بالأفكار (الأطروحات أو الدعاوى) التي تُقدَّم لها وتُعرَض أمام نظرها. وقد مثّلت هذه النتيجة بالنسبة لبيرلمان "اكتشافاً غير متوقع"، لأنه لم يكن يتصور أن المنطق الذي يحكم مجال القيم سيكون هو المنطق الحجاجي الذي يختلف في طبيعته عن المنطق الصوري، ولأنه اكتشف أيضا أن نظرية الحجاج - وهي التي كانت منسية تماما في زمانه - كانت أمراً معروفاً جدّاً لدى القدماء

عموماً ولدى أرسطو خصوصاً[1]. وبشكل ملموس، فإن ذلك يعني أن منطق أحكام القيمة قد سبق القدماءُ إلى تطويره ضمن مبحث عريق هو مبحث الخطابة التي نظر إليها القدماء بوصفها فنّاً للإقناع. وهكذا أصبح للمشروع البحثي لبيرلمان غاية جديدة. فبعد أن كانت غايته هي إيجاد منطقٍ لأحكام القيمة، سيوجّه بيرلمان كل مشروعه الفكري، على إثر "الاكتشاف غير المتوقع" الذي أشرنا إليه، نحو هدف جديد هو إحياء الخطابة الأرسطية. لكن ما المقصود تحديدا بإحياء الخطابة الأرسطية؟

في مدخل مؤلفه **مصنف الحجاج**، يقول بيرلمان إن ما يهمه بالأساس هو صنف الأدلة التي يسميها أرسطو "الأدلة الجدلية" والتي فحصها في مؤلفه **الطوبيقا** ووضَّح استعمالاتها في **الريطوريقا (الخطابة)**[2]. يتضح من هذا القول أن استعادة الخطابة لا تمثل أمرا ضروريا إلا من حيث إنها تسمح بدورها باستعادة نوع مخصوص من الاستدلال هو الاستدلال الجدلي. من جهة أخرى، يعتبر بيرلمان أن إحالته على أرسطو هي في الحقيقة إحالة على تراث فكري أوسع بكثير، هو كل ذلك التراث الذي تعكسه اهتمامات وانشغالات رجال عصر النهضة ومن ورائهم جميع المؤلفين اليونانيين واللاتينيين الذين درسوا فن الإقناع وتقنيات المشاورة والنقاش، وكتبوا مصنفات تحمل عنوان "الخطابة" أو "الجدل"[3]. يتضح إذن أن ما يستهدفه بيرلمان، عبر إحياء مبحث الخطابة، هو في الواقع استعادة كل التقليد الحجاجي/الجدلي وكل تراث فن المشاورة والنقاش. ومن هذا المنظور، فإن العودة إلى أرسطو لا تعدو كونها عودة إلى من يُعتبر "الأب المؤسس" الذي دشن ووضع معالم منهج واعد للعقلانية العملية.

لكن ما مرتكزات ومميزات هذا المنهج؟ بعبارة أخرى، ما مميزات ومرتكزات التصور الأرسطي للمنطق والعقل والعقلانية؟

جواب بيرلمان نجده في مقطع بالغ الأهمية ورد في كتاب **إمبراطورية الخطابة**، يقول فيه إن أرسطو يميز بين نوعين من الاستدلالات، هما الاستدلالات التحليلية والاستدلالات الجدلية، وبأن الدراسة التي خص بها النوع الأول [في مصنَّفَيه: **التحليلات الأولى (كتاب القياس)**

---

1. «Le résultat de l'analyse a été inattendu: j'ai constaté que, quand il s'agit des valeurs, quand il s'agit de délibérer avant d'agir, le raisonnement prend la forme d'une argumentation. Ce qui m'a paru une révélation au moment même, car la théorie de l'argumentation — bien oubliée à notre époque — j'ai pu le constater très vite, était chose bien connue des Anciens et spécialement d'Aristote», «L'idéal de rationalité et la règle de justice». *Éthique et droit*, p. 142.

2. «Notre analyse concerne les preuves qu'Aristote appelle dialectiques, qu'il examine dans ses *Topiques* et dont il montre l'utilisation dans sa *Rhétorique*». *Traité de l'argumentation*, p. 6.

3. *Logique juridique*, p. 101.

والتحليلات الثانية (كتاب البرهان) قد جعلته يحمل عبر تاريخ الفلسفة لقب مؤسس المنطق الصوري. لكنه يضيف أن المناطقة المحدثين أغفلوا، لأنهم لم يدركوا أهمية ذلك، أن أرسطو قد درس الاستدلالات الجدلية في مصنفات أخرى من الأورغانون [**في الطوبيقا (الجدل) والريطوريقا (الخطابة)** و**السفسطة (التبكيتات السفسطائية)**]، وأنه بذلك يستحق أن يُعتبر أيضا مؤسساً لنظرية الحجاج[1].

يتبين من هذا القول لبيرلمان أن خصوصية التصور المنطقي الأرسطي تتمثل بالأساس في التمييز بين الاستدلال التحليلي والاستدلال الجدلي الذي هو في نهاية المطاف تمييز بين المنطق الصوري ونظرية الحجاج، أي في كون أرسطو لا يختزل الاستدلال العقلي (نشاط/فعل العقل) في القياس البرهاني، ولا يحصر المنطق بأكمله (نظرية العقل) في المنطق الصوري. فما يميز الأورغانون الأرسطي إذن هو بالتحديد تضمنه لتصورٍ مُوسَّع للعقل والمنطق، أي تضمنه لعقلانية موسعة تعترف بشكلين متمايزين لاستخدام العقل ويتكامل فيها المنطق البرهاني مع المنطق الجدلي.

هل يوجد لدى أرسطو تصور موسَّع للعقل؟

لقد رأينا سابقا أن إعادة اكتشاف الحجاج هو في الواقع إعادة اكتشاف للخطابة والجدل الأرسطيين. لكننا رأينا أيضا أن اللقاء مع أرسطو هو في نظر بيرلمان لقاء مع تصور موسَّع للعقل والمنطق، أي مع ذلك التصور الذي يعتبر أننا لا نستخدم العقل عندما نبرهن فقط، بل أيضا عندما نحاجج. ونشير الآن إلى أن بيرلمان قد كان واعيا تماما بأن ما يقدمه هنا هو تأويل عام للأرسطية، وبأن ما يطالب باستعادته وإعادة إحيائه هو هذه الأرسطية بالتحديد، أي الأرسطية كما يحددها ذلك التأويل الذي يرى فيها عقلانية موسَّعة تَعتبر أن العقل يمارس نشاطه إما بطريق البرهان وإما بطريق الحجاج.

إن هذا التأويل هو الذي نريد الآن أن نسلط عليه الضوء. ومن أجل ذلك، يجب التذكير أولاً بأن الإشكال الدقيق الذي يثيره هذا التأويل هو موقع الجدل داخل التصور الأرسطي العام

---

[1]. «Aristote a distingué, dans son *Organon*, deux espèces de raisonnements, des raisonnements analytiques et des raisonnements dialectiques. L'étude qu'il a entreprise de ceux-là dans les *Premiers* et les *Seconds analytiques*, lui a valu d'être considéré, dans l'histoire de la philosophie, comme le père de la logique formelle. Mais les logiciens modernes ont perdu de vue, parce qu'ils n'en avaient pas perçu l'importance, qu'il avait étudié les raisonnements dialectiques dans les *Topiques*, la *Rhétorique* et les *Réfutations sophistiques*, ce qui fait de lui, également, le père de la théorie de l'argumentation». *L'empire rhétorique*, p. 15.

للاستدلال العقلي. وهذا الإشكال يمكننا أن نصوغه من خلال الأسئلة التالية: هل كان أرسطو يعتبر أن البرهان التحليلي هو الصورة المشروعة الوحيدة للاستدلال والسبيل الوحيد للمعرفة الحقة، أم أنه كان يتصور وجود بعض المجالات وبعض الحالات التي يصبح فيها الجدل أداة ضرورية من أجل التوصل إلى حل عقلاني لمسائلها ومشكلاتها؟ وهل كان يَشترط دائما في كل معرفة أن تبلغ بالضرورة درجة اليقين البرهاني، أم أنه كان يأخذ على محمل الجد الصعوبة التي تواجهنا أحيانا، بل ربما تواجهنا غالبا، في إدراك هذه الدرجة وتحصيل تلك المعرفة، وأنه بالتالي كان يكتفي، في مثل هذه السياقات، بمعرفةٍ هي بكل تأكيد غير كاملة لكنها الوحيدة الممكنة؟ وبعبارة موجزة، هل تلغي التحليلات الطوبيقا وتتجاوزها (هل يلغي البرهان الجدل ويتجاوزه)؟

إن هذا الإشكال، المتعلق بطبيعة ووظيفة الجدل، هو واحد من المسائل التي أثارت خلافات عميقة بين المختصين في الفلسفة الأرسطية، حتى أن كبار الدارسين والمترجمين المعاصرين للمتن الأرسطي لا يزالون إلى اليوم يجعلون منه أحد الموضوعات الأساسية لسجالاتهم النظرية. وبالنظر إلى ذلك، فإننا نعتبر أن تقييم تأويل بيرلمان للمنطق الأرسطي لا يمكن أن يفضي، في ظل تباين وجهات نظر المختصين، إلى حُكْم نهائي. وكل ما يمكن القيام به في هذا الصدد هو مقارنة هذا التأويل مع التوجه الذي سارت فيه الدراسات المعاصرة للفلسفة والمنطق الأرسطيين، من أجل تبين مدى توافقه أو تعارضه معها.

في كتابه **الجدل الأرسطي**، يميز إيفان بيلوتيي (Yvan Pelletier) بين مرحلتين تاريخيتين كبريين في تلقي وتأويل طوبيقا أرسطو. في المرحلة الأولى التي امتدت إلى حدود القرن 19 الميلادي، كان يتم الاكتفاء عموماً بتعليقات وشروحات تعيد صياغة أفكار أرسطو حرفيا دون محاولة النفاذ إلى ما يشكّل جوهر الموضوع، أي تحديد ماهية الاستدلال الجدلي وتعريف المفاهيم الأساسية للمنهج الجدلي[1]. في المرحلة الثانية التي انطلقت مع العمل الرائد الذي نشره أوجين

[1]. «Les commentaires anciens – même parmi les meilleurs, tels ceux d'Alexandre d'Aphrodise et de saint Albert le Grand – ou plus récents – comme ceux de Pacius (1605), de Sylvestre Maurus (1668), de Waitz (1844-46) et de bien d'autres – ne représentent pas bien plus qu'une paraphrase de la lettre d'Aristote. On y rencontre plusieurs explications utiles, notamment l'étude détaillée de chaque lieu, mais presque jamais les commentateurs ne s'attardent à déterminer la nature propre du raisonnement probable et, par suite, de la méthode dialectique, non plus qu'à en définir et à en expliquer plus que superficiellement les principes essentiels». *La dialectique aristotélicienne*, p. 10-11.

ثيونفيل Thionville (Eugène) سنة 1855[1] وبالخصوص مع الدارسين المعاصرين، بدأ البحث يتعمق أكثر فأكثر ويتجه نحو استقصاء وتعريف المفاهيم المركزية للطوبيقا الأرسطية.

بخصوص هذه الدراسات المعاصرة تحديدا، يميز بيلوتيي بين توجهين أساسيين. التوجه الأول هو الذي بنى تأويله للجدل الأرسطي على حجة الأسبقية الزمنية لمصنَّف **الطوبيقا** مقارنة مع مصنَّفي **التحليلات (الأولى والثانية)**. ويَعتبر أنصار هذا التوجه أن الطوبيقا كانت مجرد "مسودة" للتحليلات، وأن أرسطو قد كتب هذه "المسودة" في مرحلة لم يكن فيها قد اهتدى بعد إلى نظريته في القياس والبرهان. وقد تعزز هذا التوجه أكثر بعد ظهور الأعمال الفيلولوجية التي قام بها سولمسن (Solmsen) وياييغير (Jaeger) وستوكس (Stocks) وروس (Ross)، والتي تتفق جميعها على الأسبقية الكرونولجية **للطوبيقا** وعلى كونها من مؤلفات مرحلة الشباب. إن الفكرة المشتركة بين تأويلات أنصار هذا التوجه هي أن الطوبيقا ليست سوى خطوة مرحلية في مسار من التطور أفضى في نهايته إلى التحليلات (أي إلى المنطق الصوري: نظرية القياس ونظرية البرهان)[2]. أما التوجه الثاني، فقد كان في مجمله ردّ فعل على التصور السابق الذي هيمن طيلة النصف الأول من القرن 20 الميلادي، لأنه نحا نحو الاعتراف بقيمة وخصوصية الطوبيقا داخل المتن الأرسطي وألح على استقلالية وأهمية الجدل بوصفه جزءاً لا يتجزأ من فلسفة أرسطو في مرحلة نضجه. وحسب بيلوتيي فإن جلّ الباحثين قد تخلوا اليوم عن التأويل التي يرتكز أساساً على المعطى الكرونولوجي وأصبحوا يقرون بالقيمة التي كان أرسطو يَنسُبها للجدل ولكتابه «الطوبيقا»[3].

وهذه بعض النماذج من مُمَثِّلي هذا التوجه الثاني (بما في ذلك بيلوتيي نفسه):

---

[1] Thionville (Eugène), *De la théorie des lieux communs dans les Topiques d'Aristote et des principales modifications qu'elle a subie jusqu'à nos jours*, Thèse présentée à la Faculté des Lettres de Paris en 1855, Osnabrück: Zeller, 1965.

[2]. «Les interprétations sur la valeur de l'ensemble du traité [Les *Topiques*] varient considérablement. Les unes, les plus nombreuses, voient dans les *Topiques* comme une ébauche des *Analytiques*, ébauche qu'aurait d'ailleurs élaborée un Aristote encore ignorant du syllogisme! Cette façon de voir, soutenue par Maier, a grandement élargi son audience, après les travaux philologiques de Solmsen, de Jaeger, de Stocks et de Ross, qui s'accordent tous sur l'antériorité chronologique des *Topiques* et les situent comme une des premières œuvres d'Aristote. Le point commun des interprétations de ce type consiste à voir les *Topiques* comme une étape dans une évolution qui aboutit aux *Analytiques*. Ross le formule clairement: 'It is his own *Analytics* that have made his *Topics* out of date', Solmsen n'en doute pas non plus: 'L'analytique annule les *Topiques*'». *La dialectique aristotélicienne*, p. 11-12.

[3]. «Les derniers interprètes insistent davantage sur l'autonomie de l'œuvre, sur la place et la valeur propre de la dialectique comme partie intégrante de la philosophie mûre d'Aristote [...] Aujourd'hui, la plupart des interprètes ont abandonné l'hypothèse purement historiciste et reconnaissent la valeur propre qu'avaient aux yeux d'Aristote ses *Topiques*», *Ibid*, p. 12-13.

← في مقال نشره سنة 1951 تحت عنوان «منزلة المنطق في فكر أرسطو»[1]، يؤكد إيريك فايل (Eric Weil) أن أقوال أرسطو وأفعاله تشهد على أن الطوبيقا ليست صورة "بدائية" أو "دنيا" من المنطق، بل تمثل بداية (أي منطلق) التفكير البرهاني وغايته القصوى في الآن ذاته. ويدعو، بناء على الشواهد العديدة والمختلفة التي يعرضها، إلى النظر إلى الطوبيقا كما نظر إليها أرسطو نفسه[2]، أي باعتبارها الإبداع المنطقي الأرسطي الأكثر أصالة وأهمية وبالتالي اعتبار المنهج التحليلي (البرهان) مجرد منهج خاص لا يمكن فهمه ولا يصبح قابلا للتطبيق إلّا داخل المنهج الجدلي العام.

← في كتابه الشهير **مشكلة الوجود عند أرسطو** (*Le problème de l'être chez Aristote*)، ينتقد بيير أوبانك (Pierre Aubenque) شراح أرسطو الذين يعتبرون أن الاستدلال البرهاني يمثل المعيار الأوحد للمعرفة الكاملة ويستبعدون الجدل تماما من مجال البحث عن الحقيقة، كما ينتقد بعض الفلاسفة الألمان الذين يرون في الجدل، بسبب تأثرهم بهيغل، منطقا للتناقض والتجاوز، فيعلون بذلك من شأنه إلى حد اعتباره منطقا أعلى من المنطق البرهاني التحليلي. وفي مقابل هؤلاء وأولئك، يميز أوبانك بين ضربين من الجدل لدى أرسطو. الضرب الأول من الجدل هو الذي يسعى إلى القبض على ماهية يقوم عليها العلم (المعرفة اليقينية)، وهذا الجدل ينتهي دوره بمجرد أن يتم تحصيل تلك الماهية التي تسمح بانطلاق البرهان الموصل إلى العلم. والضرب الثاني هو ذلك الجدل الذي لا ينسحب أمام البرهان (لأن هذا الأخير يكون متعذراً في بعض الأحيان) بل يقوم مقامه ويحاول أن يتجاوز عجزه ومحدوديته. بخصوص هذه الحالة الثانية، يقول أوبانك إن القول الخطابي يصبح بديلا عن المعرفة البرهانية (العلم) بحيث لا يمكن تجنبه ولا تجاوزه[3]. ونفس هذه الفكرة، نجدها عند أوليفيه روبول (Olivier Reboul) الذي يقول إن الخطابة لا تُستعمل سوى في الحالات التي يغيب فيها اليقين وينشأ فيها الخلاف، أي في

---

[1]. «La place de la logique dans la pensée d'Aristote», *Revue de Métaphysique et de Morale*, 56e Année, N° 3 (Juillet-Septembre 1951).

[2]. *Les réfutations sophistiques*, 183b-184b.

[3].«On pourrait distinguer chez Aristote deux sortes de dialectiques: d'abord, une dialectique [...] qui tend [...] vers la saisie et la définition d'une essence qui [...] fondera un savoir [...] la dialectique ainsi entendue s'efface, pourrait-on dire, devant son terme [...] Mais [...] là où le syllogisme est impuissant [...], alors la dialectique ne s'efface pas devant l'analytique, mais se substitue à elle pour suppléer à ses insuffisances [...] La parole redevient, comme elle l'était chez les sophistes et les rhéteurs, le substitut, cette fois inévitable, du savoir», *Le problème de l'être chez Aristote*, p. 294-295.

الوضعيات التي يتعذر فيها الوصول إلى الحقيقة وتكون الآراء المحتملة هي أقصى ما يمكن بلوغه[1].

← في كتابه **الجدل الأرسطي**، يستبعد بيلوتيي المعطيات المتعلقة بكرونولوجيا مؤلفات أرسطو ليهتم أساسا بمحتوى/مضمون الطوبيقا اعتمادا على قاعدة منهجية تنصّ على النظر إلى هذه الأخيرة ككل منسجم ومتناغم مع التصور المحدد الذي يعطيه أرسطو للمنطق[2].

ينطلق بيلوتيي في تأويله من فكرتين يعتبرهما جوهريتين لدى أرسطو: تفيد الفكرة الأولى أن الإنسان لا يَعرف إلّا عن طريق التعلم، وأنه لا يعلم إلّا ما تعلّمه، بينما تفيد الفكرة الثانية أن الإنسان لا يتعلم أمرا إلّا إذا أدمجه فيما سبق أن عَلِمَه. ومن هاتين الفكرتين يستخرج الخلاصة التالية: السعي إلى الحصول على المعرفة ومزاولة هذا السعي في ارتباط وثيق مع المعرفة السابقة يمثلان عند أرسطو الحركة الطبيعية للعقل؛ أي أن العقل، مهما كان المشكل المطروح، ينزع دائما وبصورة تلقائية إلى إيجاد حلّ لذلك المشكل انطلاقا من معارفه السابقة. بعد ذلك، يبين بيلوتيي أن أرسطو وإن كان يعتبر أن الإنسان لا يحقق حركة العقل الطبيعية أفضل ما يكون التحقيق إلا عندما ينطلق، في حله لمشكلٍ مطروح، من مفاهيم سبق أن عرفها معرفة يقينية، فإنه يعتبر في الآن ذاته أن عددا قليلا فقط من المواضيع والقضايا تسمح ببلوغ هذه الدرجة السامية من المعرفة. وهذا يعني أن رؤية أرسطو تتميز بقدر كبير من الواقعية مقارنة مع بعض الفلاسفة المحدثين الذين يشترطون في المعرفة العقلية أن تتأسس دائما على مبادئ يقينية وضرورية، وذلك لأنه، من جهة، يُقِرّ بكون الإنسان يملك رغبة حتى في معرفة الأشياء التي يصعب على عقله الوصول إليها، أي حتى لو كان ذلك على حساب الصرامة العلمية التامة، ولأنه من جهة أخرى يعتبر أن الاكتفاء بمعرفة غير كاملة يصبح ضروريا ولا مفر منه في المجال العملي الذي لا تسمح طبيعته الخاصة بتحقيق البرهان وبتحصيل اليقين.

إن هذه الأفكار التي سبق ذكرها تمثل، في نظر بيلوتيي، الإطار النظري العام الذي يجب أن تندرج داخله دراسة "الطوبيقا" إن هي شاءت أن تُحصّل فهماً ملائما لمختلف جوانب الجدل الأرسطي. بعبارة أخرى، يجب الانتباه إلى أن الجدل، قبل أن يكون فنا أو تقنية أو منهجا، يمثل

---

1. «La rhétorique ne s'exerce que dans des situations d'incertitude et de conflit, où la vérité n'est pas donnée et où on ne l'atteindra peut-être jamais que sous la forme d'une vraisemblance». Reboul (Oliver), *Introduction à la rhétorique*, p. 51.

2. «Je chercherai tenacement, dans les *Topiques*, un tout cohérent inséré dans la conception déterminée de la logique que se fait Aristote», *La dialectique aristotélicienne*, p. 17.

استجابة لتحديات ومطالب جذرية تطرحها المعرفة الإنسانية. إن جوهر الجدل لا يتبدى في نسقِ القواعد التي يصطنعها، ولا في جملة المظاهر/الملامح التي اعتاد الدارسون اختزاله فيها: لا يكفي إذن أن نقول عن الجدل إنه ينطلق من مقدمات مشهورة فحسب، أو إنه يتوسل بمنهج أقل صرامة ودقة، أو إنه بمثابة بحث واستقصاء يتواصلان بلا ملل ولا كلل، كما لا يكفي أيضا القول بأنه يتخذ بالضرورة صورة حوار. إن كل هذه الخصائص تميز الجدل بكل تأكيد، لكن الوقوف عندها لا يفي بالمطلوب، لأن هذا المطلوب لا يتم استيفاؤه إلّا عندما نبدأ من طرح السؤال التالي: ما العلة التي تجعل الجدل يتميز بكل تلك الخصائص التي ذكرناها؟ وبالنسبة لبيلوتيي، فإن هذه العلة تتمثل في كون العقل لا يجد أمامه دائما - وربما كان الأصح أن نقول إنه لا يجد أمامه إلّا نادرا - حقائق ثابتة/أكيدة ومبادئ ضرورية يتخذها مقدمات يَسنُد إليها سيرورةَ تحصيله للمعرفة. وهكذا يتضح أن الجدل لا يمثل نشاطا عقليا "مصطنعا"، بل هو مظهر أصيل من مظاهر الحركة الطبيعية للعقل الإنساني: إنه يجسد الشكل الذي يتخذه نشاط العقل في المجالات التي تنتفي فيها البداهة ويتعذر اليقين. ولهذا فإن مادة الجدل لا يمكن أن تكون سوى مادة بديلة عن البداهة الموضوعية.

إذا صح ما سبق، فإن السؤال يصبح هو التالي: ما النتائج التي تترتب عن إدماج الجدل داخل حركة العقل الطبيعية (أي عن اعتباره تجلياً أصيلا لنشاط العقل) وعن تحديد مادته بوصفها بديلا للبداهة واليقين؟ يستخلص بيلوتيي، على امتداد صفحات وفصول كتابه، العديد من هذه النتائج ويستعملها لحل الإشكالات المختلفة التي يطرحها مصنف **الطوبيقا** خصوصا والجدل الأرسطي عموما. وبالنظر إلى ما يهم سياق حديثنا هنا، فإننا سنكتفي باستعراضٍ مُختصَر للنتائج الأساسية التالية:

- ✓ التمييز الصريح والواضح بين مجال البرهان التحليلي ومجال الحجاج الجدلي: تمثل موضوعات الاحتمال وموضوعات اليقين مادتين عقليتين متمايزتين تماما، أي أن كل واحدة منهما تشكل مجالا خاصا ومغايراً لنشاط وعمل العقل. وهذان المجالان (البرهاني والجدلي) لهما نفس المشروعية العقلية. وهذا يعني أن المعرفة الجدلية ليست مجرد صورة ناقصة من معرفتنا بالحقيقة والواقع، كما أنها ليست أسمى من المعرفة البرهانية (العلم): إنهما ضربان متمايزان من المعرفة، وينتمي كل واحد منهما إلى مجال مُوازٍ لمجال الآخر.

✓الإقرار بالتجذر النهائي للاستدلال الجدلي في تربة العرضية والرأي: من المؤكد أن الاستدلال الجدلي لا يرضي إرضاء تاما عقولنا التي تتوق دائما إلى إدراك ما هو ضروري ومطلق: إنه لا يجعل العقل أبداً يعلم أن ما أدركه هو متحقق فعلا كما أدركه تماما وأنه لا يمكن أن يكون غير ذلك. وهذا يعني أن الموضوع الذي يناسب الاستدلال الجدلي هو بالتحديد الشيء العرضي، أي الشيء الذي يمكن ويَحتمل أن يكون غير ما هو عليه. هذا الشيء العرضي يستعصي تماما على المعرفة العلمية، بحيث إن ما ندركه منه بواسطة المنهج الجدلي يُمثل أقصى وأسمى معرفة يمكن أن نحصل عليها بخصوصه. بعبارة أخرى، فإن جميع ما يحتمل أن يكون غير ما هو عليه يمثل مجالا حصريا للمعرفة الجدلية التي تظل دائما، بحكم الطبيعة الاحتمالية لمادة مقدماتها، معرفة ظنية لا تملك أبداً أن تدعي لنفسها اليقين والضرورة والإطلاق.

✓التأكيد على حتمية الطابع الحواري والاستكشافي والتشكيكي للجدل: يُشترط في المقدمات الجدلية أن تكون مقبولة ومسلما بها (إما من طرف عموم الناس أو من طرف خاصتهم). هذا الشرط الضروري يفرض على المجادل أن يقوم دائما بفحص ومساءلة مقدمات استدلالاته للتأكد من استجابتها لهذا المقتضى، وذلك عبر مقارنتها بما يراه المحاوَر (سواء كان هذا المحاوَر هو عموم الناس أو خاصتهم فقط). إن المجادل يظل باستمرار واعيا بأن أقواله ليست بداهات وحقائق مطلقة، بل هي دوما في حاجة إلى تأكيد خارجي. وهذا يعني أن الاستدلال الجدلي يتخذ دائما وبالضرورة طابعا حواريا، أي أن الحوار ليس مجرد شكل يختاره المجادل تبعا لنزوة عابرة، بل هو نتيجة ضرورية تلزم عن طبيعة المقدمات التي يقوم عليها كل استدلال جدلي. من ناحية أخرى، إذا كان الحوار هو السبيل الأوحد الذي يقود إلى انتقاء الآراء المقبولة (المسلم بها) لجعلها مقدماتٍ للاستدلال، فإن هذا الحوار لا ينتهي أبدا إلى حجة تحسم المسألة نهائيا. من المؤكد أن مساءلة وفحص القضايا المتعارضة تجعل العقل يميل إلى ترجيح بعضها فيقع عليها اختياره ويحاجِج بها، لكنه يظل بالرغم من هذا الميل متخوفا على الدوام من احتمال أن تكون القضايا التي استبعدها هي الأنسب للاستدلال، وبالتالي أن يكون اختياره غير صائب. وهذا الخوف الذي يلامس المقدمات ينتقل إلى النتائج فيجعل العقل عالقا في الشكوك. وهذا يعني أن الاستقصاء والاستكشاف اللذين تتوسل بهما المعرفة الجدلية يمثلان سيرورة متواصلة لا تتوقف أبدا، وأن هذه المعرفة تنطوي دائما على قدر من

الشك يجعلها على استعداد متواصل لتجديد الحوار ومنفتحة باستمرار على إمكانية فتح باب النقاش من جديد.

✓الربط الوثيق بين الجدل والخطابة واعتبارهما متماثلين من حيث أصلهما ووظيفتهما، أي باعتبارهما يشكلان معا نوعا من الفطنة الطبيعية التي يركن إليها العقل عندما يتعذر الاستدلال البرهاني الموصل إلى العلم.

لقد كان هدفنا في الفقرات السابقة هو إبراز التوجه الذي أصبح، منذ منتصف القرن 20 الميلادي، مهيمنا في الدراسات التي انصبت على طوبيقا أرسطو. وعندما نقارن موقف بيرلمان بما يعتبره بيلوتيي التوجه العام والأساسي الذي أصبحت تسير فيه البحوث المعاصرة حول الجدل الأرسطي، يتضح أنه موقف يتوافق إلى حد كبير مع هذا التوجه، بل يتبين أيضا أن بيرلمان كان من أوائل من عملوا على إرساء هذا التأويل المعاصر للتصور المنطقي الأرسطي. في ضوء هذا التأويل وفي ارتباط بموضوع الجدل خصوصا، تتحدد الأرسطية بوصفها نمطا من العقلانية يقوم على المرتكزات الأساسية التالية: التمييز الصريح بين البرهان والحجاج؛ والاعتراف بالمشروعية والصلاحية الحصرية لكل واحد منهما في مجاله الخاص؛ والإقرار بالصلة الوثيقة التي تربط الجدل بالخطابة داخل نظرية الحجاج. وتترتب عن هذا التحديد للتصور المنطقي الأرسطي نتيجتان أساسيتان. النتيجة الأولى هي أن فكرة أرسطو عن المنطق أوسع وأغنى من فكرة المناطقة المحدثين الذين ينحصر المنطق لديهم في المنطق الصوري البرهاني. والنتيجة الثانية هي أن هذا التصور الموسع للمنطق يكشف بدوره عن رؤية موسعة للعقل ولنمط اشتغاله ولمجال اختصاصه.

خلاصة عامة: الأرسطية بوصفها إطارا عاما لتجديد العقلانية بغاية توسيع فكرة العقل

لقد سمحت لنا إعادة بناء المسار النظري الذي قاد إلى ميلاد وتبلور المشروع/البرنامج البحثي لبيرلمان إلى تبين جملة من الملامح والخصائص المميزة للخطابة الجديدة. لكن العنصر الأساسي الذي تسمح إعادةُ البناء هذه باستخلاصه وإبرازه هو أن الخطابة الجديدة تسعى أساسا إلى تحصيل العقلانية، وأنها تسترشد، في سعيها هذا، بنموذجٍ خاص للعقل هو بالتحديد ذلك العقل القادر على الاستجابة لانشغالات الإنسان النظرية والعملية سواء بسواء. تتميز الخطابة الجديدة إذن بتوجهها المؤكَّد نحو عقلانية موسَّعة تشمل، في الآن نفسه، مجال النظر ومجال العمل. ويتضح ذلك انطلاقا من المسألتين اللتين سبق أن عرضناهما: إشكاليةُ الانطلاق

التي تمثل الخطابةُ الجديدة استجابة لتحدياتها، ونموذج العقلانية الذي اتخذته لنفسها. وبالفعل، فقد قامت الخطابة الجديدة على أساس الوعيِ بقصور النزعة الوضعية عن تأسيس الأحكام العملية تأسيسا عقليا، وكذا الوعي بنتائج وانعكاسات هذا القصور على الفلسفة والحياة الإنسانية. إن هذا التحديد للإشكالية التي مثّلت المنبع الذي انبثقت منه الخطابة الجديدة يمدنا بفكرة واضحة عن التوجه العام لهذه الأخيرة، أي عن انغراسها وتجذرها في المنحى العقلاني للفلسفة وفي الانشغالات العملية التي تطرحها الحياة الإنسانية. لكن هذا التوجه العقلاني للخطابة الجديدة يتجلى بوضوح أكبر في إحالتها على العقلانية الأرسطية، وبالخصوص في طريقة إحالتها على هذه العقلانية. لقد اكتشف بيرلمان، من خلال تحليله الملموس لتقنيات الاستدلال المستعملة في مجال أحكام القيمة (الأحكام العملية)، أن الحجاج (تقديم حجج راجحة لصالح أطروحة أو دعوى) يمثل نمط الاستدلال الذي يميز هذا المجال. لكن تَبَيَّن له في نفس الوقت أن هذه التقنيات الحجاجية قد سبقت دراستها من طرف أرسطو الذي عالجها انطلاقا من تصور عام يقوم على الاعتراف بضربين من الأحكام: الأحكام التحليلية (مجال البرهان) والأحكام الجدلية (مجال الحجاج). وهكذا وجد بيرلمان لدى أرسطو ما كانت تفتقر إليه النزعة الوضعية التي انطلق منها، أي تصورا موسعا للعقل يسمح في الآن ذاته بإعطاء أساس عقلي لأحكام القيمة وببيان وإبراز خصوصية هذا الأساس.

يتضح إذن أن الإحالة على أرسطو لها دلالتان أساسيتان. فهي من جهة تعزّز انغراس وتجذر الخطابة الجديدة في مسعاها العقلاني. ومن جهة أخرى فإنها تسمح بمنح هذا المسعى منحىً مخصوصا، هو ذلك المنحى الذي يسير فيه العقل عندما يأخذ على عاتقه حل المشكلات النظرية والعملية على حد سواء، أي عندما لا يضطلع بوظيفته البرهانية فحسب بل يدمج الوظيفة الحجاجية أيضا في سيرورة نشاطه. بعبارة أخرى، فإن الإحالة على أرسطو تعني هنا الإحالة على تصورٍ للعقل يقتضي بناء نظريةٍ للمنطق البرهاني تختص بالأحكام التحليلية (مجال النظر والمعرفة) ونظريةٍ أخرى للمنطق الحجاجي تُناسب أحكام القيمة (مجال الفعل والعمل).

المراجع

- Aubenque (Pierre), *Le Problème de l'être Chez Aristote. Essai sur la problématique aristotélicienne*, Quadrige/PUF, 2ème éd., Paris, 1994.

- Perelman (Chaïm),

- *Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique*, En collaboration avec L. Olbrechts-Tyteca, Éditions de l'Université de Bruxelles, 3ème éd., Bruxelles, 1976 (Première édition 1958).

- *Justice et raison*, Éditions de l'Université de Bruxelles, 2ème éd., Bruxelles, 1972 (Première édition 1963).

- *Droit, morale et philosophie*, Préface de Michel Villey, LGDJ, 2ème éd., Paris, 1976 (Première édition 1968).

- *L'empire rhétorique. Rhétorique et argumentation*, Librairie philosophique J. Vrin, 3ème tirage, Paris, 1997 (Première édition 1977).

- *Logique juridique. Nouvelle rhétorique*, Dalloz, 2ème éd., 1979 (Première édition 1977).

- *Ethique et droit*, Introduction Alain Lempereur, Éditions de l'Université de Bruxelles, 2ème éd., Bruxelles, 2012.

- *«De la méthode analytique en philosophie», Revue philosophique de la France et de l'Etranger,* Paris, 1947, repris dans *Justice et raison.*

- Pelletier (Yvan), *La Dialectique aristotélicienne? Les principes clés des Topiques*, Société d'Études Aristotéliciennes, 2ème éd., 2007.

- Reboul (Olivier), *Introduction à la rhétorique*, PUF, Paris, 1991.

- Weil (Eric), «La place de la logique dans la pensée d'Aristote», *Revue de Métaphysique et de Morale*, 56e année, N° 3 (Juillet-Septembre 1951).

مكتبة البلاغة الجديدة بالمغرب[1]

استقراء للمستقبل

محمد الرواص[2]

عندما نتحدث عن البلاغة الجديدة[3] يتجه الذهن مباشرة إلى كتاب **مصنف في الحجاج. الخَطابية الجديدة** (1958) لمؤلفيه شايم بيرلمان (Chaïm Perelman) ولوسي أولبريخت تيتيكا (Lucie Olbrechts-Tyteca). لقد أسهم هذا الكتاب في إعادة الاهتمام بالمكون الحجاجي من خلال إعادة قراءة الخطابية الأرسطية، وهي قراءة «قائمة على إعادة الاعتبار لخَطابية أرسطو من جهة، وعلى تجديدها بتوسيع مجالها من جهة ثانية»[4]. ثم انتقل مفهوم البلاغة الجديدة من اعتبارها اسما مرتبطا ببلاغة بيرلمان خاصة، إلى اعتبارها وصفا يعكس دينامية بلاغية لا تقف عند المكون الحجاجي وحده، بل تشمل بلاغات أخرى، أهمها بلاغة الصور والمحسنات، والبلاغة العامة التي تحاول دمج المكونين الحجاجي والتصويري.

كانت جهود البلاغيين المغاربة المحدثين، منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي[5]، بارزة في تطوير البلاغة، وبيان اتساع مباحثها من خلال التفاعل مع المنجز البلاغي الإنساني القديم والحديث، وإعادة قراءة الأصول المؤسِّسة للبلاغة العربية، حيث ظهرت مشاريع بلاغية رائدة، حاولت إعادة التفكير في التراث البلاغي العربي وقراءته انطلاقا من التراث البلاغي الغربي القديم (مع أفلاطون وأرسطو وغيرهما) ومستجدات النظريات البلاغية الحديثة، ويمكن رصد هذه الجهود عبر الآتي:

---

[1]. نقصد بالمغرب هنا المغرب الأقصى، وذلك بغاية الوقوف على إسهام المغاربة في تجديد البلاغة، بدرجات متفاوتة مقتصرين لدواع منهجية على الكتب المنشورة (تأليفا وترجمة)، ومستبعدين المقالات والرسائل الجامعية المخطوطة. ورغم هذا الحصر المنهجي فإننا لا نستبعد أن نُغفل كتبا لم نُحط بها خبرا.

[2]. باحث في البلاغة وتحليل الخطاب، مختبر الأبحاث المصطلحية والدراسات النصية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس.

[3]. تُترجَم أيضا: الخطابة الجديدة والخَطابية الجديدة.

[4]. بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، ص 33.

[5]. نستحضر هنا كتاب الدكتور محمد العمري **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، الذي استلهم بلاغة بيرلمان في دراسة الخطابة العربية. انظر: العمري (محمد)، **في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية. الخطابة في القرن الأول نموذجا**، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1986.

1. مشاريع رائدة:

يستوجب التأريخ للبلاغة المغربية الجديدة الوقوف عند بلاغيين أسهموا في التأسيس للدرس البلاغي الحديث وقدموا أعمالا متميزة، أبرزهم محمد العمري ومحمد الولي، فقد انتبهوا إلى أهمية إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء مكتسبات المناهج النقدية الحديثة والبلاغة الجديدة. وأسهموا في تجذير البحث البلاغي في الجامعة المغربية، وتأطير عشرات الباحثين في البلاغة وتحليل الخطاب من الجيل الثاني، الذين حملوا المشعل وتوجهوا نحو المستقبل في توسيع مدار البلاغة الجديدة وتعميق مجراها. منهم على سبيل المثال، أعضاء **جماعة البلاغة وتحليل الخطاب** (إدريس جبري وعبد الرحيم وهابي والحسين بنوهاشم وعبد القادر بقشى وامحمد واحميد)[1].

2. مجلات متخصصة وأخرى داعمة:

وأبرزها **مجلة دراسات أدبية ولسانية ومجلة دراسات سيميائية وأدبية ولسانية**[2]، ووريثتها وحاملة المشعل بعدها **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**[3]، **ومجلة البلاغة والنقد الأدبي**[4]. ومن المجلات غير المتخصصة في البلاغة لكنها قدمت دعما وافيا للبلاغة الجديدة، نذكر على سبيل التمثيل: مجلة **المناظرة**[5]، ومجلة **فكر ونقد**[6]، ومجلة **علامات**[7].

---

[1]. للبلاغيين المذكورين جهود قيمة في الترافع عن البلاغة الجديدة من خلال كتبهم، وكذا من خلال تنظيم ندوات وطنية ودولية والمشاركة فيها، ونشر كتب جماعية.

[2]. صدرتا بين 1989 و1992. تولى إدارتها وتحريرها الأساتذة: محمد العمري وحميد لحميداني ومحمد الولي ومحمد أوراغ ومبارك حنون.

[3]. صدر منها خمسة عشر عددا ولا تزال منتظمة الصدور، يتولى إدارتها الأستاذ: إدريس جبري، وتحريرها الأساتذة: عبدالقادر بقشى وعبد الرحيم وهابي والحسين بنوهاشم وامحمد واحميد.

[4]. صدر منها خمسة عشر عددا ولا تزال منتظمة الصدور، تولى إدارتها وتحريرها الأساتذة: محمد عدناني وإدريس الخضراوي وعبد العاطي الزياني وفريد أمعضشو وعبد العالي العامري وعبد الخالق عمراوي ومصطفى الغرافي.

[1]. مجلة متخصصة في المفاهيم والمناهج الفلسفية صدر منها ستة أعداد بين 1989 و1993، تولى إدارتها وتحريرها الأساتذة الطاهر وعزيز وطه عبد الرحمن. أنجزت -على سبيل التمثيل- ملفا خاصا عن الاستعارة في العدد 4 الصادر في ماي 1991.

[6]. مجلة شهرية، ابتدأ صدورها سنة 1997، صدر منها أكثر من مئة عدد، تولى إدارتها وتحريرها الأساتذة: محمد إبراهيم بوعلو ومحمد عابد الجابري وعبد السلام بنعبد العالي. خصصت ملفات للبلاغة الجديدة، منها: العدد 17 الصادر في مارس 1999 عن (شعرية البلاغة)، والعدد 25 الصادر في يناير 2000 عن (البلاغة الجديدة)، والعدد 41 الصادر في شتنبر 2001 عن (البلاغة أمس والبلاغة اليوم).

[7]. صدر منها لحد الآن خمسة وخمسون عددا، ولا تزال منتظمة الصدور، يتولى إدارتها وتحريرها الأساتذة: سعيد بنكراد ومحمد الولي وأحمد الفوحي وكمال التومي.

3. **وحدات تكوين ومختبرات بحث:**

منذ بداية الألفية الثانية انتشرت وحداتٌ ومختبرات تعنى بالبلاغة وتحليل الخطاب والبلاغة الجديدة في مختلف الجامعات المغربية (فاس، والرباط، وتطوان، والجديدة، ومراكش، وبني ملال، وأكادير..) وما يرافقها من تنظيم ندوات ومؤتمرات وطنية ودولية وإنتاج كتب جماعية ناهيك عن مئات البحوث الجامعية (التي أنجزت في هذا الأفق).

* ملاحظات حول مكتبة البلاغة الجديدة:

1. ضمت المكتبة أسماء باحثين مشاريعُهم بلاغيةٌ صرفة، وآخرين كتبوا في البلاغة أو الحجاج ضمن اهتمامات معرفية أخرى مثل الفلسفة والمنطق واللسانيات، لكن مبرر ضمهم إلى هذه المكتبة هو حديثهم عن الحجاج والسفسطة والمغالطة وغيرها من الآليات الحجاجية، أو تقاطع مباحثهم مع البلاغة؛

2. انطلقت البلاغة الجديدة بمحاولات فردية تنحت في الصخر، وهي الآن تبدو في أفضل حال حيث تملك موقعا متميزا في المشهد العلمي والثقافي المغربي؛

3. تحظى المشاريع البلاغية المغربية بمكانة مرموقة على المستوى العربي، حيث تحظى كتب الرواد بالتداول العلمي، وتنجَز أطروحات علمية حول منجزهم البلاغي، ويحظون بالتقدير من لدن المراكز البحثية والجامعات العربية[1]؛

4. تصاعدت وتيرة إنتاج الكتب والترجمات مع بداية الألفية الجديدة، وارتفعت وتيرة إنتاج الكتب الجماعية في العشرية الأخيرة بفضل توسع خريطة البلاغة الجديدة في معظم المدن المغربية والمراكز البحثية، وهذا يشي بمستقبل زاهر للبلاغة العربية الجديدة بالمغرب بفضل اهتمام متزايد للباحثين الشباب بهذا الحقل المعرفي.

وفي هذا الباب، نقترح على قراء **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** في عددها السادس عشر، مكتبةً لما أصبح يُطلَق عليه بالبلاغة الجديدة بالمغرب، أو يُحسب عليها بأقدار متفاوتة، في حدود ما بلغناه في البحث والاستقراء، اعترافا بجهد الرواد في هذا المجال المعرفي، والجيل الذي جاء بعدهم، مع مراعاة الحدود بين المجالات، ورصدا لجهود مختبرات البحث التي تُعنى

[1]. على سبيل المثال: حصول الأستاذين محمد العمري ومحمد مشبال على جائزة الملك فيصل، والأستاذ عبد الرحيم وهابي على جائزة كتارا القطرية.

بالبلاغة وتحليل الخطاب في معظم المراكز الجامعية، وتيسيرا للاطلاع على هذا المبحث المعرفي وفهمه وتمثله في أفق تطويره وتعميقه...

كُتُب:

- أبا سيدي (عليوي)،

1 - **الحجاج والتفكير النقدي. مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية**، دار نشر المعرفة، ط1، الرباط، 2014.

- الإدريسي (يوسف)،

2 - **الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين**، منشورات الملتقى، ط1، مراكش، 2005.

3 - **التخييل والشعر. حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية**، منشورات مقاربات، ط1، آسفي، 2008.

4 - **امتدادات المفهوم الفلسفي للتخيل عند البلاغيين المغاربة**، منشورات مقاربات، ط1، آسفي، 2009.

5- **مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين. الأصول والامتدادات**، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، الرياض، 2015.

- الأزدي (عبد الوهاب)،

6 - **البحث البلاغي بالمغرب**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2008.

7 - **اللغة السامية. بحث في دلالة البيان**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2009.

8 - **مقالات في القراءة والتلقي**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2010.

9 - **تلقي كتاب مفتاح العلوم في الفضاء البياني المغربي**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2015.

10 - **البيان والبيانية**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2017.

- أقنوي (يوسف)،

11 - **الحجاج الفقهي بالمغرب من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الهجري. أعلامه وقضاياه**، مطبعة أمين كراف، ط1، سلا، 2021.

●أمحور (امحمد)،

12 - **بلاغة الخطاب عند أبي حيان التوحيدي**، دار القرويين للنشر والتوزيع، ط1، القنيطرة، 2019.

● بازّي (محمد)،

13- **صناعة الخطاب. الأنساق العميقة للتأويلية العربية**، دار كنوز للنشر والمعرفة والتوزيع، ط1، عمّان، 2015.

14 - **البنى الاستعارية. نحو بلاغة موسعة**، منشورات دار الأمان والاختلاف وضفاف، ط1، الرباط الجزائر العاصمة بيروت، 2017.

15 - **نظرية التأويل التقابلي. مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب**، دار كنوز للنشر والمعرفة والتوزيع، ط2، عمّان، 2020.

● الباهي (حسان)،

16- **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2013.

● بقشى (عبد القادر)،

17- **التناص في الخطاب النقدي والبلاغي**، دراسة نظرية وتطبيقية، دار أفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، 2007.

● بنهشوم (الغالي)،

18 - **أساليب الحجاج في الخطاب**، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.

19 - **التلقي والتواصل في الخطاب الأدبي**، دار عالم الكتب الحديث، ط1، عمّان، 2019.

20 - **التناص في الخطاب الشعري**، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.

21 - **الخطاب الشعري بين سلطة المرجع وتعدد القراءة**، منشورات دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2019.

● بنوهاشم (الحسين)،

22 - **بلاغة الحجاج. الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2014.

23 - **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2014.

24 - **سفر ضد الرهبة. قراءة في قصيدة بانت سعاد**، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.

- التهامي العلمي (عبد الواحد)،

25 - **أنماط تلقي السرد في التراث النقدي (دراسة في أدب الجاحظ)**، دار عالم الكتب الحديث، ط1، عمّان، 2015.

- توبي (لحسن)،

26 - **الحجاج والمواطنة. من المعرفة الأكاديمية إلى ترسيخ القيم الديمقراطية**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014.

- توفيق (رحمة)،

27 - **الحجاج اللغوي في الخطاب الإعلامي**، دار عالم الكتب الحديث، ط1، عمّان، 2020.

- جبري (إدريس)،

28 - **سؤال الحداثة في الخطاب الفلسفي لمحمد عابد الجابري (رؤية مختلفة)**، دار فالية للنشر والتوزيع، ط1، بني ملال، 2013.

29 - **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري. نحو بلاغة عامة**، منشورات **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، ط1، البيضاء، 2019.

30 - **البلاغة والفلسفة في أعمال محمد عابد الجابري**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2021.

- حران (الحسين)،

31 - **المناظرة والحوار في الفكر الديني المعاصر. دراسة حجاجية تطبيقية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2019.

- الحصار (أحمد)،

32 - **دراسات لسانية وبلاغية لأسلوب الاستفهام في الخطاب الإعلامي**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2020.

- الحيرش (محمد)،

33 - **النص وآليات الفهم في علوم القرآن. دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2013.

- دهري (أمينة)،

34 - **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، البيضاء، 2011.

- الراجي (سالمة)،

35 - **حجاجية المجاز المرسل في القرآن الكريم**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2021.

- الراضي (رشيد)،

36 - **الحجاج والمغالطة. من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2010.

37 - **المظاهر اللغوية للحجاج. مدخل إلى الحجاجيات اللسانية**، المركز الثقافي العربي، ط1، البيضاء، 2014.

- رجوان (مصطفى)،

38 - **الرواية والحجاج. تحليل الخطاب الحجاجي في نماذج من الرواية المغربية**، منشورات دار دجلة الأكاديمية، ط1، بغداد، 2019.

39 - **الشعرية وانسجام الخطاب. لسانيات النص وشعرية جان كوهن**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

40 - **في بلاغة الخطاب. من بديع اللفظ إلى بديع التأويل**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

41 - **الكائن البلاغي. اللغة والعقل والاستطاعة في كتاب البيان والتبيين**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2021.

- الزكري (محسن)،

42 - **أصول التأويل في البلاغة العربية**، دار فاصلة للنشر والتوزيع، ط1، طنجة، 2019.

• الزماني (كمال)،

43 - **حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2012.

44 - **الحجاج بالإيتوس في الخطاب السياسي**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2019.

45 - **بلاغة الحجاج. نماذج تطبيقية**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2020.

• الزياني (عثمان)،

46 - **الخطاب السياسي بالمغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، البيضاء، 2017.

• السرتي (زكرياء)،

47 - **الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2013.

• صديقي (عبد الوهاب)،

48 - **بلاغة المغالطة في الخطاب السياسي. دراسة في آليات الإقناع واستراتيجيات التأثير**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2014.

49 - **في بلاغة الخطاب الديني المعاصر. بحث في آليات الحجاج والمغالطة**، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمّان، 2021.

• صوضان (محمد)،

50 - **المضمر وقيمه التداولية في البلاغة العربية**، ركاز للنشر والتوزيع، إربد، 2022.

• طايعي (أحمد)،

51 - **التواصل البلاغي. من المصرح به إلى المسكوت عنه**، نشر زاوية للفن والثقافة، ط1، الرباط، 2008.

52 - **نص القراءة لدى علماء الغرب الإسلامي**، طوب بريس، الرباط، 2009.

53 - **الشعر العربي. مجاري التلقي ومستقرات التأويل**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2021.

• عادل (عبد اللطيف)،

54 - **بلاغة الإقناع في المناظرة**، منشورات ضفاف والاختلاف، ط1، بيروت، الجزائر العاصمة، 2013.

55 - **الحجاج في الخطاب. مقاربات تطبيقية**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ط1، مراكش، 2017.

- العزاوي (أبوبكر)،

56 - **اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، ط1، البيضاء، 2006.

57 - **الخطاب والحجاج**، الأحمدية للنشر، ط1، البيضاء، 2007.

58 - **حوار حول الحجاج**، الأحمدية للنشر، ط1، البيضاء، 2010.

- عشير (عبد السلام)،

59 - **عندما نتواصل نغير. مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**، أفريقيا الشرق، البيضاء، 2012.

- علمي (عبد الله)،

60 - **قوانين الجنايات. دراسة بلاغية تحليلية**، دار الحكمة، المغرب، 2016.

61 - **سلسة قوانين الأسرة. دراسات بلاغية تحليلية**، دار قرطبة، ط1، المغرب، 2017.

62 - **قواعد الحوار. دراسة بلاغية تطبيقية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2018.

63 - **بلاغة التشريع والقانون**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2019.

64 - **أثر اللغة في العقيدة والشريعة والقانون**، دار مرايا دبي بشراكة مع نور حوران للدراسات والنشر والترجمة، ط1، دمشق، 2020.

- العمري (محمد)،

65 - **في بلاغة الخطاب الإقناعي. مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية. الخطابة في القرن الأول نموذجا**، دار الثقافة، ط1، البيضاء، 1986 (طبعة ثانية عن دار أفريقيا الشرق، البيضاء، 2002).

66 - **تحليل الخطاب الشعري. البنية الصوتية في الشعر**، الدار العالمية للكتاب، ط1، البيضاء، 1990.

67 - **اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي. مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ للأشكال**، منشورات دراسات سال، 1990.

68 - **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية،** منشورات دراسات سال، ط1، البيضاء، 1991.

69 - **نظرية الأدب في القرن العشرين** (ترجمة وتقديم)، دار أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 1996.

70 - **البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها**، دار أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 1999.

71 - **دائرة الحوار ومزالق العنف. كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب**، دار أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 2002.

72 - **الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر**[1]، دار أفريقيا الشرق، البيضاء، 2001.

73 - **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، دار أفريقيا الشرق، البيضاء، 2005.

74 - **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، دار أفريقيا الشرق، البيضاء، 2013.

75 - **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة. مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني**، دار أفريقيا الشرق، البيضاء، 2017.

76 - **تحليل الخطاب الأصولي. عوائق الحوار. قراءة حجاجية في خطاب الأصوليين المغاربة مساهمة في تخليق الخطاب السياسي**، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بني ملال، 2015.

77 - **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل** (تحقيق وتقديم)، تأليف محمد الإفراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1997.

- العوادي (سعيد)،

78 - **أسئلة البديع. عودة إلى النصوص البلاغية الأولى**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2009.

79 - **حركية البديع في الخطاب الشعري. من التحسين إلى التكوين**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2014.

80 - **بلاغة الصورة. نحو قراءة حجاجية لعلم البيان**، دار أوكسجين، ط1، المغرب، 2021.

---

[1]. هذا الكتاب يجمع وينسق الكتابين: **اتجاهات التوازن الصوتي والموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية**.

81 - **في بلاغة النص الأدبي. مداخل تطبيقية**، دار أوكسجين، المغرب، ط1، 2021.

- الغرافي (مصطفى)،

82 - **البلاغة والإيديولوجيا. دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2015.

- غزالة (عبد الجليل)،

83 - **الخطاب الإقناعي العربي المعاصر بين المتكلم والمخاطب. نحو مقاربة سيكوبلاغية**، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2016.

- فائزي (توفيق)،

84 - **الاستعارة والنص الفلسفي**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2016.

- قادا (عبد العالي)،

85 - **الحجاج في الخطاب السياسي. الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري أنموذجا (دراسة تحليلية)**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2015.

86 - **بلاغة الإقناع. دراسة نظرية وتطبيقية**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2016.

- قادم (أحمد)،

87 - **شعرية الإقناع في التراث البلاغي والنقدي**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، 2009.

88 - **بلاغة الحجاج بين التخييل والتدليل**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2019.

- كنفاوي (عبد الإله)،

89 - **البنية الإيقاعية للموشحات الأندلسية. دراسة عروضية بلاغية**، أفريقيا الشرق، البيضاء، 2016.

- لحويدق (عبد العزيز)،

90 - **نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2015.

91 - **نظرية الاستعارة في التراث البلاغي العربي**، أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 2016.

- مسكين (حسن)،

92 - **مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج**، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، 2010.

- مشبال (محمد الأمين)،

93 - **الخطابة السياسية الشعبوية عند عبد الإله بنكيران**، منشورات باب الحكمة، ط1، تطوان، 2022.

- مشبال (محمد)،

94 - **مقولات بلاغية في تحليل الشعر**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993.

95 - **بلاغة النادرة**، دار جسور للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، طنجة، 2001.

96 - **البلاغة والأصول. دراسة في أصول التفكير البلاغي العربي. نموذج ابن جني**، أفريقيا الشرق، البيضاء، المغرب، 2007.

97 - **البلاغة والأدب. من صور اللغة إلى صور الخطاب**، دار العين للنشر، ط1، الإسكندرية، 2010.

98 - **البلاغة والسرد. جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، 2010.

99 - **خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ. مقاربة بلاغية حجاجية**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2015.

100 - **في بلاغة الحجاج. نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2018.

101 - **الرواية والبلاغة. نحو مقاربة بلاغية موسعة للرواية العربية**، دار كتارا للنشر، ط1، قطر، 2019.

102 - **عن بدايات الخطاب البلاغي العربي الحديث. نحو بلاغة موسعة**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

103 - **محاضرات في البلاغة الجديدة**، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2021.

• مشبال (هشام)،

104 - **البلاغة والسرد والسلطة في الإمتاع والمؤانسة**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2015.

• منصر (بوشعيب)،

105 - **الشعر والخطابة بين أرسطو وابن رشد**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015.

• المودن(حسن)،

106 - **بلاغة الخطاب الإقناعي. نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2014.

107 - **بلاغة الحجاج. الحجاج بالإيطوس والباطوس. بحوث وترجمات**، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2022.

• ناظم (عبد الجليل)،

108 - **البلاغة والسلطة في المغرب. أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي**، دار توبقال للنشر، ط1، البيضاء، 2002.

• النقاري (حمو)،

109 - **منطق الكلام. من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي**، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.

• النكر (سعيد)،

110 - **المنهجية الأصولية والبحث البلاغي**، دار عالم الكتب الحديث، ط1، عمّان، 2012.

111 - **سؤال المعاصرة والشرعية في قراءة النص القرآني**، دار السلام، القاهرة، 2013.

112 - **نظرية النص أو التعدد المنهجي في قراءة النص القرآني**، المركز الثقافي العربي، بيروت، البيضاء، 2017.

113 - **قواعد البيان وأصول الاستدلال**، شمس برانت، الرباط، 2017.

• هنوش (عبد الجليل)،

114 - **ابن طباطبا والتصور التداولي للشعر**، منشورات كلية الآداب بالكويت، المجلد 21، العدد 168، 2001.

115 - **التأسيس اللغوي للبلاغة العربية (قراءة في الجذور)**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2016.

116 - **المشروع البلاغي للإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني. قراءة جديدة**، فضاء آدم للنشر والتوزيع - المطبعة الوطنية، مراكش، (د. ت.).

- الولي (محمد)،

117 - **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت البيضاء، 1989.

118 - **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط، 2005.

119 - **فضاءات الاستعارة وتشكلاتها في الشعر والخطابة والعلم والفلسفة والتاريخ والسياسة**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، البيضاء، 2020.

120 - **الخطابة والحجاج**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، البيضاء، 2020.

- وهابي (عبد الرحيم)،

121 - **القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطوطاليس**، منشورات عالم الكتب الحديث، ط1، عمّان، 2011.

122 - **السرد النسوي العربي. من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية**، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2015.

123 - **الاستعارة في الرواية. مقاربة في الأنساق والوظائف. روايات أحلام مستغانمي نموذجا**، دار كتارا للنشر، ط1، قطر، 2019.

124 - **بلاغة التصوير الفني في القرآن الكريم (مقاربة معرفية تداولية)**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2022.

- يحياوي(رشيد)،

125 - **التبالغ والتبالغية. نحو نظرية تواصلية في التراث**[1]، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2014.

[1]. نتج عن كتاب **التبالغ والتبالغية** حوار مفيد بين الأستاذين محمد العمري ورشيد يحياوي احتضنته **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** في العدد 6 والعدد المزدوج 7 و8 الصادرين سنة 2015؛ وكان وراء إصدار محمد العمري لكتاب **المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة. مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني**.

كتب بالاشتراك:

- العربي (ربيعة) وأشرف (فؤاد)،

126 - **الحجاج بين الجدلية الصورية والجدلية التداولية**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

- قادم (أحمد) والزماني (كمال)،

127 - **الحجاج وشرعنة الخطاب السياسي**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2021.

كتب جماعية:

- اخليفة (الحسين) [تقديم وتنسيق]،

128 - **نحو بلاغة تأويلية جديدة. دراسات في أعمال الباحث محمد بازي**، مطبعة قرطبة، ط1، أكادير، 2019.

- أدراوي (عبد الفضيل) والبقالي (محمد) [تنسيق وتقديم]،

129 - **البلاغة في أعمال محمد مشبال (حوارات قراءات شهادات)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط1، 2021.

- إسماعيلي علوي (حافظ) [إعداد وتقديم]،

130 - **الحجاج مفهومه ومجالاته. دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة** (خمسة أجزاء)، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010.

131- **الحجاج والاستدلال الحجاجي. دراسات في البلاغة الجديدة**، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، عمّان، 2011.

- برادة (خليد) وجحفة (عبد المجيد) [إعداد]،

132 - **الاستعارة والمعرفة**، منشورات المختبرات - مختبر اللسانيات والتواصل، ط1، البيضاء، 2011.

- الرشدي (عبد الله) وبقشى (عبد القادر) وابراهيم أسيكار وحسين كتانة وحسن درير وعبد الحميد زهيد [تنسيق]،

133 - **البلاغة العامة: حوار المركز والمحيط. دراسات في أعمال الدكتور محمد العمري**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2017.

• السعيدي (أحمد) وبنهشوم (الغالي) وجبري (إدريس) ومحوش (محسن) وواحميد (امحمد) [إعداد وتنسيق]،

134 - **الخطاب الأدبي والبلاغي في كتابات العلامة محمد الصغير الإفراني**، نشر فريق البحث في البلاغة والأدب بالكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية، ط1، 2018.

• علمي (عبد الله) [إعداد وتنسيق]،

135 - **في الحجاج. دراسات لأنواع الخطاب**، المركز الأكاديمي، ط1، الأردن، 2019.

• العوادي (سعيد) [إعداد وتقديم]،

136 - **البلاغة الثائرة. خطاب الربيع العربي. عناصر التشكل ووظائف التأثير**، دار شهريار، العراق، ط1، 2017.

• المرابط (عبد الواحد) وحسن درير وحسين كتانة وعبد الحميد زهيد [تنسيق]،

137 - **من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة. قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2017.

• النقاري (حمو) [تنسيق]،

138 - **التحاجج. طبيعته ومجالاته ووظائفه**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، البيضاء، 2006.

• جبار (سعيد) والرواعي (عبد الصمد) [إعداد وتنسيق]،

139 - **الدرس البلاغي. قضايا معرفية ومقاربات نصية (أعمال الندوة الدولية الأولى 2015)**، نشر مختبر البحث في البلاغة واللسانيات- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، ط1، 2016.

• جبري (إدريس) وبقشى (عبد القادر) [تنسيق]،

140 - **الواقعي والمتخيل في بلاغة السيرة الذاتية. دراسات في سيرتي أشواق درعية وزمن الطلبة والعسكر للأستاذ محمد العمري**، منشورات مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ط1، الرباط، 2018.

• خطابي (محمد) وبوتكلاي (لحسن) [إعداد]،

141 - **قراءات في الخطاب السياسي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، ط1، أكادير، 2016.

• ذاكير (كمال) والعوادي (سعيد) [إشراف وتنسيق]،

142 - **البلاغة المعجزة. قراءات جديدة في البلاغة التطبيقية للقرآن الكريم**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2020.

• صديقي (عبد الوهاب) وحاوي (صلاح) [إعداد وتنسيق]،

143 - **بلاغة الجمهور. مفاهيم وتطبيقات**، دار شهريار للنشر والتوزيع، ط1، البصرة، 2017.

• عمو (عسو) وشهيد (عبد الفتاح) وبدوح (حسن) والشميطي (لكبير) [تنسيق وإشراف]،

144 - **الخطاب والأخلاق. مقاربات بلاغية وتداولية**، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2019.

• قادم (محمد) والعوادي (سعيد) [إشراف وتقديم]،

145 - **التحليل الحجاجي للخطاب**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2016.

• قادم (محمد) والبرطيع (وردة) والعوادي (سعيد) والبرطيع (رحال) وعلمي (عبد الله) والدهبي (سلوى) [إعداد وتنسيق]،

146 - **البلاغة العربية وخطابات الحياة اليومية**، مؤسسة آفاق، المغرب، ط1، 2021.

• لعرج (المهدي) والمراكشي (حنان) والفتحي (محمد) وشميعة (مصطفى) [تنسيق]،

147 - **البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب. دراسات في مشروع عماد عبد اللطيف**، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية، ط1، فاس، 2020.

• مشبال (محمد) [إعداد وتنسيق]،

148 - **بلاغة النص التراثي. مقاربات بلاغية حجاجية**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2013.

149 - **البلاغة والخطاب. أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري**، منشورات ضفاف دار الأمان الاختلاف، ط1، بيروت الرباط الجزائر العاصمة، 2014.

150 - **بلاغة الخطاب الديني. أبحاث مهداة للدكتور محمد الولي**، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.

151 - **بلاغة الخطاب السياسي. أعمال مهداة للدكتور سعيد بنكراد**، دار الأمان، ط1، الرباط، 2016.

152 - **البلاغة وأنواع الخطاب**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2017.

153 - **بلاغة الخطاب التاريخي. أبحاث مهداة للدكتور حميد لحمداني**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2018.

154 - **بلاغة السيرة الذاتية. أعمال مهداة للدكتور محمد أنقار**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2018.

155 - **بلاغة الصورة. محمد أنقار ناقد السمات ومبدع السرد**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2019.

- محمد مشبال وعلى البوجديدي [تنسيق]،

156 - **في بلاغة الأشكال الوجيزة**، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

- موسى (أحمد) ولزرك (لطيفة) [تنسيق]،

157 - **قضايا في اللغة والأدب**، منشورات مختبر البحث في علوم اللغة والخطاب والدراسات الثقافية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، ط1، 2016.

- يطاوي (محمد) [إشراف وتحرير]،

158- **التحليل النقدي للخطاب. مفاهيم ومجالات وتطبيقات**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، برلين، 2019.

ترجمات:

- إيرليخ (فيكتور)،

159 - **الشكلانية الروسية**، ترجمة محمد الولي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، البيضاء، 2000.

- بارط (رولان)،

160 - **البلاغة القديمة**، ترجمة عمر أوكان، دار أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 1994.

- بارط (رولان)،

161 - **البلاغة القديمة**، ترجمة وتقديم عبد الكريم الشرقاوي، نشر الفنك، ط1، البيضاء، 1994.

- بليث (هنريش)،

162 - **البلاغة والأسلوبية. نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، منشورات دراسات سال، ط1، البيضاء، 1989.

- ابن الشيخ (جمال الدين)،

163 - **الشعرية العربية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ومحمد أوراغ، منشورات توبقال، ط1، البيضاء، 1996.

- بيرلمان (شاييم)،

164 - **الإمبراطورية الخطابية. صناعة الخطابة والحجاج**، ترجمة وتقديم وتعليق الحسين بنوهاشم، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2022.

- ديكرو (أوزفالد)،

165 - **السلميات الحجاجية**، ترجمة وتقديم أبو بكر العزاوي، مطبعة ووراقة بلال، ط1، فاس، 2020.

- روبول (آن) وموشلار (جاك)،

166 - **تداولية الخطاب. من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب**، ترجمة وتعليق لحسن بوتكلاي، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2020.

- روبول (أوليفي)،

167 - **لغة التربية. تحليل الخطاب التربوي**، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 2002.

- روبول (أوليفي)،

168 - **مدخل إلى الخطابة**، ترجمة رضوان العصبة، أفريقيا الشرق، ط1، البيضاء، 2017.

- ريكور (بول)،

169 - **الاستعارة الحية**، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2016.

- سالافاسترو (كونستانتين)،

170 - **البلاغة والسياسة. سلطة الخطاب وخطاب السلطة**، ترجمة عبد القادر ملوك، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2021.

• فيليب بروطون،

171 - **الحجاج في التواصل**، ترجمة محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.

• كوهن (جان)،

172 - **الكلام السامي. نظرية في الشعرية**، ترجمة محمد الولي، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2013.

• كوهن (جان)،

173 - **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، البيضاء، 1986.

• لايكوف (جورج) وجونسون (مارك)،

174 - **الاستعارات التي نحيا بها**، دار توبقال، ط1، البيضاء، 1996.

• لايكوف (جورج) وجونسون (مارك)،

175 - **الفلسفة في الجسد. الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي**، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2016.

• ليفن (سمويل)،

176 - **البنيات اللسانية في الشعر**، ترجمة محمد الولي وخالد التوزاني، الحوار، ط1، البيضاء، 1989.

• ماير (ميشيل)،

177 - **البلاغة**، ترجمة محمد أسيداه، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2021.

• مورو (فرانسوا)،

178 - **البلاغة. المدخل لدراسة الصور البيانية**، مراجعة ومنقحة وتقديم جديد، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، أفريقيا الشرق، ط2، البيضاء، 2003.

• ياكبسون (رومان)،

179 - **قضايا الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، منشورات توبقال، ط1، البيضاء، 1987.

المراجع

- بنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2014.

سعيد بنگراد

مدارات اللغة

بين الفصيح والعامي



محاور الأعداد القادمة

- البلاغة والفلسفة
- البلاغة والبيداغوجيا
- البلاغة عند الفلاسفة المسلمين
- البلاغة والتأويل
- البلاغة في زمن الرقميات

البلاغة وتحليل الخطاب

Al Balagha Wa Tahlil Al Khitab

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

المساهمون في العدد السادس عشر

- امحمد واحميد
- عبد القادر بقشى
- سعيد العوادي
- الحسين بنوهاشم
- عبد الرحيم وهابي
- عزيز قميشو
- محمد الرواص

